



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الإخوة منتوري - قسنطينة -



رقم الإيداع 52/D3C/2019.

كلية الآداب واللغات

رقم التسجيل 03/AR/2019

قسم الأدب واللغة العربية

النص الواصف في شرح المفضليات للأنباري

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه -LMD- في الأدب القديم

إشراف الأستاذ الدكتور :

إعداد الطالبة :

محمد بن زاوي

وهيبة للوش

لجنة المناقشة

رئيساً	جامعة الإخوة منتوري قسنطينة	أستاذ التعليم العالي	الأستاذ الدكتور: قديد ذياب
مشرفاً و مقررًا	جامعة الإخوة منتوري قسنطينة	أستاذ التعليم العالي	الأستاذ الدكتور: محمد بن زاوي
عضوًا مناقشًا	جامعة الإخوة منتوري قسنطينة	أستاذ محاضر "أ"	الدكتور: منصف شلي
عضوًا مناقشًا	جامعة العربي التيسي تيسة	أستاذ محاضر "أ"	الدكتور: عادل بوديار
عضوًا مناقشًا	جامعة العربي بن مهدي أم البواقي	أستاذ التعليم العالي	الأستاذ الدكتور: العلمي لراوي
عضوًا مناقشًا	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	أستاذ التعليم العالي	الأستاذ الدكتور: أحمد كامش

السنة الجامعية 1439-1440 هـ الموافق 2018-2019م

جنتی جنتی
۱۴۲۹

إهداء

إلى الوالدين الكريمين

إلى زوجي العزيز

إلى ابني الغالي محمد رسيم

شكر و تقدير

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك... ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ... ولا تطيب

اللحظات إلا بذكرك... فلك الحمد والشكر يا الله

أتقدم بأسمى دلالات الشكر والتقدير إلى أستاذي المشرف الدكتور —ور: محمد بن زاوي

الذي اعتنى بهذا البحث ورعاه ، فشكرا له على جهده المبذول في رعايته له وتصويب هناته.

والشكر موصول إلى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على تحمل عناء قراءة هذا البحث

وتصويب أخطائه .

وانحني شكرا واعترافا بالجميل أمام كل من مد لي يد العون والمساندة المعنوية والمادية لإنجاز

هذا البحث وأخص بالذكر: والدي وزوجي وجميع أفراد عائلتي ، وكذلك صديقاتي

وزميلاتي.

الفقه الإسلامي

اعتبرت اللغة في منشأها الأول مجرد وظيفة للتواصل والتبليغ، وأداة للتعبير عن الحاجات والأغراض، إلا أنها لم تعد كذلك، فقد سعت طامحة إلى تجاوز الفكر التقليدي، وتطوير محتوياتها، وفق رؤية مبنية على طلب الإبداع والتجديد، وانتقلت من التخيلات البسيطة والمجازات الشعرية والحكايات الرمزية والآثار الأدبية، إلى أنظمة وأنساق معرفية مختلفة، وشكلت عالما مستقلا بذاته، فقد باتت حقلًا للشرح، والتفسير، والتأويل، والخلق، والتحويل بعوالمها الرمزية وفضاءاتها الدلالية، وباستعمالاتها المتعددة، فهي تنشئ العالم بقدر ما تتحدث عنه، وتمنع الواقع بالكلمات بقدر ما تتحول هي نفسها إلى وقائع لها أثارها ومفاهيمها، وكل هذا كان بعدما أخذت الدراسات الأدبية والنقدية صورة مغايرة لاسيما وأن النقد العربي كان وما يزال الجناح الإبداعي الثاني للأدب، باعتباره وكما قيل كلام عن كلام، لذا فهو عملية ملازمة للنص الأدبي، كما أنه يكتسي أهمية بالغة وكبيرة في المجال الأدبي، نظرا لكونه يعيد تقديم العديد من الخطابات والنصوص الشعرية والنثرية من ذاكرة الأمة الأدبية والثقافية والفكرية، ومما لا شك فيه أن هذه العملية هي مهمة المتلقي انطلاقا من الموهبة التي يمتلكها، وتجاربه الذاتية التي خاضها، فضلا عن الثقافة اللغوية والأدبية التي تعينه على ذلك كله، هذا مما أدى إلى ظهور العديد من المؤلفات النقدية واختلاف مناهجها، وتعدد الآراء، واختلاف المواقف، وتبدل زوايا النظر فيها، ورغم ذلك مازالت كثير من جوانبه - النقد - مبهمه وبحاجة إلى البحث والتقصي .

وتعد كتب الاختيارات الشعرية من أهم أنماط التلقي للنص الشعري القديم، فالاختيار هو عملية انتقاء يقوم بها صاحبها لما يرى في بعض النصوص الجودة والسبك المحكم، فقد انتقت العرب معلقاتها من بين جميع الشعر الجاهلي، كما اختار الأصمعي أصمعياته أيضا،

ولعل من أهم الكتب في هذا المجال التي شيدت صرح النقد وكانت اللبنة الأساسية في طريق الاختيارات كتاب "المفضليات" للمفضل الضبي الذي رسم لنفسه منهجا في هذا الجانب وكان بذلك موضوعا نقديا خصبا ، جديرا بالدراسة ، باعتباره النواة الأولى للنقد والذي يقوم على الاختيار والتنقيب.

وديوان المفضليات للمفضل الضبي -باعتباره موضوع بحثي - مصدرا شعريا ولغويا مهما من مصادر الشعر العربي، ذلك أن المفضل قد جمع في اختياراته الشعرية قصائد من روائع الشعر العربي القديم وأجوده، حتى أنها مثلت الروح والمثل واللغة خير تمثيل، وقد جسد فيه المؤلف ذوق العصر، واستجابة الفرد وتدوقه لما يختاره، لأن اختيار الرجل قطعة من عقله، وفيه دلالة على سعة اطلاعه على الثقافات الشعرية المختلفة ، ونظرا لأهمية هذه القصائد في الأدب العربي تناولها عدد من العلماء بالشرح والتفسير والتوجيه اللغوي والنحوي والصرفي والصوتي، وما زال كثير من العلماء يهتمون بها وبشرحها و في مقدمة هؤلاء العلماء أبي محمد القاسم بشار الأنباري وأعقب هذا الشرح شرح أبي جعفر النحاس، ثم شرح آخر قام به المرزوقي وأخيرا شرح التبريزي، وكثرت شروح المفضليات إن دلت على شيء إنما تدل على غزارة معلوماتها و ثراء قصائدها، واحتوائها اللغة البدوية غير الهجينة التي توصف بالغرابة والوحشية.

وقد كان شرح ابن الأنباري أكثر الشروح دقة وتفصيلا، ففيه إلى جانب اللغة قدرا كبيرا من أخبار العرب وأيامهم وأنسابهم وأشعارهم، مما جعله مصدرا ذا قدر كبير ضمن مصادر الأدب ، وهذا الإسهاب الذي جرى عليه ابن الأنباري في تفسيره لها أتاح لنا أن نطلع

على واسع علمه، وصادق نظره، وحسن فهمه، كما أنه لا يكاد يرى ثغرة في طريق الكمال إلا حاول سدها، فعالج النصوص من زوايا اللغة، والنحو، والتاريخ، والأنساب، معالجة كاملة بما أفاد البعض منه فائدة جلية.

ويعود السبب في اختيار موضوع البحث، وخوض غماره إلى الاهتمام المشترك المنبثق من الوعي الذي يحث جميع الباحثين على ضرورة إعطاء أدبنا وتراثنا النقدي أهمية فائقة تليق بمقامه، من خلال دراسته وتحليله، واستخراج أهم أفكاره، واستنباط أحكامه ومواقف النظريات المضمرة، سعياً إلى إحياء هذا التراث. كما خصص هذا البحث أيضاً للتعرف على شرح ابن الأنباري عن قرب لإيجاد الميزة التي تفرد بها عن غيره من الشراح، والتي جعلت شرحه أكثر شيوعاً وأكثر إقبالا من قبل الباحثين، ومن أهم الأسباب أيضاً هو أن هذا الموضوع لم يجد العناية التي يستحقها في النقد العربي الحديث، وذلك مقارنة بالدراسات التي خصصت للمبدع والنص، كما أن هناك تضاملاً في العناية بالشرح في النقد العربي القديم، والحديث على السواء، وانطلاقاً من الفكرة التي ارتآها كثير من نقاد العرب، بأن الشروح الشعرية لم تنتج خطاباً واصفاً بالمعنى الذي يرتقي به لأن يكون نصاً نقدياً، بغض النظر عن بعض الدراسات الجزئية التي قام بها القليل من النقاد والأدباء، لاسيما وقد وضعت مؤلفات في ذلك النقد انطلاقاً من هذا المحور.

وتكمن أهمية موضوع البحث في الأهداف التي يبغى الوصول إليها، ومن أهمها المساهمة في معالجة قضايا كانت تبحث متفرقة دون أن يدرك عمق صلتها بالشرح، وانطلاقاً مما ورد على ألسنة أصحاب نظرية التلقي الحديثة، من أن الشرح أهمل في الشعر القديم، واستناداً إلى

أن المتلقي أهمل في الآداب القديمة، فإنني سأبين خطأ هذه الفكرة وأفندها، كما سأبين أنه إذا كانت الآداب الأخرى قد أهملت محور المتلقي في تناولها، فإن هذا الأمر لا ينطبق بالضرورة على النقد العربي القديم، خاصة في مستوى الشرح نوعا وكما، وهنا تنبثق أهمية هذا البحث الذي حاول التركيز على الجانب الذي غيب في الدراسات السابقة، وذلك بمحاولة الإجابة عن عديد الأسئلة التي مازالت تنتظر الرد العلمي والتي نوجزها فيما يلي:

- هل الشروح الشعرية القديمة أنتجت خطابا واصفا بالمعنى الذي يرتقي به لأن يكون نصا نقديا ؟

- ما هي مكانة المتلقي في الآداب العربية القديمة ؟

- ما هو منهج ابن الأنباري في الشرح والأسس التي انطلق منها ؟

فهذه التساؤلات المطروحة، وغيرها مما سيطرح بمثابة المادة الخام والحافز الذي انطلق منه البحث ليشكل من خلاله الهيكل العام، والخطوط العريضة والمسار المرسوم، من أجل تحقيق الأهداف المسطرة والمرجوة منه.

وبناء على ما سبق فقد تم تحديد عنوان البحث كالآتي:

"النص الواصف في شرح المفضليات لابن الأنباري"

أما الدراسات السابقة حول هذا الموضوع فهي قليلة لأن دراسة الشرح وقضاياها لم تنشط في النقد العربي المعاصر إلا مؤخرا، لكثرة القضايا المتصلة بالمتلقي، واختلفت هذه الدراسات في تناولها للشرح ما بين دراسات اهتمت بالجانب التطبيقي مثلما كان الحال في الشروح

المذكورة سابقا، مستخرجين بذلك أنماط المفردة ومستوياتها وحقولها في أغلب شروحاتهم تقريبا، ومن الدراسات التي اهتمت بهذا الجانب أيضا (المختارات الشعرية وأجهزة تلقيها عند العرب من خلال المفضليات وحماسة أبي تمام) لـ"إدريس بلمليح" وتعلقت بالجانب التطبيقي في التلقي، وهو بذلك جعل كل من المفضليات وحماسة أبي تمام ميدانا لما طرحته نظرية التلقي الحديثة، في حين انصرفت بعض المباحث إلى الاهتمام بالشرح وقضاياها المتناثرة في كتب النقد القديمة والحديثة على السواء، ومن هذه الدراسات كتاب "أحمد الودرني" بعنوان (شرح الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن الرابع عشر هجري)تناول فيه كيفية شرح العرب للشعر مع التطبيق على بعض النثف من الشعر العربي القديم، كما أن هناك بعض الدراسات التي جمعت بين الجانبين النظري والتطبيقي نذكر منها كتاب "محمد جمال العمري" بعنوان (شروح الشعر الجاهلي) لكنها انصرفت في كثير من جوانبها إلى الجانب التاريخي، وعوامل النشأة والتطور، حيث إنه أفرد فصلا كاملا للحديث عن البنية الثقافية والعلمية التي أنتجت الشروح، ضف إلى ذلك مروره السريع على بعض القضايا النقدية التي هي بحاجة للتمعن، فكانت بذلك دراسة تاريخية للشروح نظرا لاهتمامها الواضح بأجيال الشراح، إذ أفرد لذلك فصلا كاملا من كتابه. أما الجزء الثاني من كتابه فقد جاء في ثلاثة فصول تناول فيها عدة مناهج كالمناهج الالتزامية، والنقلي والإبداعي الفني والمنهج الانتخابي التهذيبي التكميلي، وهذه المناهج تعرضت لظاهرة الشروح الشعرية بالنقد الأدبي وطريقة التلقي لها والتعريف بالأعلام وشرح المعاني وذكر مناسبات القصائد، وتحديد الأنساب، إلا أن لهذه الدراسة أثر واضح في عدم تغطية قضايا نقدية مهمة ذات صلة بالشرح والوصف، لأنها وقفت عند حد زمني معين وهو القرون الخمسة الأولى، وأما الفرق بينها وبين

هذا البحث فيكمين في طريقة المعالجة بالإضافة إلى وقوفه -إلى جانب النقاد المتقدمين - عند نقاد هم خارج الفترة الزمنية التي تناولها ك (رومان جاكبسون) (R.Jakobson) وأما ما عدا ذلك من الدراسات فهي إما جزئية تناولت بعض قضايا الشرح، أو عبارة عن أبحاث مصغرة تدرس الشرح عند أحد الشراح دون التطرق إلى نظرية التلقي، والأفكار الجديدة للنقاد المعاصرين، ولكن هذه الدراسات قد ساهمت في إضاءة جوانب كثيرة من هذا البحث، لاسيما الكتب النقدية القديمة والحديثة والشروح التي لحقت شرح ابن الأنباري.

و بعد هذه الإطلالة على الدراسات السابقة يتجلى الاختلاف بينها وبين هذا البحث من ناحية الإجراءات التحليلية المنتقاة والهدف المتوخى من الدراسة أيضا.

وقد فرضت الدراسة والمرجعية النظرية لإجراءات التحليل أن تشمل خطة البحث على مقدمة ومدخل وأربعة فصول ، تذييلها خاتمة تعرض جل النتائج المتوصل إليها .

أما المقدمة فجاء فيها الحديث عن إشكالية البحث، وسبب اختيار الموضوع والأهداف المرجوة، فضلا عن قراءة نقدية للدراسات السابقة.

وتطرق المدخل "قراءة في مصطلحات البحث ومفاهيمه" إلى ضبط مصطلحات ومفاهيم البحث التي تساهم في إماطة اللثام والغموض عن موضوع البحث ومضمونه :بحيث حدد مفهوم اللغة الواصفة وقدم حوصلة عن تاريخها، والإشكالات التي قابلت ظروف ترجمة المصطلح إلى العربية، بالإضافة إلى التعريف بالفضل و المفضليات،ورصد حركة الشروح الشعرية عند العرب.

وخصص الفصل الأول "وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري" للاهتمام بالمفردة المفتاح بالمقام الخارجي، وقد قسم إلى خمسة مباحث إذ يتناول الأول النص الديني من قرآن كريم وحديث نبوي شريف، أما الثاني فيبحث في الجانب التاريخي من أحداث عامة وخاصة ومناسبات القصائد والتعريف بالأعلام والأخبار المروية، في حين عالج المبحث الثالث جانب الاجتماعيات، أما المبحث الرابع فقد كان حول أثر المرجعيات في الشرح من مرجعيات معرفية وجغرافية. أما الخامس والأخير كان الوقوف فيه على وسيلتي الرواية ومصادر الشرح عبر القناة الشفوية والكتابية في ضوء أثرها على عملية التلقي في نظرية التواصل عند جاكبسون وخاصة الوظيفة الميتالسانية.

أما الفصل الثاني "وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري" فقد تم تقسيمه إلى سبعة مباحث حيث عكف المبحث الأول على بعض الظواهر اللغوية، التي وجدتها في ثنايا الشرح، والعوامل المؤثرة فيها وفي ظهورها في ضوء نظرية التلقي، ويدرس المبحث الثاني الجانب الصوتي والصرفي وتم الحديث فيه على كيفية وجودها في الشرح بالنظر إلى تأثيرها في المتلقي أيضا، في حين يهتم المبحث الثالث بالجانب الدلالي في شرح

ابن الأنباري، أما المبحث الرابع فيحلل ويدرس أهم القضايا النحوية من إعراب وإشارات نحوية أخرى، ويقف المبحث الخامس على أهم الظواهر الموسيقية والضرورات الشعرية، ويتناول المبحث السادس الجانب التركيبي وكل ما اتصل بالأساليب، وطرق الأداء ومظاهر الحضور، كما تجلت في شرح الأبيات الشعرية من زاوية نقدية ودورها في التوصيل الأدبي (المبدع، النص، المتلقي) ومدى العناية بهذه المحاور في التلقي العربي، وصلة محور المتلقي

بالمحورين الآخرين والعلاقة القائمة بين هذه المحاور كما يتصورها ويراهها شارح المفضليات ابن الأنباري، أما المبحث السابع فقد كان حول ملابسات إنشاء القصيدة وكيفية شرح الشارح لمعاني الأبيات.

أما الفصل الثالث " وصف البنية البلاغية" الذي تم تصنيفه إلى مبحثين، يكون المبحث الأول عن الشارح المتلقي في مفهومه للمجاز سواء في اللغة الواصفة أو في نظر جاكبسون والاستعارة أو ما يعرف بالشرح المتذوق وسيتم الحديث فيه عن مفهوم ذلك التذوق، وسعة المساحة التي شملها بين المتلقين الشراح، وفئاته التي اندرجت تحته، مع ذكر الشواهد المؤيدة له، أو ما تعلق بالكناية والتشبيه، والمجاز المرسل والإسناد المجازي، ويشمل دراسة هذه القضايا عند الشارح المتلقي المخاطب بالنص، وملابسات تلقيه ومفهومها بين العموم والخصوص.

في حين كان المبحث الثاني حول ثنائية الاستعارة والمجاز المرسل عند ابن الأنباري وجاكبسون، من حيث الاهتمام بهاتين الصورتين وحضورهما في شرح المفضليات وتمثلات هذا الحضور والفرق بينهما وبين غيرهما من الصور مع الاستشهاد على ذلك.

أما الفصل الرابع الذي حمل عنوان " وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري" حيث يتناول المبحث الأول النقد الانطباعي من نقد للألفاظ والمعاني، ويقوم المبحث الثاني على النقد اللغوي في شرحه، أما المبحث الثالث فقد كان حول إشارات ابن الأنباري للسرقات الشعرية وتفطنه لها، ويهتم المبحث الرابع بالموازنات والمفاضلات التي عقدها ابن الأنباري بين شعراء المفضليات وشعراء آخرين، ويعالج المبحث الخامس أهم الأخطاء والهنات التي وقع فيها الشعراء سواء اللغوية أو ما تعلق بالوصف والمبالغات، في حين يهتم المبحث الأخير بتتبع

الشارح لأخطاء الرواة، كما أن شارح ك (ابن الأنباري) لم يفته هنا الإشارة من خلال شرحه إلى الاختلافات والتناقضات الواردة بين الرواة والعلماء الذين نقل عنهم ومحاولته تصحيح ذلك.

ونأتي بعد ذلك الخاتمة مشفوعة بأهم النتائج التي تم التوصل إليها، سواء منها النتائج العامة أو النتائج التفصيلية المهمة، والتي تخص قضية من قضايا النص الواصف، والتي تم معالجتها في ثنايا هذه الدراسة.

كما أنني لم أقف في هذا الموضوع على منهج واحد، فهو بحاجة إلى استخدام أكثر من منهج، فقد اعتمدت على المنهج التاريخي الفني ذلك أن الاستعانة بالتاريخ ومؤثرات العصر تعينني بلا شك في استجلاء جوانب هذه القضية، والكشف عن أبعادها، كذلك فيما يحتاج من القضايا إلى الوقفة التاريخية، لمعرفة تطورها وما طرأ عليها بتوالي النقد والمؤلفات النقدية، أما الجانب الفني ففائدته تتجلى في الكشف عن قدرة النقد القديم على رصد مختلف القضايا النقدية ومسيرة تطورها من خلال اعتماده على المقارنات، والموازنات فضلاً عن خاصية التحليل التي هي عملية تواكب الوصف، حيث أنني عملت على تحليل عناصر الشرح ووقفت عند كيفية توظيفها عند الشراح، ثم هل يشكل هذا العنصر ميزة جمالية من جماليات الشرح أم يظل آلة تقود إلى ما هو جمالي؟ ولعل التحليل أساس ضروري في أية دراسة تهدف إلى التفسير وتقريب القارئ من جماليات شروح الشعر، وقد اقتضى ذلك التركيز والدقة ما أمكن والارتباط بالنص الشارح. بالإضافة إلى التفسير الذي يواكب التحليل وما يخلص إليه من نتائج.

ويضاف إلى ذلك أيضا المنهج الاستقرائي لاستقراء بعض القضايا النقدية ومحاولة حشد كل الآراء التي قيلت فيها ضمن الإطار الزمني المحدد، وتخضع هذه المناهج في نتائجها إلى النقد والتحليل.

وما يضم هذه المناهج كلها هو انتماؤها في مجملها إلى مستوى نقد النقد وهو ما يتوخاه هذا البحث في رؤيته للنقد العربي القديم بنظرة حديثة.

أما مراجع البحث فهي متنوعة منها ما تعلق بمؤلفات النقد العربي القديم، ومنها ما تعلق بنظرية التلقي في بعدها النظري، كما هي في العصر الحديث في مؤلفات روادها، ومنها ما كتب من دراسات نقدية حديثة تمحورت حول النقد الغربي الحديث، سواء من الناحية النظرية، أو من ناحية تتبع قضية أو قضايا النص، أو دراسة ناقد من النقاد.

وإن كان من صعوبات تذكر في طريق هذا البحث، فإنما هي في قلة الدراسات الحديثة التي عنيت بالنص الواصف في النقد العربي القديم، وخاصة الشروح الشعرية، قياساً على ما كتب حول المبدع والنص، ضف إلى ذلك كيفية التعامل تطبيقياً مع طبيعة الموضوع، والمناهج المختارة للدراسة، وقلة المراجع أيضاً.

لكن بفضل تشجيعات الأستاذ الدكتور "محمد بن زاوي" وملاحظاته وتوجيهاته العلمية، فقد استطاع البحث تجاوز الصعاب والعراقيل التي واجهته، وإخراجه على هذه الصورة النهائية، فلا تتسع عبارات الشكر والتقدير والامتنان لتفنيه حقه على صبره وحزمه وعطائه العلمي اللامحدود، وتصويب هنات البحث، فجزاه الله عنا خير الجزاء.

وإذ أودع هذا البحث بين أيدي الأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة، أتقدم بشكري وتقديري لهم على تحمل عناء قراءته وتصويب أخطائه، وحسبي أنني قد أنجزته قصد إمارة اللثام عن بعض ما يشوب الأدب العربي القديم. هذا ولست أزعم أنني وفيت بالمراد ولا أنني أتيت بما لم أسبق إليه، ولكنني اجتهدت قدر استطاعتي في معالجة هذا الموضوع، وفق ما توفر لدي من مراجع، فإن حالضني الصواب فبفضل من الله وإن كان غيره فحسبي صدق نيتي وخالص جهدي وأسأل الله التوفيق والسداد.

الفصل الأول

إن من اللازم تحديد المقصود من النص الواصف أو اللغة الواصفة، والوقوف عند المفضليات أيضا، لا لأنها من الكلمات المفتاحية فحسب، وإنما لينطلق البحث على بيئة دون مصادر أو مأخذ منهجية.

1- اللغة الواصفة:

أ- مصطلح الواصف:

نتوقف أولا عند مصطلح الواصف الذي ارتضيناه مقابلا لـ "السابقة" Meta وذلك من

خلال العودة إلى أهم المعاجم الغربية والعربية:

1- المعاجم الفرنسية:

نبدأ في تحديد مصطلح "اللغة الواصفة" ومفهومها من المعاجم اللغوية والمتخصصة الفرنسية، قبل العودة إلى المعاجم العربية، ونبرر ذلك منهجيا ومعرفيا بقولنا " ظهور المصطلح عند الغربيين معناه أن مصادره ومراجعته غربية أساسا، وهي أقدم من هذه الناحية... المعاجم الاصطلاحية العربية التي تناولت اللغة الواصفة مترجمة، ومعنى هذا أن حقها التأخير وليس التقديم"⁽¹⁾ وهذا لا يعني أننا ننفي الممارسة النقدية العربية، وإنما نقر بتبلوره وتشكله - أولا - في المحضن الغربي.

⁽¹⁾ رشيد سوسان: مفهوم التشاكل في أعمال محمد مفتاح، دراسة اصطلاحية ضمن جماعة من الباحثين، مشروع محمد مفتاح، دراسات في المنهج والمصطلح والمرجع، تن سعيد عبيد، تق مصطفى اليعقوبي، مطبعة أنفو، المغرب، دط، 2010، ص 83.

2- معاجم اللغة :

أغلب القواميس الفرنسية تستند في عملية تأثيل* (Etymologie) السابقة (Mèta) إلى اللغة اليونانية، ومن ثمة انتقلت الكلمة إلى الرومان بمعنى الحد⁽¹⁾

إذ تحيل السابقة "ميّتا" على ثلاث دلالات وذلك عندما تدخل في تركيب الكلمات العاملة (Les mots savantes) وهي: مع (avec) - وبعد (après) - ما وراء (Au-de la de)⁽²⁾ وتتقاسم أغلب القواميس هذه الدلالات.

3- المعاجم الموسوعية المختصة:

إن النظر في القواميس الفرنسية المتخصصة، يسلمنا إلى مايلي:

"إن مصطلح اللغة الواصفة أدخله منطقة مدرسة فينا رودولف كارناب (Rudolf

Carnap) ولاسيما المدرسة البولونية الذين احتاجوا إلى التمييز بين اللغة المتحدث عنها ولغة الحديث كما صرح تارسكي (Tarski)"⁽³⁾ إذ يؤسس المفهوم على المعطى المنطقي لتأصيل المصطلح، وفي مفهوم آخر "تظهر اللغة الواصفة كلغة وصف بالمفهوم الواسع والمحايد للمصطلح"⁽⁴⁾ وهنا ركز القاموس المعقلن على المفهوم العام الذي يقوم على الوصف كأداة تقنية، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا القاموس توقف عند مفهوم اللغة الواصفة بمفهوم

* دراسة أصل الكلمات وتاريخها وهي مشتقة من أصلين يونانيين يشيران إلى المعنى الحق والكلمة والمصطلح ببساطة يعني دراسة التغييرات اللغوية التاريخية في الكلمات "ينظر إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية: المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، التعاقدية العمالية للطباعة والنشر، تونس، دط، 1986، ص158.

(1) Voir Jean Girodet, Logos, grand dictionnaire de la langue Française ,Bordas,1996,p2007.

(2) Voir Quillet dictionnaire la langue Française K-P, Librairie Aristide Quillet , 1975 ,p20

(3) Algirda Julien Greimas et Joseph Courtès. Sèmiotique.ed Hachette.Paris.1993.p224.

(4) المرجع نفسه،الصفحة نفسها .

يلمسليف (L.Hjelmslev) و جاكبسون و بنفنست (É- Benveniste)، كما أورد القاموس مصطلحا آخرًا يتواشج مع اللغة الواصفة وهو مصطلح الواصف الذي يتأسس على "كل علاقة مأخوذة في محور دلالي، (Axe sémantique) ومكون لصنف يتضمن على الأقل مصطلحين، غير أن العلاقة المعتبرة في ذاتها، يمكن أخذها في ذاتها كمصطلح، تجذب لها علاقة من نفس طبيعة المصطلح الأول، إذ ستكون في صنف مستوى أعلى تصاعديا، إذ العلاقات المصطلحية ستسمى مصطلحات واصفة تميزا لها عن المصطلحات البسيطة"⁽¹⁾

كما استعمل القاموس الموسوعي الجديد مصطلح اللغة الواصفة (Métalangue) في معرض حديثه عن غلوسيماتيك "يلمسليف"، حين أعطى مثلا شارحا للغة الواصفة فقال "نجد اللغة الواصفة حاضرة مثلا في اللغة التقنية المستعملة لوصف اللغات"⁽²⁾

ب- المقابلات العربية :

شهد الأدب العربي المعاصر فوضى مصطلحية منقطعة النظير، وما مصطلح اللغة الواصفة ببعيد عن هذا الوضع المأزوم في ظل غياب التصور القائم على الوعي، وفقدان المرجعيات المعرفية والتأصيلية للمصطلح، ولعل علة هذا الاضطراب -في مصطلح اللغة الواصفة- يعود إلى "السابقة الإغريقية (Mèta) التي تنصدر هذا المصطلح في اختلاف ترجماتها العربية

⁽¹⁾ المرجع السابق، الصفحة نفسها.

⁽²⁾ -Oslwld duerot .Jean-Schaeffer. Des sciences du langage. Nouveau Dectionnaire Encycloopèdique.ed Seuil(France).1995. p39.

واضطرابه بين (ماوراء اللغة، ما بعد اللغة، ما فوق اللغة، الميتالغة، اللغة الانعكاسية، اللغة الماورائية، اللغة الشارحة، تععيد اللغة، لغة عن لغة، اللغة البعدية، لغة حول لغة....⁽¹⁾)

لقد رصد هذا النص القصير أهم المصطلحات التي تدور على أسنة النقاد العرب، دون إحصاء متونها النقدية، أما الغاية من عرضها - هنا - هو التذليل على كثرتها، وتعددتها الذي تجاوز هذا التناسخ غير الصحي إلى تشويش المفهوم وعدم وضوحه .

ج- إشكالية اللغة الوصفة:

تعتبر اللغة مادة العمل الأدبي فهي التي تكسبه قيمته وتجعله متفردا فهي "المعرفة،

وانها لهي الخصوصية والاختلاف في الوقت ذاته"⁽²⁾

هذا ما قاله عبد المالك مرتاض في كتابه (في نظرية الرواية) معليا من شأن اللغة، ورافعا

من قدرها، وذلك لتميزها وتنوعها بين لغة تواصلية وأخرى إبداعية جمالية فنية.

وهذه اللغة الإبداعية هي التي شغلت الباحثين من خلال محاولاتهم الجادة لاكتشاف

مكائنها "وحين نتحدث عن اللغة ونحن هنا لا نريد اللغة بمعنى اللسان ولكننا نريد اللغة

بمعنى (Langage- Language) أي أننا نريد اللغة الوظيفية أي اللغة التي يكتب بها

كاتب جنسا أدبيا ما، فاللغة التي يصطنعها هو، ويحاول في الكثير من الأطوار، شأن الكتاب

⁽¹⁾ المرجع السابق، الصفحة نفسها.

⁽²⁾ عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية" بحث في تقنيات السرد"، مجلة عالم المعرفة، الكويت، ديسمبر 1998، عدد

الكبار في العالم، أن يخرجها من المستوى المعجمي الميكانيكي الدلالة إلى المستوى الانزياحي⁽¹⁾ والتي تتيح له أن يسخر لغته لمعان جديدة وكثيرة تحيي موتاهها وتوسع دلالتها هذا ما أطلق عليه اللغويون "اللغة الواصفة" فهي لغة تتحدث عن نفسها.

كما تعتبر اللغة الواصفة لغة تصف نفسها وذلك بكشف مكانها وتحليل بنياتها واهتمامها بكل استعمالات اللغة وخاصة الجملة "فاللغة الواصفة تستعمل عموما لوصف موضوع محدد، ولعل الألسن الطبيعية تظل مميزة عبر هذه الخصوصية، كونها تمثل موضوعا للوصف، ولغة واصفة في الوقت نفسه"⁽²⁾ واللغة الطبيعية هي اللغة الموضوع للغة الواصفة، وهي النواة الأساسية التي تتجسد منها اللغة الواصفة وتتميز عنها.

لم تعرف دراسات اللغة مصطلح اللغة الواصفة إلا من خلال الاحتكاك بعلماء المنطق والرياضيات، فقد اصطنع (كارناب) هذا المصطلح في كتابه (التركيب المنطقي للغة)، حيث تبنى المنطقة هذا التصور اللساني لطبيعته التحويلية "فبعيدا عن أي تأويل تتولى العلامة الرياضيات الواصفة بوصفها تصورا أوليا للنظرية المنطقية للعلامات التحويلية"⁽³⁾

يعتبر كارناب المؤسس الحقيقي لمفهوم اللغة الواصفة، وذلك في تصريحه الواضح بالرياضيات الواصفة التي تكون اللغة فيها تعبيرا عن التصور للنظرية المنطقية للعلامات، ووصف قواعدها التحويلية.

(1) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(2) ماري نوال غاري بريور، معجم المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ترجمة عبد القادر فهم الشيباني، سيدي بلعباس، ط1، 2007، ص 70.

(3) المرجع نفسه، ص47.

وقد وظف مصطلح اللغة الواصفة علماء مدارس لغوية مختلفة، نذكر منها على سبيل المثال مدرستي فيينا وبولونيا "حينما قالوا بضرورة التمييز بين اللغة التي نتحدث عنها واللغة التي نتحدث بها"⁽¹⁾ فقد ظهر هذا المصطلح مع (تارسكي) سنة 1931م، و(موريس Maurice) في كتابه "أسس نظرية العلامات" سنة 1938م أي في التمييز بين اللغة الطبيعية واللغة الاصطناعية .

كما قامت أفكار (يلمسليف) على مناهضة الفكر الميتافيزيقي وإحداث قطيعة مع كل ما هو واقعي فهو يعتبر العلامة "ليست علامة لشيء ما، وإنما تجد محايتها في تلاحم شكلي التعبير والمحتوى"⁽²⁾

فقد أولى اهتمامه بالعلامة اللغوية التي بفضل اللغة الواصفة نستطيع الاحتفاظ بخاصيتها الدلالية، وبتراتبية اللغات التي تمتلك طاقة هائلة في التعبير عن أي دلالة كانت وذلك بتلاحمها في التعبير والمحتوى.

أما اللغويين واللسانيين المحدثين فقد استقوا من سابقهم أو جاؤوا بالإضافة الواضحة والفرقة لما لم يلم به غيرهم من القدماء، ونجد "رومان جاكسون" قد ارتبط مفهوم اللغة الواصفة عنده "بالوظيفة التي تجنح إليها اللغة عندما يركز الحدث الكلامي على الشفرة، فتصف اللغة نفسها، أو تتأكد فاعلية نظامها الشفري في عملية التواصل"⁽³⁾، كما اعتبرها

(1) المرجع السابق، ص 48

(2) حسينة فلاح، الخطاب الواصف في ثلاثية أحلام مستغانمي (ذاكرة الجسد، فوضى الحواس، عابر سبيل)، منشورات مخبر التحاليل الخطاب، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، 2012، ص 11.

(3) أديث كريسويل، عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، دار السعد الصباح، الكويت، ط1، 1993، ص 70.

قضية لسانية مهمة كونها تجسد مظهرا لسلوكنا اللغوي، وقد اصطلح عليها بـ(الميتا لغوية) (métalangage) .

وفي إطار أبحاثه عن وظائف اللغة، فقد بين أن الوظيفة الميتا- لغوية لا تتجلى في دراسة المناطقة واللغويين الذين يجعلون اللغة موضوعا للدرس والتدبر فحسب، وإنما تتجلى أيضا من خلال الكلام اليومي، فقد ميز بين مستويين للغة" :اللغة الموضوع "أي اللغة المتحدثة عن الأشياء، و"اللغة الواصفة "أي اللغة نفسها، وهي اللغة الشارحة، إلا أن هذه اللغة ليست فقط أداة عملية ضرورية لخدمة المناطقة واللسانين، بل هي تلعب دورا هاما في اللغة اليومية، فحينما يتحدث شخصان ويريدان التأكد من الاستعمال الجيد للسنن، فإن الخطاب يكون مركزا على السنن، وبذلك تشتغل وظيفة ميتا- لسانية"⁽¹⁾، أي الشرح، فهي لغة تحيلنا إلى لغة ثانية وهي لغة تعادل اللغة الموضوع في نظر المناطقة.

كما وضع "رومان جاكبسون " رفضه للثنائية الصارمة التي كانت لدى(أبوجاز) في بدايتها، وهي الثنائية التي وضعت اللغة الشعرية في مقابل اللغة العملية على أساس حضور المعنى أو غيابه دون أن نحرمه من طابعه اللغوي"⁽²⁾، وهذا نظرا لرحابة اللغة التي تختلف بين استعمال متداول يومي وبين استعمال شعري يكون فيه الكلام منظورا في ذاته وليس مجرد وسيلة لتقديم مضامين محددة أي أنها ليست للتواصل فقط.

(1) حسينة فلاح: الخطاب الواصف في ثلاثية أحلام مستغانمي (ذاكرة الجسد، فوضى الحواس، عابر سبيل)، ص12

(2) رمان سلدن: من الشكلانية إلى ما بعد البنوية، تر: مجموعة من الكتاب، مراجعة: ماري تريبز عبد المسيح، موسوعة كامبردج، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، المجلد 9، العدد 1045، ط 2002، ص50.

وهو بهذا يرى " أن الوظيفة (الميتا - لغوية) عند بيان وظائف اللغة وارتباطها بالعوامل المكونة لعملية التواصل اللغوي، بالإضافة إلى قيام اللغة بالأخبار عن العالم المحيط والإحالة إلى المرجع عبر ما يختزنه المتكلم للتعبير عن انفعاله ومشاعره، حتى يستطيع التأثير في المخاطب، ومحاولاته لإفهامه عن طريق التنبهات، والوظيفة الشعرية الإنشائية التي يقصدها الميتا - لغوية أو ما وراء اللغة حيث تنعكس اللغة على ذاتها وصفا لقواعدها وإبرازا لخصائصها"⁽¹⁾، فقد ركز اهتمامه على ثلاثة مواضيع: الرسالة والمتلقي، والموضوع، فأما الرسالة فهي الوظيفة الإنشائية التي تسعى إلى خلق الجمالية بوصف لغة عن لغة أخرى يعبر بها للتنبه والإفهام بشفرات يفهما ويسهل التواصل بينهما.

ويعتبر جاكسون "الوظيفة الشعرية" الوظيفة المهيمنة على الخطاب باعتبارها المصدر الذي تنبثق منه الدلالات وتختلف فيه القراءات، وتتعدد التأويلات، فتتراوح اللغة وتخرج عن المؤلف إلى لغة أخرى تحمل معاني إيحائية متنوعة، فاللغة الشعرية" تتضمن موت اللغة وبعثها في أن واحد"⁽²⁾.

كما لا بد أن نشير هنا إلى أن مصطلح اللغة الواصفة ارتبط منذ الستينات والسبعينات مع الناقد جيران جينيت (G. Genette) ورولان بارث (R.Barthes) بالنقد البنيوي، فقد رأى هذا الأخير اللغة الواصفة من منظور النقد، لأنه يتميز بالاختلاف في التفسيرات ومنه فهو ليس إلا لغة تصف اللغة ذاتها أو خطاب على خطاب آخر، فقد اعتبر النقد الأدبي

(1) محمد القاضي: معجم السرديات، الدار الدولية للناشرين المستقلين، تونس، ط2010، ص1، ص178.

(2) نورالدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث، تحليل الخطاب الشعري والسرد، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ج1، (د. ط.)، 1997، ص 44.

لغة شارحة على حد تعبيره "مؤكداً أن كل نقدا حتى لو كان في أكثر أساليبه المتخيلة
تواضعا وعدم مباشرة لابد أن ينطوي خطابه على تأمل ضمنى لذاته"⁽¹⁾

ويمضي بارت موضحاً فكرته بقوله: إن موضوع النقد صعب للغاية، فهو ليس "العالم
وإنما خطاب كائن آخر غير الناقد، فالنقد خطاب على خطاب، لغة ثانية، أو لغة شارحة
كما يقول المناطقة تعمل على اللغة الأولى أو لغة الموضوع (langage objet)"⁽²⁾، فاللغة
التي درسها بارت لغة نقد تمارس على خطاب أو قول لتخلق لنا من الخطاب نفسه لغة
واصفة، ومن خلال ربطه هذا بين اللغة الواصفة والنقد اتضح تصنيفه للغة، فهي عنده لغة
طبيعية وأخرى اصطناعية.

كما أفرد جينيت للغة الواصفة فصولاً في بعض كتبه (مقدمة لجامع النص وأطراس
وعتبات... إلخ) وقد عرفه في كتابه "أطراس" بالميتانصية أو النصية الواصفة أو الواصف
النصي وعده وظيفة ضرورية وأساسية لتحقيق شعرية النص وذلك من خلال حديثه عن
العبر النصية وميز فيها خمسة أنماط وهي: "التناص (Intertextualite) و النص الموازي
(Paratexe) و التعالى النصي (Hypertexte) وجامع النص (Architexte) إضافة إلى
الميتانصية التي رأى أنها هي ببساطة علاقة التعليق (Commentaire) التي تجمع نصا
آخر يتم التحدث عنه دون الإحالة إليه أو استحضاره بالضرورة بل دون أن تسميه على الأقل

(1) جابر عصفور: نظريات معاصرة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، (د. ط.)، 1998، ص 283.

(2) المرجع نفسه، ص 248.

[....] إنها علاقة نقدية بامتياز"⁽¹⁾ وهذا الأخير هو اللغة الواصفة حتى وإن اختلفت المفاهيم عن بعضها البعض فالميتانص أو النص الواصف و اللغة الواصفة شيء واحد على أساس سعيها لخلق علاقة نصية تهدف إلى ربط نص بآخر بالتعليق عليه سواء بذكر النص السابق أو دون ذكره ليكون لهذه الوظيفة دور إنشاء علاقة نقدية بالدرجة الأولى، وعلاقة تناصية بالدرجة الثانية، ويقصد بالنصية الواصفة كما ذكر في مقاله "أطراس" هي بكل بساطة علاقة التفسير والتعليق التي تربط نصا بآخر تتحدث عنه دون الاستشهاد به أو استدعائه"⁽²⁾، وهذا القول يوضح لنا العلاقة بين النصوص المتناصّة أو النصية الواصفة حسب تعبيره، وهي لغة تشرح لغة دون أن يكون هناك أثر لوجود اللغة السابقة، وذلك من خلال استدعائها في النص الحالي الإستشهاد، فهي تخلق نصا ثان تولد عن الأول بوصفه لغة له.

أما فيما يخص اهتمامات العرب بهذا المصطلح رغم قلتها، إلا أننا نجد أنهم قد أشاروا إليه في مضامين كتبهم، فقد عرفه القدامى العرب ولكنهم لم يقدموه كمصطلح يلم بمفاهيم حوله وحول اللغة، فنجد مثلا (أبو حيان التوحيدي) في كتابه "الإمتاع والمؤانسة" قد تحدث عن أهمية الكلام حين قال " إن الكلام على الكلام صعب فأما الكلام على الكلام فإنه يدور على نفسه ويلتبس بعضه ببعضه"⁽³⁾، نفهم من قوله أن الكلام صعب إذا لم نستطيع شرح مكوناتها والتعليق عليها.

⁽¹⁾ _ Gérard Genette: Palimpsestes, La littérature au second degré, Collection poétique, Seuil, Paris, 1982, P7-11.

⁽²⁾ ينظر: جيار جينيت، أطراس، الأدب في الدرجة الثانية، تر: مختار حسني، مجلة ثقافية فكرية، العدد 16، فبراير 1990.

⁽³⁾ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، المجموعة الكاملة، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ج2، د ط، دت، ص131.

إلا أن الدراسات العربية الحديثة قد فسحت مجالاً أوسع لدراسة لغة اللغة أو اللغة الواصفة، فمنهم من اجتهد في تعريبه ومنهم من قام بترجمة المصطلح ترجمة حرفية مباشرة، فاصطلحوا على (اللغة الواصفة) بـ (métalanges) وبعضهم من ترجمه بـ (ما فوق اللغة) أو (لغة اللغة).

نجد الناقد الجزائري عبد المالك مرتاض قد تحدث عن (لغة اللغة) في أعماله ففي كتابه "في نظرية الرواية" وفي إطار حديثه عن غريماس (Greimas) وكيف ميز بين اللغة السيمائية واللغة الطبيعية" فتميز غريماس لمفهوم اللغة بصورة نهائية بين اللغة السيمائية واللغة الطبيعية فتم دمج اللسان في اللغة، فيقال "لغة اللغة" و"لسان اللسان" وإما أن يعبر عنه بطريقة حشوية فيقابل مفهوم اللغة لمفهوم اللسان الطبيعي⁽¹⁾، وكان مرتاض يقوم في قوله بمقابلة اللغة واستعمالها باللسان أو الكلام، و"لغة اللغة" كأنها وصف اللغة نفسها بطريقة حشوية، فتصبح بمثابة تعبير اللغة عن اللسان الطبيعي.

أما جابر عصفور في كتابه "النظريات المعاصرة فيذكر أن مصطلح (métalange)، هو اللغة الشارحة على حد تعبير رولان بارت في نقده البنيوي، لأنها تشرح أسباب انتهاجها لقواعد وأسس معينة وتشرح أيضا اللغة الموضوع (أو الموضوع الذي تتناوله) ويبدو أنه استعاره من زكي نجيب محمود في كتابه "موقف من الميتافيزيقا" وفي هذا يقول أنه "لتقديم نظري للوضع المنطقية في اللغة العربية على نحو أدى إلى تأصيل مفهوم "النقد الشارح" بوصفه مصطلحا يشير إلى نظام لغوي ثان ولغة شارحة لنظام لغوي أول هو لغة الموضوع"⁽²⁾ فهذا

(1) عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، ص 99 .

(2) جابر عصفور: نظريات معاصرة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط 1998، ص 272- 273.

المصطلح بحسب ما سبق يدعو إلى وصف العمل الأدبي واكتشاف دلالاته المتغيرة في كل قراءة وهذا التحديد راجع إلى طبيعة القارئ ومرجعياته، أي في ضوء اهتماماته بالنقد الأدبي الحديث الذي يعمل على الوصف والتفسير، وكان يتميز بذاتية الناقد للأعمال الأدبية في أحكامه.

في حين ربط أحمد يوسف نظرتة إلى هذا المفهوم باللسانيات الواصفة باعتبار "الكفايات اللسانية لها من الإمكانيات غير المحدودة ما تنتج به الجمل المستقيمة والمقبولة حول اللغة والتي تمتحن مدى الاستقامة والمجال لهذه الجمل حول العالم ولهذا لا يمكن التقليل من دورها في فهم آليات اللغة الواصفة"⁽¹⁾

فقد اعتبر أحمد يوسف الكفاءات اللسانية هي الفاعل الرئيسي في توليد الجمل المستقيمة نحويًا والسليمة معجميًا، وكانت بمثابة الآلية المنهجية لفهم اللغة الواصفة، حتى ينشأ خطابًا سليمًا وبمنظرة مختلفة بعلامات وأنساق سيمائية محدودة، وما يلفت النظر أن اللغة الواصفة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالسيمائيات أكثر من المناهج النقدية الأخرى، فهي تستمد مادتها منها، وتدلل عليها من خلال ما تبعته اللغة الواصفة من إشارات ودلالات ورموز مختلفة، وهذا راجع إلى اعتبار اللغة الإيحائية لغة اصطناعية (لغة واصفة) وبديهي مثلًا، أن تكون الدلائلية لغة اصطناعية لأنها تحمل على عاتقها لغة أولية، باعتبار هذه الأخيرة نظامًا ثانيًا (أو لغة - موضوع) هو النظام المدروس وما هذا النظام الموضوع سوى مدلول من خلال اللغة الاصطناعية الدلائلية"⁽²⁾

(1) أحمد يوسف: الدلالات المفتوحة، منشورات الاختلاف، الجزائر، (د. ط)، 2010، ص 171.

(2) رولان بارت: مبادئ في علم الأدلة، تر: محمد البكري، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط2، 1987، ص 138.

فالأنساق السيميائية تحيل إلى مجموعة من الدلائل وكذلك تفعل اللغة الواصفة، فهي قراءة تنعتق منها الدلالة من خلال ذاتها فهي بنيوية بذلك في الاعتماد على التحليل المنبثق، وهي لغة ما بعد حداثة في لانهائية الدلالة، فهي لغة أساسها اللعب الحر، كما أنها مؤسسة اجتماعية تمثل واقع الإنسان وتاريخه، وتكشف بواطن النفس وما يحتاجه فيها من انفعالات وعواطف ووجدان مكبوتة في أعماق النفس.

د- أهمية اللغة الواصفة:

تكمن وظيفة اللغة الواصفة في أنها "تساعد كل مستعمل للغة على الوصول لصياغة المفهوم عن طريق وصفه، ذلك في حال غياب التسمية الدقيقة يلجأ إلى توظيف ما هو موجود من الألفاظ وإخضاعها للسمة الشخصية"⁽¹⁾ فاللغة الواصفة تستعمل عموماً لوصف موضوع محدد، "ولعل الألسن الطبيعية تظل مميزة عبر هذه الخصوصية، كونها تمثل موضوعاً للوصف، ولغة واصفة في الوقت نفسه"⁽²⁾ فاللغة الطبيعية تكون بمثابة الموضوع للغة الواصفة، واللغة الواصفة بدورها شكل مميز تتجسد من خلاله اللغة الطبيعية.

هذا المفهوم الجديد للغة الواصفة (Metalangage) الذي استحدث "حاول يلمسليف أقلمته مع احتياجات السيميائية، وهاريس (Harris) مع الاحتياجات اللسانية، إذ ألح هذا الأخير بعد أن أيقن مدى أهمية العناصر الميتالسانية ومدى غنائها في اللغات الطبيعية على

(1) يوسف مقران: تبني تعليمية اللغات لنظرية التبليغ المحتكة بالمقاربة اللفظية والمقاربة المفهومية، مقالة في مجلة حوليات، العدد 16، الجزء 2، جامعة الجزائر، 2006، ص 24.

(2) ماري نوال غاري بريور: معجم المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، تر عبد القادر فهيم الشيباني، ط 1، سيدي بلعباس الجزائر، 2007، ص 70.

إمكانية وضع لغة معطاة تصف نفسها كما يدعو العالم اللغوي إلى بناء نحو كلغة واصفة وذلك بالاستعانة بأدوات وإجراءات تكمن في اللغة ذاتها (أي لغة موضوع)⁽¹⁾

فاللغة الواصفة فضلا عن كونها ذات أهمية بالغة في مجال الأدب، فإنها لغة نقد أيضا، فهي أشبه بالسيميائيات في موت وميلاد مستمرين، وإن كانت تسمى عند البعض اللغة الشارحة، فلأنها تشرح أسباب انتهاجها لقواعد وأسس معينة، وتشرح أيضا اللغة الموضوع أي الموضوع الذي تتناوله، "فإن لم يكن النقد سوى قول واصف فذاك معناه بأن مهمته ليست مطلقا اكتشاف الحقائق وإنما الصلاحيات فقط، إن القول في ذاته ليس حقيقيا ولا مزيفا، وإنما صالح أم غير صالح يقوم بشرح آلياته"⁽²⁾ فاللغة الواصفة لغة نقد أيضا لأن التحدث عن اللغة أو وصفها معناه انتقاد قواعدها، أو تركيبها.

هـ - جذور المصطلح في التراث العربي:

إنه ليس من الرأي الصائب أن نرجع أصول الآراء والنظريات والمناهج في كل مرة إلى الغرب ونقل من مجهودات علماء العربية الذين أبدعوا في مختلف العلوم الإنسانية منها والطبيعية ما يدفع هؤلاء إلى تبني هذه الآراء هو غياب المنهج عند هؤلاء العلماء والباحثين العرب، الذين ركزوا اهتمامهم أكثر على الوصول إلى النتائج بغض النظر عن وجوب العناية بالطريقة أو الكيفية التي توصلوا بها إلى تلك النتائج، إذ نلاحظ عددا من النظريات الحديثة اليوم عند

(1) - Greimas A.J et Courtes Sémiotique. Dictionnaire raisonne de la théorie du langage classique hachette .collection dirigée par Bernard Quemada . 1980,p224.

(2) دوميميك مانفو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر محمد يحياتن، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2008، ص78.

الغرب لها جذور وإشارات في التراث العربي، منع من بروزها إلى الساحة الأدبية والنقدية المنهج "ذلك وقد عني النقاد العرب القدماء بتناول النصوص الشعرية تحت أشكال مختلفة، وبمناهج وطرائق متعددة: فمن ابن سلام الجمحي إلى قدامة بن جعفر إلى الحسن بن بشر الأمدى إلى أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، إلى عبد القاهر الجرجاني وإلى ابن عبد العزيز الجرجاني وإلى أبي علي الحسن بن رشيق المسيلي القيرواني وإلى أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني في كتابه "إعجاز القرآن" حيث حاول تقرير المسألة الإعجازية مقارنة أجمل الشعر انطلاقاً من معلقة امرئ القيس بنص القرآن العظيم وإلى من لا يحصون ممن خبطوا شجرة النص الأدبي في العربية عبر العصور المواضي والدهور الخوالي..."⁽¹⁾

كانت العناية بالنص الأدبي من حيث الدراسة والتحليل محل اهتمام منذ القديم بحيث كان الخلفاء والشعراء يحتفلون بكل شاعر جديد ينبغ، ويقيمون له الأفراح والعزائم، وهذا لا يدل إلا على "عناية العرب الشديدة بالنص الأدبي تذوقاً واستمتاعاً ورواية وترويجاً ثم دراسة ونقداً وما مجالس الأدب التي كانت تعقد في سوق عكاظ ثم في المرید بالبصرة من بعد ذلك إلا تجسيدا واستمراراً للنشاط الشعري الذي كان قائماً في أعماق البوادي بين القبائل العربية"⁽²⁾ هذا الاهتمام في التراث العربي بالشعراء والنصوص الشعرية دليل على نشاط الحركة النقدية وبالتالي كان حظ اللغة كبيراً، خاصة مع تمكن أولئك المفكرين والنقاد العرب القدامى من فهم أسرار اللغة.

⁽¹⁾ عبد المالك مرتاض: ألفباء تحليل سيميائي لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد، ديوان المطبوعات الجامعية،

الجزائر، 1992، ص 14.

⁽²⁾ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

والناس يلجؤون إلى اللغة كأداة للتواصل ولكن هذه اللغة - حسب كارناب- تفترض لها نظاما منطقيًا معينًا وهذا النظام يمليه ذوق وكفاءة كل مستعمل للغة، ومن هنا نستحضر نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني الذي يعرف النظم "بأنه ضم الكلم بعضه إلى بعض والكلم ثلاثة أقسام اسم وفعل وحرف وهناك عدة طرق للنظم بينهما كتعلق الاسم بالاسم على سبيل الخبر والحال . وتعلق الاسم بالفعل على سبيل الفاعل والمفعول به ، وتعلق الحرف بهما"⁽¹⁾

ويمكن أن نربط هذا بما جاء به كارناب حول المفهوم المنطقي للغة من أنه يتشارك في تشكيلها الجانب السمانطقي، وهي الرموز والجانب السنتاطيقي وهي العلاقات التي تربط بين هذه الرموز ما يحقق انسجام الكلام.

من خلال ما تطرقنا إليه من مفاهيم حول اللغة الواصفة نستخلص أن اللغة هي موضوعها بحيث تنطلق منها لتصل إليها . فمدار البحث كله يدور في حيز يسمى حيز اللغة في ذاتها ولذاتها ، والنحو هو السبيل إلى ذلك لأن لكل مستعمل للغة طريقته وإمكانياته في نظم الكلام وهو الذي يميز بين خطاب وآخر.

⁽¹⁾ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح أحمد مصطفى المراغي، دار المكتبة العربية، القاهرة، دط، 1950، ص6.

2- المفضل والمفضليات

كان العرب أهل رواية، اضطرتهم إليها ما يعيشونه من أمية وعدم توفر وسائل تدوين العلوم والمعارف، وكانوا يتميزون بصفاء الذهن، وجودة القرائح، فسهل ذلك لهم القدرة على الرواية وحفظ العلوم، وتناقلها عن طريقها، فلما جاء الإسلام حدث انقلاب كبير في حياتهم بنقلهم من الجاهلية والامية إلى الهداية والتعلم، ومن التنقل والترحال إلى الاستيطان والاستقرار، فقد ألقوا عصا التسيار واستبدلوا المدر بالوبر، وخالطوا العجم - وكانوا أهل مدينة وحضارة وتدوين وكتابة - فتضافر ذلك مع ما حباهم به الإسلام من حث على العلم وطلبه، مع ما توافر لديهم من صناعة الورق، فازدهر رياض العلم وكثر طلابه، وذلك في بداية القرن الثاني، فبدؤوا يجمعون تراثهم اللغوي الذي هو عمادهم في سائر العلوم الإسلامية، وكان أولى هذا التراث بالجمع شعر الأسلاف من عرب الجاهلية والمخضرمين، فهو مخلص مآثرهم، ومبرز مفاخرهم، وسجل حياتهم، ومصدر علومهم، فاستحق بذلك أن يسمى : "ديوان العرب" كما أثر ذلك عن ابن عباس حين قال: "إذا سألتهم عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر العربي، فإن الشعر ديوان العرب"⁽¹⁾

وكان لجمعهم الشعر عدة مناهج، إما أن يجمعوا شعر كل شاعر على حدى كجمعهم شعر امرئ القيس وزهير، أو يجمعوا شعر كل قبيلة، كشعر هذيل، أو يجمعوا قصائد كاملة ذات معان متناسبة، ومناسبات متقاربة وأزمنة متجاورة، كجمهرة أشعار العرب والمفضليات - كتابنا هذا - والأصمعيات.

(1) السيوطي : المزهري، تح محمد أحمد جاد المولى وعلى البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ج2، ص302.

وفي القرن الثالث ظهر نوع جديد من الجمع هو اختيار شعر المعاني المستجادة، والصور المبدعة بين قصيدة وقطع أبيات، ومنه الحماسة الكبرى، والحماسة الصغرى "الوحشيات" وحماسة البحري وديوان المعاني، وما عيون كتب الأدب إلا من هذا القبيل وإن لم تختص بالشعر. والمفضليات من المجاميع الشعرية التي جمعت في هذا العصر.

أ- المفضليات:

تعتبر المفضليات أقدم مجموعة شعرية صنفت في اختيار الشعر العربي، فهي تأتي تاريخياً بعد المعلقات "وكان اسمها في البدء كتاب الاختيارات، ثم اشتهرت فيما بعد بالمفضليات نسبة إلى جامعها أو من أضفى عليها الطابع النهائي - إذا شئنا الدقة - وهو المفضل الضبي المتوفى عام 164 هـ 780 م⁽¹⁾ إذن هي مجموعة شعرية مستقلة اختارها المفضل الضبي الكوفي على خلاف ما كان من أمر المعلقات التي لم تكن إلا قصائد. لقد كانت إذا هذه الاختيارات طرازاً عالياً من الشعر، لم تكن الغاية منها جمع الشعر وحصره فقط، فهي قد كانت تنتخب في الغالب الأعم مما هو مجموع ومدون و غنما لتحقيق غايات متشعبة، ولما كان هذا المجموع المدون هو أشعار الجاهلين والإسلاميين كان طبيعياً أن تكون تلك المختارات محددة بهذا الإطار.

ب- المفضل الضبي:

هو أحد علماء الشعر الكبار ورواته و رأس علماء الكوفة في عصره، تناثرت أخباره ووردت ترجمته في مصادر غير قليلة و إن كان معظم ما ورد منها متناقل مكرور، و أكمل

(1) طاهر أحمد مكي: دراسات في مصادر الأدب، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999، ط8، ص106.

صورة ترد لنسبه على النحو الآتي: المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم بن أبي سلمة بن ربيعة بن ريان بن عامر بن ثعلبة بن ذؤيب بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة" المتوفي سنة ثمان و ستين و مائة 168 هـ.

و إذا كانت بعض المصادر تقف دون استكمال هذا النسب مكتفية بالمفضل الضبي، فذلك تحقيقاً للإيجاز لا للإخلال المعتمد ، وربما أيضاً لشهرة هذا الرجل في رواية الشعر وفضل سبقه في الاختيار المعروف بالفضليات، مما أغنى عن سرد نسبه كاملاً.

و قد وردت للمفضل الضبي في المصادر التي تناقلت أخباره كنية أبو عبد الرحمن، فياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء يذكر كنيته بعد اسمه مباشرة، حيث يقول معرفاً به:

" المفضل بن محمد بن يعلى، أبو عبد الرحمن الضبي"⁽¹⁾ وهي الكنية التي أوردها ابن النديم في الفهرست عندما أورد نسبه "...و يقال ابن أبي الضبي، و يكنى أبا عبد الرحمن"⁽²⁾

و لا ريب في أن المفضل كوفي، ولد في الكوفة و نشأ بها و فيها حصل ثقافته .لقد كان منذ صغره ميالاً إلى رواية الشعر و الأخبار .و قد غذى هذا التوجه في نفسه عوامل عدة لعل أبرزها قوة تأثير الأساتذة الذين درس على أيديهم على تميزهم و تفاوتهم في علوم ذلك العصر؛ القراءة و الحديث و تحديدا رواية الشعر و الأخبار على يد الأستاذ السماك بن حرب، إضافة إلى تأثير والده فيه و قد أجمل إحسان عباس هذه العوامل مجتمعة في قوله "و الأمر الجدير بالنظر هو كيف حدث هذا التحول في حياته و تحت أي تأثير؟ يعني بروزه في رواية الشعر و الأخبار .و الجواب عن هذا السؤال شقان :أولهما يتعلق بالنشأة، و الثاني يتصل

(1) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، دار الكتب العلمية، لبنان، ط، 1991، مج، ص5

(2) ابن النديم: الفهرست: د ط، المكتبة التجارية، مطبعة الاستقامة، القاهرة، دت، ص102.

بتحول هذين الفنين الشعر و الأخبار" (1) فقد شجعهم على ذلك الخلفاء و الولاة أنفسهم فكثيرا ما كان الخلفاء و الولاة يستقدمون هذه الفئة التي اتخذت من الرواية حرفة ترتزق منها لتنشدهم الأشعار القديمة" (2) أو لتهديب أبنائهم ويتابع إحسان عباس سرد تفاصيل ذلك موضحا أكثر بإرجاع الظاهرة إلى أسبابها الاجتماعية تارة و إلى أسبابها الثقافية تارة أخرى، رابطا السببين بالعامل الذاتي النفسي عندما حصر الدافع الأولي لذلك في الميل الطبيعي والموهبة، حيث يقول "أما عن الشق الأول فلا بد من أن يرتبط التوجه إلى الشعر والأخبار منذ الصغر بمؤثرات قوية منها الميل الطبيعي، و منها قوة الأستاذ الموجه و منها اثر البيئة البيتية، و قد عبر الميل الطبيعي عن نفسه تلقائيا حين التقت الموهبة مع الحاجة المادية، و لعل قوة الأستاذ الموجه فلعلها هكذا أ تلفتنا إلى أثر السماك بن حرب فيه، دون سائر أساتذته، فقد كان الرجل عالما بالشعر و أيام الناس....

و أما أثر البيئة البيتية فربما أشار إلى أثر والده فيه" (3) و إذا كان الحديث عن الميل الطبيعي و الموهبة إضافة إلى أثر البيئة البيتية ليس مما يثير فضول السؤال، فإن القول السابق يلفت نظرنا إلى حقيقة دامغة تثير فينا السؤال بالحاح، و ذلك بحصر الحديث عن أثر الأستاذ السماك بن حرب العالم برواية الشعر و أيام الناس دون الإشارة إلى الأساتذة الذين درسوه في علم القراءة و الحديث و هي علوم مشهورة في ذلك العصر. لعل الإجابة عن هذه النقطة يمكن تفسيرها بأن المصادر التي تناولت ترجمته حاولت أن تصل ما اشتهر به - رواية الشعر

(1) المفضل بن محمد الضبي: أمثال العرب، تح: إحسان عباس، دط، مطبعة الجوانب القسطنطينية، 1971، ص12

(2) عبد القادر هني: دراسات في النقد الأدبي عند العرب من الجاهلية حتى العصر الأموي، سلسلة المعرفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص147 .

(3) المفضل الضبي: أمثال العرب، ص12 .

و الأخبار- بمن كان لهم الفضل في توجيهه و صقل موهبته، أو لعلها تكمن في أنها حاولت أن تظهر قلة من أثروا فيه و بذلك بروزه المتميز في هذا الميدان،" و لكن الأهم من ذلك ... أنه برز في الشعر و الأخبار دون أن يكون في أساتذته من هو متميز في هذين الفنين، اللهم إلا إذا استثنينا أستاذة سماك بن حرب"⁽¹⁾

إذن، فحقيقة تميز المفضل الضبي في رواية الشعر و الأخبار تقف عليها جميع المصادر التي تناقلت أخباره مثلما لا تجد سبيلا إلى الاختلاف على نسبه إلى الكوفة" كان من أكابر علماء الكوفة، عالما بالأخبار و الشعر و العربية"⁽²⁾

عاش المفضل في فترة ازدهرت فيها الحركة العلمية والأدبية، وكانت له مساهمة كبيرة في هذه الحركة نظرا لمكانته المرموقة بين العلماء و اللغويين و الرواة، وعلى الرغم مما ذكر عن علم المفضل وإجادته في ميدان الرواية و الأخبار وأيام العرب والأمثال، إلا أن بعض الأخبار تذكر نقدا في المفضل فقد ورد عن أبي حاتم أنه قال غير مرة " كان المفضل بن محمد الضبي لا يحسن معنى بيت ولا يضبطه"⁽³⁾ وقد جاء في غاية النهاية أن المفضل " ثقة في الأشعار وغير ثقة في الحروف"⁽⁴⁾

وقد استوقف هذا الأمر (الطعن بثقة المفضل) الباحثين ومنهم الدكتور إحسان عباس فقد علل هذا الأمر "بأن السبب المباشر في ذلك هو الصراع بين العلويين و العباسيين وهذا

(1) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(2) ياقوت الحموي: معجم الأدياء، مج 5، ص 56

(3) أبو بكر الزبيدي: طبقات النحويين و اللغويين، تح محمد أبي الفضل إبراهيم، دط، القاهرة، 1904، ص 210.

(4) ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، مطبعة السعادة، مصر، 1351هـ، ج 1، ص 307.

بدوره أدى إلى الخلاف بشأن فكرة المفضليات و الباعث على تصنيفها"⁽¹⁾، ووجد باحث آخر أن السبب في ذلك " أن البصريين لم يرغبوا في أن يظهر عمل كوفي منظم ذو شأن دون أن يحبطوا ظهوره بغبار من الشكوك ودون أن ينسجوا حوله القصص و الحكايات التي من شأنها أن تقلل من فضل علماء الكوفة فيه"⁽²⁾

وأظن أن هذا السبب أولى بالقبول لا سيما وأن من آثار المنافسة و الخصومة بين رواة البصرة ورواة الكوفة تلك الرواية التي انفرد بها القالي في أمالية بأن الأصمعي وتلاميذه قد أسهموا في المفضليات وذهبوا إلى أن المفضل كان أديبا " يهتم بأيام العرب وأنساب البدو وعلى الأخص الشعر العربي ولم تكن تعنيه قضايا النحو واللغة"⁽³⁾

لكن هذا غير صحيح ذلك أن أبرز علماء الكوفة اللغويين كانوا تلاميذ المفضل أمثال الكسائي وابن الأعرابي... الخ ضف إلى ذلك أن العلماء الكبار أمثال المفضل كانوا ذوي إحاطة شاملة بجوانب الثقافة العربية القديمة بكل وجوهها، فكانت اللغة والأشعار والأخبار تتخلل دروسهم وكانت آنذاك العلوم متداخلة لم ينفصل أحدها عن الآخر كذلك كان كل عالم منهم يقيم حلقة علمية تتسع للجميع.

وقد ألقى المفضل الضبي اختياراته هذه على من كان يحضر مجلسه طلبا للعلم والشعر، وقد حظيت المفضليات باهتمام الرواة و اللغويين و الشراح بل فاقت شهرتها اختيارات

(1) المفضل الضبي: أمثال العرب، ص12

(2) زكي ذاكر فجر العاني: المفضل الضبي حياته وآثاره، أطروحة ماجستير تربوية ابن رشد، جامعة بغداد، 1983، ص179.

(3) المفضل الضبي: أمثال العرب، ص73.

الأصمعي ذلك لأن المفضل قد ضمن اختياراته قصائد كاملة في حين كانت الأصمعيات توصف باختصار الرواية.

ج- منهج المفضل في الاختيار:

اختار المفضل لشعراء من مختلف أنحاء جزيرة العرب وعددهم ستة وستون شاعراً، منهم سبعة وأربعون جاهلياً، وقد اختار لهم تسعاً وتسعين قصيدة، وخمسة عشر شاعراً مخضرمًا اختار لهم سبعةً وعشرين قصيدة، وأربعة شعراء إسلاميون أمويون واختار لهم خمس قصائد. ويظهر أن المفضل قد اعتمد في اختياراته على شعر المقلين ولم يعتمد على شعر الكثيرين وإن كان قد اختار لبعضهم، وهذا يعضد القول بأنه صنف اختياراته في بغداد وقد سبق ماورد عن استماع المنصور للمهدي وهو ينشد المفضل قصيدة المسيب بن علس: أرحلت من سلمى بغير متاع ... وأنه أشار على المفضل بأن يعتمد لأشعار المقلين فيختار منها للمهدي، وهذه الإشارة لا تكفي لحصر نسبة فكرة الاختيار من أشعار المقلين للمنصور. فالمفضل هو صاحب فكرة الاعتناء بشعر المقلين ورواية أجوده بدليل أن الخليفة وجد ابنه ينشد قصيدة لشاعر من المقلين المجيدين في الجاهلية، فقد أشار أبو عبيدة إلى أن النقاد "اتفقوا على أن أشعر المقلين في الجاهلية المسيب بن علس، والمتلمس وحصين بن الحمام المري"⁽¹⁾

لقد تميزت أشعار المفضليات عن غيرها من المجموعات الشعرية وذلك أن شعراءها لم يختصوا بفض شعري معين كأصحاب المراثي وغيرها، ولم يكن جميعهم من ولاء قلبي أو تيار عقائدي واحد كشعراء هذيل أو تميم، كما لم تجمع بينهم علاقات خاصة تميز حياتهم

(1) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تح أحمد محمد شاكر، دط، دار المعارف، مصر، 1966، ص394.

كالصعاليك مثلا، لكن هناك من القدماء من رأى أن هناك سمات خاصة ميزت أشعار المفضليات وجعلت هذه الأشعار ذات سمات فنية مشتركة ومن هؤلاء العسكري في كتابه الصناعيتين وهذه السمات هي:

1- اشتغالها على شعريقل تداوله.

2- احتوت أشعار المفضليات على الغريب"⁽¹⁾

يتضح مما سبق علو كعب المفضل وتوفيقه في الاختيار، فالشعر الجيد لا يقاس بالكثرة وإنما بالرصانة والإحكام، وأن شعر المكثرين من أمثال امرئ القيس وزهير والنابغة وعنترة من الجاهليين، والنابغة الجعدي وحسان من المخضرمين، وجريير والفرزدق والأخطل وغيرهم من الإسلاميين شائع على ألسنة الناس، فالأولى بالرعاية والرواية عند المفضل هو جيات القصائد لدى الشعراء المقلين لأن معظم الناس لم يطلعوا عليه.

ومع هذا فإن في المفضليات قصائد مشهورة جدا وفي غاية الروعة ومن جانب آخر فإن السمة الغالبة على هذه القصائد هو سمو لغتها وتميزها كما نجد أن المفضل في مختاراته هذه قد اختار المقطوعات كما اختار قصائد طوال، فاختر للمرقش الأصغر بيتين من الشعر، في حين اختار لسويد بن أبي كاهل قصيدة طويلة بلغت من الطول مائة وثمانية أبيات، كما أنه لم يكن ملزما بعدد معين من القصائد أو المقطوعات فقد اختار مثلا لتأبط شراً قصيدة واحدة واختار قصيدتين للكحلبة، وثلاث قصائد للجهميخ، فقد قصد المفضل الضبي في مفضلياته إلى التنوع ولم يعتمد إلى نسق موحد في اختياراته كما حصل في معرفته، فهو متنوع المعرفة واسع

(1) أبو هلال العسكري: الصناعيتين، تح محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، مصر، د ت، ص 9.

اللغة حرص على حفظها وسلامتها من خلال اختيار القصائد التي أعجبتة ووجد فيها ضالته التي يبحث عنها.

للمفضل الضبي عدة مصنفات يقع في البدء منها كتاب الاختيارات الذي سمي فيما بعد المفضليات الذي تبوء مكانة مرموقة بين مجموعات الشعر القديم بالإضافة إلى قيمته التاريخية وإبقائه على جانب مهم من الشعر الجاهلي وحفظه من الضياع وله أيضا كتاب الأمثال الذي يعد من أقدم كتب الأمثال " ويحتوي على مجموعة من الحكايات و الخرافات والنتف التاريخية"⁽¹⁾

د- الباعث على الكتاب: (الأسس الفنية التي قام عليها اختيار المفضل):

لقد راح الدارسون يبحثون عن الدوافع التي أملت على المفضل جمع هذا الاختيار وتدوينه، و في هذا يرجع الرواة الأسس الفنية التي قام عليها اختيار المفضل الضبي إلى أمرين:

أولهما: رغبة الخليفة و ذوق المفضل الخاص. وقصة ذلك أن المنصور قد مر بالمفضل ذات يوم و المهدي ينشد قصيدة المسيب بن علس* فلم يزل واقفا من حيث لا يشعر به حتى استوفى سماعها، ثم صار إلى مجلس له و أمر بإحضارهما، فحدث المفضل بوقوفه و استماعه لقصيدة المسيب و استحسانه إياها، و قال له: لو عمدت إلى أشعار الشعراء المقلين و اخترت لفتاك لكل شاعر أجود ما قال لكان ذلك صوابا، ففعل المفضل.

(1) رودلف ز لهائم: الأمثال العربية القديمة، تر، رمضان عبد التواب، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة، دت، ص73.

* - مطلعها: أَرَحَلتَ مِن سَلْمَى بِغَيْرِ مَتَاعٍ قَبْلَ الْعُطَاسِ وَرَعَتْهَا بُوْدَاعِ

و هو موقف يكشف عن تدخل الخليفة في طبيعة الاختيار و تحديد مجال الاختيار أيضا؛ بأن يكون من الشعراء المقلين في الديوان "فالرواية تفسر اختيار المفضل لقصائد أصبحت في مجموعها تعرف بالمفضليات و تنسب اقتراح الاختيار إلى المنصور، و أنه أستشير إليه عرضا وأن يكون ما يختار لأجود ما روي لهم"⁽¹⁾

و الرواية تحدد الدافع الذي حرك المفضل إلى جمع هذا الاختيار، و تنزع عنه فضل إبداع الفكرة، و تؤكد بكل وضوح ذوق المفضل و رؤيته لما يمكن أن يفيد في تأديب تلميذه المهدي ، و درايته بالشعر العربي و علمه به، و إحساسه الدقيق في تمييزه الجيد منه، بما يؤكد علمه بأشعار العرب و مذاهب الشعراء و معانيهم فيه.

و بهذا فالرواية يمكن أن تلخص فكرة المفضليات في الجملة التالية: رغبة الخليفة و ذوق المفضل الخاص.

ثانيهما: تأشير إبراهيم و اقتراح المنصور.

أما التفسير الثاني لاختيار المفضليات، فهو ما تخبرنا به رواية أخرى تذهب إلى أن إبراهيم بن عبد الله بن حسن، حين كان مستترا عند المفضل من عيون العباسيين، و كان المفضل يخرج و يتركه وحيدا، فطلب إلى المفضل أن يزوده بكتب يتسلى بها و يطرد ما يعتريه من ضيق صدر أثناء وحدته، فأتاه المفضل بشيء من أشعار العرب، فاختر منها قصائد عددها سبعون، و كتبها مفردة في كتاب . و هناك رواية تقول علم عليها و زاد عليها قصائد أخرى.

⁽¹⁾ المفضل الضبي: أمثال العرب، ص20

و تكشف هذه الرواية أيضا دور إبراهيم بن عبد الله و فضله على المفضل الضبي في حفظ الجيد من الشعر و التمثل به، حتى أنه نال إعجاب المفضل نفسه أولا، و أنها منقولة عن المفضل نفسه ثانيا، بينما الرواية الأولى منقولة عن أبي عكرمة الضبي. بل إن إقرار المفضل بدور إبراهيم يأخذ سياقاً أشد حين يتأدى على النحو الآتي: "قال العباس بن بكار قلت للمفضل الضبي: ما أحسن اختيارك للأشعار، فلو زدتنا من اختيارك فقال: و الله ما هذا اختيار لي، و لكن إبراهيم بن عبد الله بن حسن، استتر عندي فكنت أطوف و أعود إليه بالأخبار، فيأمرني و يحدثني، ثم حدث لي خروج إلى ضيعتي أياما فقال لي: اجعل كتبك عندي لأستريح إلى النظر فيها فجعلت عنده قمطرين فيهما أشعار و أخبار، فلما عدت وجدته قد علم على هذه الأشعار، و كان أحفظ الناس للشعر و أعلمهم به، فجمعته وأخرجته، فقال الناس اختيار المفضل".⁽¹⁾

و الرواية تنزع عن المفضل فضل الذوق في اختيار الأشعار و تنسبها إلى إبراهيم

بن عبد الله بن حسن و قد علق إحسان عباس على الروایتين بإحساسه الدقيق و إلهامه الكاشف مدللاً على تكامل الروایتين قائلاً "و ليس من العسير أن نجعل الروایتين متكاملتين؛ و نقول: أن لإبراهيم الفضل في التأشير على تلك القصائد و أن المفضل وجد الفرصة سانحة حين كان يؤدب المهدي ليلقيها عليه، و أن أبا جعفر المنصور كان يجهل القصة، فلما سمع قصيدة المسيب و استحسناها اقترح القيام باختيار قصائد حياذ يحفظها ابنه، فطابق ذلك ما كان لدى المفضل".⁽²⁾

(1) المرجع السابق، ص 21.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

هـ- نواة المفضليات:

اختلف في عدد هذه المجموعة الشعرية، فابن النديم يذكر أنها تشتمل على 128 قصيدة، وذكر غيره من أنها 126 قصيدة أضيف إليها أربع بعد ذلك، كما اختلف في نسبة هذه المجموعة كاملة إلى المفضل فقيل إن المفضل لم يختار منها إلا ثمانين ثم زاد الأصمعي وتلاميذه سائرهما، وقيل إن المفضل جمعها في الأصل ثمانين ليثقف بها المهدي، ثم زاد عليها بعد ذلك. وتذكر الرواية أيضا أن نواتها كانت سبعين قصيدة أفردها إبراهيم بن عبد الله بن حسن بالكتابة أو علم عليها، ثم أضاف إليها المفضل ما أضاف، وأن هذه القصائد بلغت مئة و"أزيد هنا أن أبا عكرمة ... ذكر أن ما أخرجه المفضل منها ثمانون قصيدة، ألقاها على المهدي، ثم قرئت هذه على الأصمعي فبلغت مائة وعشرين قرأها عليه تلامذته.. وأنهم استقر أول الشعر فأخذوا من كل واحد خيار شعره وضموه إلى المفضليات حتى بلغت ذلك العدد و سألوه عما فيها من معاني الشعر و غريبه فكثرت جدا حتى بلغت مائة و عشرين، وهي مئة و ثمانية و عشرون قصيدة، و قد تزيد و تنقص، و تتقدم القصائد و تتأخر حسب الرواية عنه، و الصحيحة التي رواها ابن الأعرابي"⁽¹⁾

إن هذه الأخبار و المرويات عن كتاب المفضليات تقودنا إلى التضارب الواضح في عدد قصائد هذه المجموعة مرة، و في نسبتها كاملة إلى المفضل الضبي مرة أخرى، كما تقودنا إلى ملاحظة قد لا تبدو ذات قيمة لكنها جديرة بالتسجيل، فالزيادة عن الأصل كانت من المفضل نفسه عندما أضاف إلى القصائد الأولى التي كان يثقف بها المهدي قصائد أخرى

(1) محمد ابن إسحاق ابن النديم: الفهرست، ص312.

عندما قام بإصدار هذه المنتخبات في كتاب، كما كانت الزيادة من الأصمعي و بعض تلامذة المفضل عن الأصل إلى أن تمت إلى العدد الذي ضمه الكتاب في الأخير.

و- قيمة المفضليات:

تأتي قيمة المفضليات من أنها أقدم مجموعة صنفت في اختيار الشعر العربي، إذ كان الرواة قبلها يصنفون أشعار القبائل، يضمون فيها أشتات شعر كل قبيلة على حدة، ويجعلون كلا منها كتابا، أو ما ذكر من أمر المعلقات التي لم تكن إلا قصائد لم تجعل في مجموعة مستقلة و التي كثر الحديث عنها في كتب الباحثين والدارسين منهم و المحدثين، و بذلك "فقد أحرز المفضل سبقا في صنيعه هذا في جمع مختارات الشعر العربي" لأول مرة . و تأتي قيمة المفضليات أيضا من أنها رويت من أحد الرواة الثقة الذين حفظوا الشعر ونقلوه بأمانة و دقة ممن لا يرقى الشك إلى روايتهم، و الذي حصل الإجماع على توثيقه من الكوفيين و البصريين و شهدوا له بالعلم و الدقة و الأمانة و سعة المعرفة بأشعار الجاهلية وأخبارها و أيامها، و خبرته الكبيرة بأنساب العرب"⁽¹⁾

و مما يدل على سعة ثقافة صاحب الديوان و صدق روايته و دقتها البالغة موقفه من حماد الراوية أحد الرواة المشهورين . فهو يراه " قد سلط على الشعر ما أفسده فلا يصلح أبدا "⁽²⁾

وهو اتهمه لحماد بما أحدثه من خلط في أشعار القدماء. فالديوان صادر إذا عن صاحب ثقافة أشتهر بمكانته بين الرواد الأوائل من رواة الشعر والأدب و أيام العرب "⁽³⁾

(1) مي يوسف خليف: القصيدة الجاهلية في المفضليات، مكتبة غريب، القاهرة، دط، ص9.

(2) ياقوت الحموي: معجم الأدياء ، مج5، ص515

(3) مي يوسف خليف: القصيدة الجاهلية في المفضليات ، ص11.

و أصحاب العلم من البصريين و الكوفيين الذين أجمعوا على توثيقه، شهدوا له بالدقة والأمانة و سعة المعرفة و صدق الرواية.

فجاء ديوانه صادرا عن " أوثق من روى شعر الأوائل، فهو واسع الثقافة، وافر الحظ منها، صادق الرواية، و قد عد من المحدثين، و كان ذا خلق و دين .فقد كان يكتب المصاحف ويقفها على المساجد تكفيرا عما كتبه بيده من شعر الهجاء"⁽¹⁾

و عليه إذن فإن المفضليات هي من أهم المجموعات الشعرية في التراث الأدبي عند العرب والمسلمين،و من أوثق مدوناتهم الشعرية و الأدبية و أغناها لغة و علما، و خصوصا و قد صنفت لتعليم و تأديب ولي عهد الخليفة أبي جعفر المنصور في العصر العباسي"⁽²⁾

فالمفضل الضبي حين جمعها كان يهدف إلى تحقيق غاية تعليمية و تثقيفية بالدرجة الأولى "و أغلب الظن أن المفضل لم يكن يهدف إلى تأليف مجموعة نهائية لا سبيل إلى التبديل فيها، وإنما كان بصدد مختارات يغلب عليها الطابع التعليمي و التثقيفي"⁽³⁾ الذي قصد به و لي العهد المهدي " و قيل أن المفضل جمعها في الأصل ثمانين ليثقف بها المهدي"⁽⁴⁾ و بهذا، فقيمة الكتاب تزداد كلما تنوعت زوايا النظر إليه، فقد استوفى القيمة عندما كان الأول في مجموع الاختيارات التي عرضت للشعر العربي .و استوفى القيمة أيضا عندما صدر من رجل شهد له الجميع بالثقة في الرواية، و المعرفة و الثقافة الواسعة بالشعر العربي،

(1) المرجع السابق،الصفحة نفسها .

(2) المفضل الضبي :المفضليات، تحقيق قصي الحسين، دار مكتبة الهلال، بيروت،دط، ص13.

(3) الطاهر أحمد مكي :دراسات في مصادر الأدب،ص106، 107.

(4) فوزي أمين :دراسات في الشعر الجاهلي، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، دط ،2002،ص15.

واستوفى القيمة من الهدف الذي توخاه له أصلا المفضل الضبي عندما قصد به الغاية التعليمية و التثقيفية لابن الخليفة.

و تزداد قيمة الكتاب أكثر، عندما ننظر إلى العصر على مستويات الحياة العربية في الجاهلية من حيث اشتمل عليه من أيام العرب و أخبارهم، و ما تضمنه من أحداث تاريخية حفظها لنا؛ فقد مثل لنا علاقات القبائل بعضها ببعض و ما دار بينها من أيام و أحداث . كما نقل لنا صورة الطبيعة و البيئة الجغرافية فرأينا الصحراء و عرفنا كثيرا من أماكنها و تنقلنا فيها، و شاهدنا حيواناتها.

إن كتاب المفضليات يكفيه قيمة أنه حفظ اللغة بما جاء فيه من كلمات لم ترد في المعجم فأثبتها، و هذا ما أكده شوقي ضيف بقوله " لو لم يصلنا من الشعر الجاهلي سوى هذه المجموعة الموثقة لأمكن وصف تقاليد ووصفا دقيقا . فقد مثلت جوانب الحياة الجاهلية، ودارت مع الأيام و الأحداث، و علاقات القبائل بعضها ببعض، و بملوك الحيرة و الغساسنة و انطبعت في كثير من الكلمات المندثرة الجغرافية"⁽¹⁾ ثم يضيف قائلا" و قد جاء فيها غير قليل من الكلمات المندثرة التي لم ترد في المعجم اللغوية على كثرة ما أثبتت من الألفاظ المهجورة مما يرفع الثقة بها و يؤكدها"⁽²⁾

و أخيرا، يكفي أن تعتبر المفضليات مصدرا من مصادر الشعر العربي . و الشعر كما نعلم أحد أقسام الأدب، و الاهتمام بدراسة الأدب تعني العناية بالناحية الفنية و الجمالية من جهة، و المؤثرات البيئية الاجتماعية و الثقافية التي تأثر بها الشاعر من جهة ثانية . و قد

(1) شوقي ضيف :العصر الجاهلي، دار المعارف، ط 10، ص177 .

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

عكست المفضليات هذين الأمرين سواء فيما تعلق بالناحية الفنية والجمالية من حيث "نسق التعبير و حسن الصياغة اللفظية، و ما يحتويه النص من فكر و وجدان و ما يضيفه الخيال من صور تكسب التعبير قوة مؤثرة، أو ما في ما نستطيع أن نتبينه من آثار البيئة و المجتمع الذي عاش فيه الشاعر أو الشعراء .و العلاقة بين أفراد المجتمع، و بينهم و بين جيرانهم وطرق معيشتهم و مبلغ ثقافتهم، و القيم الخلقية و الإنسانية السائدة بينهم"⁽¹⁾

ح- شروح المفضليات:

لقيت المفضليات إقبالا من دارسي اللغة العربية عامة و من أدائها خاصة فكان كل منهم يجد فيها ضالته المنشودة، وهذا ما حدا بالعلماء إلى تعليمها طلاب العلم وشرحها لهم والموجود بين أيدينا من تلك الشروح هو هذه الشروح:

1- شرح أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري رواه عنه ابنه أبو بكر محمد بن

*

القاسم بن محمد بن بشار الأنباري وهو أقدم هذه الشروح وقد قام بتحقيقه المستشرق

الإنجليزي " كارلوس يعقوب لايل " وطبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين

ببيروت سنة 1920م في ثلاث مجلدات احتوى المجلد الأول على النص العربي واحتوى

(1) أحمد علام: المفضليات، وثيقة لغوية و أدبية، دار أبها للثقافة و النشر، الرياض، 1984، ط 1، ص 122 .

*- محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة، أبو بكر الأنباري المعروف بابن الأنباري و الأنباري أبوه وهو أبو محمد القاسم، ولد في بغداد سنة (271هـ) واستقبل حياته في رعاية أبيه القاسم وتلقى الأدب و العلوم من أبيه و علماء آخرين، وكان إماما في اللغة و النحو و الأدب و القراءات و التفسير، أدبيا ثقة خيرا من أهل السنة و من جملة تصانيفه التي حفظها التاريخ هي: الأمثال- اللامات- الأمالي- شرح المفضليات - المقصور و الممدود- كتاب الألفات- عجائب علوم القرآن- الواضح في النحو- خلق الإنسان- المذكر والمؤنث- شرح الكافي... الخ كما صنع طائفة من دواوين شعراء الجاهلية و الإسلام منهم زهير- النابغة- عنترة- الأعشى... الخ وقد توفى ابن الأنباري سنة 304هـ.

المجلد الثاني على ترجمة كاملة له باللغة الإنجليزية واحتوى المجلد الثالث على الفهارس التي صنعها المستشرق الإنجليزي "بيقان" للشرح ثم أعادت مكتبة المثني ببغداد تصوير المجلد الأول (النص العربي) ونشره دون أي تغيير وهذه هي النسخة التي اعتمدت عليها في دراستي ثم قام الأستاذان عبد السلام هارون و الشيخ أحمد شاكر- رحمهما الله- بإعادة تحقيق نصوص قصائد المفضليات تحقيقاً علمياً وافراً مع شرح الأبيات ملخص عن شرح ابن الأنباري.

ونجد في مقدمة شرح ابن الأنباري الإشارة إلى المنهج الذي اتبعه ونسبة القصائد إلى المفضل دون غيره، والرواية هي: حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري قال: "قرأت على أبي هذا الكتاب والتفسير ... قال أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري : أملى علينا عامر بن عمران أبو عكرمة الضبي هذه القصائد المختارة المنسوبة إلى المفضل بن محمد الضبي إملأء مجلساً مجلساً من أولها إلى آخرها، وذكر أنه أخذها عن أبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي، وذكر أنه أخذها عن المفضل الضبي ..."⁽¹⁾

التزم ابن الأنباري بالمنهج الذي وصفه في المقدمة فكان يورد رواية أبي عكرمة للأبيات وتفسيره لها أولاً ، ثم يورد آراء غيره من العلماء الذين ذكرهم ثم يشفع ذلك بإيراد تفسير أبي جعفر أحمد بن عبيد للأبيات وروايته لها إن كانت تخالف رواية أبي عكرمة.

⁽¹⁾ ابن الأنباري :شرح ديوان المفضليات ،تح كارلوس يعقوب لاييل، دط ،مطبعة الأباء اليسوعيين ، بيروت، 1920،ص1.

- *
2- شرح التبريزي بتحقيق فخر الدين قباوة.
- **
3- شرح الأخفش و المعروف بـ (كتاب الاختيارين) و المطبوع منه بتحقيق فخر الدين قباوة مجلد واحد فقط، و البقية مفقودة، وهذا المطبوع ليس كله من المفضليات، فمنه ما هو من الأصمعيات، ومنه ما هو من غيرها.
- ***
4- شرح المرزوقي وهو مخطوط منه نسخة محفوظة بمكتبة برلين بألمانيا، ونسخة في مركز التراث بجامعة القرى وقد تم تحقيق جزء من أوله.
- ****
5- شرح أبو جعفر النحاس (أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحوي المصري المعروف بابن النحاس).
-
- * - يحيى بن علي الشيباني، عرف بالخطيب التبريزي، أحد أئمة اللغة و النحو من تلاميذ أبي العلاء، درس في المدرسة النظامية ببغداد وله تصانيف جملة أشهرها: شرح الحماسة و السبع الطوال و المفضليات و ديواني أبي تمام و المتنبي و سقط الزند و كلها مطبوعة و مشهورة توفيت سنة 502هـ عن عمر يناهز الثمانين عاما.
- ** - أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل، ولد حوالي سنة 235هـ و أخذ العلم عن المبرد و ثعلب و غيرهما من علماء البصرة و الكوفة توفيت سنة 315هـ.
- *** - أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني: أحد أعلام اللغة و الأدب و النقد في القرنين الرابع و الخامس الهجريين، أخذ علوم اللغة و النحو عن أبي علي الفارسي و خلف تصانيف دلت على علمه و فضله من أشهرها: شرح الحماسة و شرح المفضليات و الأزمنة و الأمكنة و شرح المشكل من أبيات أبي تمام و كتاب الأمالي- توفيت سنة 421هـ.
- **** - أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي من علماء مصر المشهورين في القرن الرابع الهجري و كنيته أبو جعفر و اشتهر بلقبه النحاس وله تصانيف جملة أشهرها: إعراب القرآن- شرح القوائد التسع المشهورات- القطع و الإئتلاف معاني القرآن- التفاحة في النحو... إلخ توفيت النحاس سنة 338هـ.

6- شرح أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني* صاحب مجمع

الأمثال.

وتختزن هذه الشروح الشعرية كثيرا من مناهج الشراح واختلاف اتجاهاتهم وتنوع مشاربهم وتعدد آليات القراءة عندهم، ولعل تسخير مهاراتهم العلمية وثقافتهم الأدبية في شرح النصوص الشعرية، يجعل القارئ يقف على ما يتمتع به هؤلاء الشراح من حس جمالي وذوق رفيع أكسب الشروح الشعرية أبعادا جمالية بديعية، جعلت منها موضوعا يغري القارئ المحلل، ويدفعه إلى استجلاء مواطن الجمالية فيه.

هذا ولعل هناك شروح كثيرة لم تر النور بعد إما لفقدها أو لعدم وصول يد باحث إليها في أرفف المكتبات التراثية.

أما طبقات المفضليات فأقدم ما طبع منها الجزء الأول، أخرجه المستشرق توربوك في ليبزيغ سنة 1885م، ثم طبعت كاملة في مصر في جزأين وصححها وعلق عليها تعليقا بسيطا أبو بكر بن عمر داغستاني المدني سنة 1324هـ ثم طبع المستشرق ليال شرح الأنباري كاملا في مطبعة الآباء اليسوعيين، ببيروت سنة 1920م، على نفقة كلية أكسفورد. ثم تولى الأستاذ حسن السندوبي طبع المفضليات مع شرح موجز في مصر سنة 1345هـ، ونشرت المفضليات كذلك بتحقيق عبد السلام محمد هارون وأحمد محمد شاكر، وظهرت الطبعة الأولى سنة 1942م

* - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني أحد الأدباء المتميزين في القرن الخامس الهجري، ليس لدينا ما يفيد عن تاريخ ولادة الميداني إلا أنه ولد ونشأ في نيسابور ونسبته إلى ميدان زياد محلة فيها ومن كتبه مجمع الأمثال - نزهة الطرف في علم الصرف - السامي في الأسامي - الهادي للشادي - شرح المفضليات.
تجمع المصادر على أنه توفي رحمه الله في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة 518هـ.

والثانية 1952 م والثالثة 1964 م، كما نشرت المفضليات بشرح التبريزي في دمشق سنة 1971 م، بتحقيق فخر الدين قباوة. ونشر الشرح نفسه الأستاذ علي محمد البجاوي سنة 1977 م في القاهرة.

3- الشرح:

أ- مفهوم الشرح:

لا يمكن النظر في مفهوم (الشرح) بمعزل عن مفاهيم أخرى مشدودة إليه بأكثر من سبب وهي (التفسير) و (التحليل) و (التأويل) و للكشف عما يجمعها في إطار الحقل التصوري الواحد وعما يميز بينهما لأبد من الوقوف على المادة المعجمية لكل واحد منهم:

أما الشرح فهو "الكشف، يقال شرح فلان أمره أي أوضحه وشرح مشكلة "بينها وشرح الشيء يشرحه شرحاً وشرحه فتحه وبينه وكشفه وكل ما فتح من الجواهر فقد شرح أيضاً: تقول شرحتُ الغامض إذا فسّرته و الشرح الفتح و الشرح البيان و الشرح الافتضاض للأبكار"⁽¹⁾

فالشرح حسب ما ورد في اللسان هو الكشف والفتح و البيان و الفهم و الافتضاض.

أما التفسير عند ابن منظور فهو "فسّر الشيء يفسره بالكسر و يفسره بالضم فسراً وفسّره أبانه و التفسير مثله ابن الأعرابي:

التفسير و التأويل معنى واحد، وقوله عز وجل "وأحسن تفسيراً"

الفسرُ كشفُ المغطى و التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل"⁽²⁾

فالتفسير هنا بمعنى الإبانة و الكشف عن المغطى في اللفظ الغريب و المشكل.

(1) ابن منظور : لسان العرب، م2، مادة (ش رح)، ص292.

(2) المرجع نفسه، مادة (ف س ر)، ص1095.

أما التحليل فهو " وحلُّ العقدة يحلها حلاً: فتحها ونقضها فانحلت (...) وكلُّ جامد أذيب فقد حلَّ (...) وفي حديث أبي قتادة: ثم ترك فتحل أي لما انحلت قواه ترك ضمه إليه، وهو تفعل من الحلّ نقيض الشدِّ (...)»⁽¹⁾

و التحليل حسب ما ورد في لسان العرب هو الفتح و النقض في حين نجد أن التأويل عند ابن منظور في كتابه لسان العرب هو:

" أوّله وتأوّله فسره (...) وسئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن التأويل فقال: التأويل والمعنى والتفسير واحد (...) التأويل جمع معاني ألفاظ فقال: أشكلت بلفظ واضح لا إشكال فيه (...) التأويل و التأوّل و التأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إلا ببيان غير لفظه (...) التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء"»⁽²⁾

ونجد هنا حسب ما جاء في لسان العرب التأويل بمعنى التفسير و الناظر بأناة فيما يصل بين المصطلحات السابقة يلحظ أن صاحب اللسان يسخر بعضها لتعريف بعضها الآخر فقد حد الشرح بالتفسير وحد التفسير بالتأويل أكثر من مرة وعد الشرح أيضا ضربا من " الافتضااض و التحليل" ولما كان الشرح على هذه الصلة بالتحليل و التفسير و التأويل توصلت جميع المصطلحات على محور الفهم من أجل إدراك القصد أي قصد الكاتب من خلال ما يكتبه أو يقوله وبين هذه المصطلحات تصورات جامعة تؤلف بينها على نحو يجعلها تضطلع فيه بنفس الوظيفة الدلالية، وإن تعددت العلامات وتباينت وقبل الدخول في صلب الموضوع علينا أن

⁽¹⁾ المرجع السابق، ج1، مادة (ح ل ل)، ص706.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ج1، مادة (أول)، ص131.

نوضح الأصول التي وضعها السلف في شرح النص وتوارثها الخلف منهم وقد تجلت على ثلاثة

أصعدة هي:

- **نواة الشرح:** وهي البيت الشعري كوحدة دنيا فهو عندهم النص وعليه المدار.
- **حدود الشرح:** فالشارح امتدت عنايته إلى نصين نص المقام ونص المقال.
- **نمط الشرح:** إذا كان الشارح يتعامل مع النص الشعري تعاملًا ثلاثي الأبعاد: البعد اللغوي، والبعد المعنوي، والبعد الفني.⁽¹⁾

وقد اختلفت الشروح باختلاف مناهج الشراح ومذاهبهم وطرائقهم واتجاهاتهم، سواء أكان منها ما هو فني أم طريقتهم في فهم النصوص وشرحها والاتجاهات العلمية التي كانوا يقصدونها حين يتصدرون لشرح الشعر بهدف زيادة بيان وتوضيح ما يلتبس أمره على المتلقي.

ب- حركة الشروح عند العرب:

إن للشعر عند العرب تاريخ طويل لاسيما وأن حضارتهم انبنت من أساسها عليه فوظفوا النص الديني لفهمه وسخروا الشعر لفهم النص الديني وطوعاً الاثنان لخدمة اللغة وضبط رصيدها وبذلك ظهرت الحاجة الماسة إلى فهم الشعر العربي نفسه، وجمع ما يساعد على ذلك من ملابسات كأيام العرب وأخبار الشعراء وأنسابهم، ومن هنا ظهر ما يسمى بالشرح الشعري، وأصبحت الحاجة أكثر إلحاحاً في ظروف لاحقة، فبعد انطلاق اللغة العربية في ركاب الفاتحين وخروجها من بيئتها البدوية و تغلغلها في الأمصار الإسلامية وتعرضها للأخطار نتيجة لاعتناق الشعوب الأعجمية الإسلام واتخاذهم لغته لساناً لهم فقد تغير

⁽¹⁾ أحمد الودرني: شرح الشعر عند العرب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص201.

الوضع وتعد ذلك لأن الأشعار القديمة وطأت بيئة حضارية تختلف عن بيئتها البدوية، فكانت بعيدة عن الأفهام غريبة على الأذهان فكان على العلماء أن يدللوا غامضها ويشرحوا معانيها تارة في المجالس و المساجد وحلقات العلم وأخرى عن طريق تصنيف الدواوين وتأليف الشروح، وقد كان الشرح في البداية بسيطاً غير مرتب لا يتعدى تفسير كلمة غريبة أو ذكر مناسبة تاريخية أو توضيح قائل البيت، وغاية الشارح إتمام عملية الرواية الأدبية وكان يقوم بهذا الشرح - شفاهة - رواة متخصصون اتخذوا من الشعر وسيلة للتعيش والتكسب، ثم تطور الشرح الشعري شيئاً فشيئاً مع مرور الزمن وهذا ما نلاحظه من خلال هذه التقسيمات لأجيال الشراح.

• الجيل الأول:

كان الشرح في هذه الفترة عملية يقوم بها الشعراء أنفسهم أو الرواة المحترفون وكان عبارة عن تفسير لفظ أو تحديد مكان أو توضيح لاسم شاعر أو ذكر مناسبة... الخ إلى أن وصل عصر التدوين - في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني - وبدأت براعم الشرح الأولى في الظهور حيث وجه الرواة والعلماء ركائبهم صوب البوادي العربية لجمع اللغة والشعر والأخبار بالرغم من أن اهتمامهم الأول كان يرتبط بالعلوم الدينية، إلا أنهم وجدوا أنفسهم يدرسون اللغة ويحاولون التعرف على أسرارها ونوادرها وكان على رأس هؤلاء العلماء الرواة " أبو عمرو بن العلاء (154هـ) الذي أولى النواحي اللغوية عنايته واهتمامه وظل طوال حياته يجمع أشعار العرب القدماء ملحقاً بها شروحا مع بعض الملاحظات اللغوية، ونهج نهجه

وسلك سبيله عيسى بن عمر (149هـ) و حماد (155هـ) و المفضل الضبي (168هـ) وأبو الخطاب الأخفش (177هـ) وخلف الأحمر (170هـ) ويونس

بن حبيب (182هـ) ... وغيرهم⁽¹⁾ وقد كان نتاج هؤلاء في مجال الشرح استمراراً لتقديم ذلك لأنهم كانوا ينقلون عنهم فكان بذلك شرحهم بسيطاً بعيداً عن التعقيد وإن ظهرت فيه بعض المحاولات حول بعض اللمحات النحوية و الصرفية و المناسبات التاريخية التي تتصل بالشعر، واقتصر شرح هذا الجيل على تصحيح الروايات، أو ذكر روايات أخرى والالتفات على اختلافها نتيجة لتعدد المصادر و البيئات التي استمدوا منها آثارهم الشعرية، فكان الشرح بذلك ذو بعد توثيقي يتمثل في توثيق اللغة والعادات و التقاليد و النصوص الأدبية والنقدية التي كادت أن تضيع لولا رواية أمثال المفضل الضبي، وفي هذا يقوم أحد الباحثين " ولظاهرة شرح الشعر من قبل المفسرين اتصال متين من ناحية أخرى بظاهرة جمع الشعرذاته من قبل الرواة و المدونين ولذلك كان شراح الشعر في البداية هم أنفسهم رواة ذلك الشعر"⁽²⁾

و الشرح في هذه الفترة لم يكن مقصوداً لذاته بل كان يأتي عرضاً أو تسجيلاً لحدث أو تأييداً لرواية أو تفسيراً للفظ، وقد قيل بأن "الأخفش هو أول من فسر الشعر تحت كل بيت وما كان الناس يعرفون ذلك قبله وإنما كانوا إذا فرغوا من القصيدة فسروها جملة، وأغلب الظن أيضاً أن الأخفش لم يقصد إلى أن يكون للشعر شرح بمعناه المعروف ولكنه أول من قطع

(1) أحمد جمال العمري: شروح الشعر الجاهلي، ج1، ص195.

(2) محمد الهادي الطرابلسي: بحوث في النص الأدبي، دط، الدار العربية للكتب 1988، ص62.

الشعر بالوقوف عند كل بيت لغلبة النحو و اللغة فاستمرت هذه العادة عند الشراح بعده⁽¹⁾ وكل هذا كان يصب في نطاق الرواية الأدبية الخالصة.

• الجيل الثاني:

كان علماء هذا الجيل أكثر تحصيلًا وأوسع نشاطًا وبرزت مواهبهم العلمية في مجال اللغة، والشعر والأخبار والنقد، وكانت جهودهم امتدادًا واستكمالًا لنشاط الجيل الأول ومن أمثال علماء هذا الجيل " أبو عبيدة (210هـ) وأبوزيد الأنصاري (215هـ) والأصمعي (216هـ) وأبو عبيد (224هـ) وأبو نصر الباهلي (231هـ) وابن الأعرابي (231هـ) وأبو عمرو الشيباني (231هـ) ومحمد بن سلام (231هـ) ... وغيرهم⁽²⁾ وكان جميع علماء هذا الجيل يتفقون في الاهتمامات من حيث رواية الشعر و اللغة و الأذواق، فهم جميعًا يحبذون الشعر القديم ويتفقون أيضًا في رواية الأخبار و الأنساب و النوادر و الشعر و الجمع و التدوين، ويختلفون في القدرة على الجمع و الاستيعاب و في الثقافة و المذاهب، وهذا نتج عنه اختلاف في رواية الألفاظ و الشرح و المعنى، والإعراب، ولكن في هذا الخلاف المتشعب كانت تظهر أهم السمات الفنية للشارح ومقدار ثقافته ولهذا وضع عندهم جانب التركيز على ناحية معينة وأصبحت لونا ظاهرا من ألوان اهتمام كل واحد منهم التي قد لا ينازعه فيها غيره وكانوا للأمانة العلمية ينسبون كل رأي إلى صاحبه ويذكرون الآراء بحيادية مهما كانت مخالفة لهم في التفسير،

(1) التبريزي : شرح ديوان أبو تمام: تح محمد عبده عزام، دار المعارف، مصر، 1964، ص13.

(2) أحمد جمال العمري: شروح الشعر الجاهلي، ج1، ص208.

والسمة الغالبة على شرح هؤلاء العلماء أنهم كانوا يهتمون بالجزئيات دون الكليات بل الاهتمام بجزء أو بلفظة من البيت دون البيت كله.

فجهود الجيل الأول والثاني إذن لم تكن الغاية منها شرح الشعر قصداً أو صناعة وإنما كان الغرض منها هو الرواية والنقل على أسنة السابقين.

• الجيل الثالث:

كانت مادة الشروح التي أنتجها علماء الجيل الثاني هي مبحث دراستهم ومن أمثال علماء هذا الجيل " أبو نصر الباهلي و محمد بن حبيب، وابن السكيت و المازني و أبو عكرمة الضبي وأبو حاتم، و الرياشي و الطوسي و الحرمازي وغيرهم"⁽¹⁾ ونجد علماء هذا الجيل مقيدين بما سمعوه من أساتذتهم معتبرين أنه الحجة والكلام الموثق الذي لا رجوع فيه، ولكن اتكأ علماء هذا الجيل على صنيع أساتذتهم لم يمنعهم من التفنن والابتكار فكان نتيجة لهذا الجهد أن خرج في عهدهم إلى النور العدد الوفير من الشروح على الدواوين و المختارات الشعرية فإذا كانت شروح الجيلين السابقين تهتم بالجزئيات لذا جاءت بسيطة فإن شروح هذا الجيل كانت أوسع وأكمل حيث أنهم كانوا يهتمون بكل عنصر من عناصر النص الشعري الذي يشرحوه.

(1) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

• الجيل الرابع:

علماء هذا الجيل ورثوا صنيع العلماء السابقين في شكل دواوين ومختارات شعرية مشروحة مدللة غلب عليها كثرة الروايات واختلافها، وتباين شروحيها ومن أمثال هؤلاء العلماء " السكري و ابن قتيبة وأبو حنيفة الدينوري و المبرد و الأشناندي و الفضل بن سلمة والأحول و ثعلب و من في طبقتهم"⁽¹⁾ كما أن الديوان الواحد لم يحظ باهتمام وجهود عالم واحد وإنما توفر على جملة من العلماء الشراح، وكان لكل منهم مصدره وروايته وأساتذته الذين يعتمدون عليهم وكان لكل منهم مذهبه الفني الخاص به، و منهجه الخاص أيضا في الشرح، و الرواية، وهذا ما نلاحظه في صنيع السكري الذي توفر على شرح دواوين كثيرة، فقد جلتها ووصلت بعضها مثل شرح أشعار الهذليين وشرح "ديوان جران العود" وإلى جانب السكري نجد ابن قتيبة صاحب "الشعر و الشعراء" و المبرد صاحب "الكامل" و الأشناندي صاحب "معاني الشعر" (ت 288هـ)، و ثعلب الذي صنع بعض الدواوين و الشروح للأعشى

و النابغتين، ومن خلال هذه الشروح ندرك أن أبرز ما تتسم به هو التوسع في الشرح ومحاولة التتبع و الجمع لآراء السابقين، و الحرص على إيضاح المشكلة وتعليلها وتفسير الغامض منها ومع شيء من حسن العرض والتأليف، وقد نتج لنا من خلال هذا التعدد في الشروح عنصر المنافسة و التطور و الاجتهاد، فهم لم يكتفوا بالنقل فقط وإنما اجتهد كل منهم في عمل مستقر يبرز علمه و منهجه، فقد كانوا ينظرون في أعمال سابقهم ويقابلون، بينها ويصححون الروايات ويختارون أفضلها، ويكملون النقص وينقلون الزيادات الواردة في الروايات،

(1) المرجع السابق، ص 247.

فإذا كانت جهود الجيل الثالث منصبة على صناعة الدواوين فخرجت إلى الناس تحكى تفردهم في العلوم والأدب وتبرز شخصيتهم فإن علماء الجيل الرابع قد جمعوا بين هذه الدواوين وانتقوا منها أحسن ما فيها واختاروا رواياتها وأقربها إلى مقصود الشاعر.

• الجيل الخامس:

ومن علماء هذا الجيل "أبا محمد الأنباري ... يمثل العناية باللغة والتاريخ وابنه أبا بكر يجمع بين اللغة و النحو وأبا رياش ... يسلك السبيل التاريخي و اليزيدي ... يلتزم جانب المعاني"⁽¹⁾ وما نلاحظه على هؤلاء العلماء أنهم برزوا كل في دائرة علمه وتخصصه وأصبحت هذه الدائرة مجالاً لنشاطهم وهذا لا يعني أن السابقين لم تكن لهم اتجاهات وتخصصات محددة، ولكن مناهج علماء هذا الجيل كانت من الوضوح و التحديد بحيث فرضت نفسها فعرفوا بها وعرفت بهم، ولهذا تجدهم يسهبون ويستطردون في شروحهم لتشمل كل ما يتصل بالنص من قريب أو بعيد، فالشرح مع علماء هذا الجيل تطور كثيرا لاسيما بعد أن خرجت دواوين الشعراء المحدثين وأصبحت تحاكي دواوين الجاهليين وتنافسها فارتبط الشرح عندئذ " بجانب توضيح الألفاظ وتفسير المعاني - النص على تقدم الأفكار وتطور الأساليب وعرض صور البيان وإبراز أثر الثقافة فيها وإظهار عنصر الابتكار و التجديد على الرغم من محاكاتها للقديم في معظم الأحيان كما احتاج الأمر إلى توضيح البناء الداخلي للشعر"⁽²⁾ وقد وضع عند علماء هذا الجيل عنصر التعمق في البحث والتحري و الاستقصاء وتبويب

(1) المرجع السابق ، ص275.

(2) المرجع نفسه، ص286.

القصاصد و المقطعات حسب الموضوعات وترتيبها أبجديا حسب حروف المعجم العربي وأول من قام بهذه العملية هو أبو بكر الصولي وسار بعده العلماء على هذه الطريقة التي لا يزالون يتبعونها حتى اليوم.

• الجيل السادس:

تطور شرح الشعر عند علماء هذا الجيل فنيا ومنهجيا لا سيما وأنهم جمعوا بين علوم شتى وثقافات عدة ولهذا كانت حصيلتهم رائعة ومن أمثال علماء هذا الجيل نجد "السيرافي وابن خالويه والآمدي وأبو القاسم البصري وأبو أحمد العسكري والروماني والمرزباني والنمري وابن جني وأبو هلال وغيرهم"⁽¹⁾ وقد غلب على شروح هذا الجيل عنصر المقارنة و النقد لاسيما التطبيقي و التوجيهي وكثرت فيه المؤلفات العلمية وبهذا كانت السمة الغالبة على هذه الشروح هي التركيز و التعمق و التحديد و الموضوعية.

• الجيل السابع:

اهتم علماء هذا الجيل من أمثال "أبو عبد الله الاسكافي وأبو محمد الأعرابي وأبو طالب العبدي وأبو الحسن الربيعي و أبو علي المرزوقي ومن في طبقتهم"⁽²⁾ بالتفنن في استعراض المعاني واستخراج أكثر من معنى للبيت الواحد عوضا عن الاهتمام المسهب في المسائل النحوية و الصرفية و الإعرابية وهذا لإظهار الاقتدار و البراعة فكان الشارح على الرغم من أنه يعرف جيدا المعنى الذي كان يقصده الشاعر إلا أنه يذهب لبيحث عن معان أخرى

⁽¹⁾ المرجع السابق، ص288.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص325.

للقصيدة كما نجد أن ظاهرة النقد قد طغت على شروح علماء هذا الجيل كالمرزوقي مثلا الذي كان جل إنتاجاته في شرح الشعر، فله كتاب (شرح الحماسة وكتاب شرح المفضليات وكتاب شرح الفصيح، وكتاب شرح أشعار هذيل وكتاب شرح الموجز وكتاب شرح النحو) بالإضافة إلى كتابين في شرح شعر أبي تمام وهما (كتاب الانتصار وكتاب المشكل من أبياته المفردة)، ضف إلى ذلك المعري الذي هو أيضا من أكبر أعلام الشرح في الأدب العربي إذ شرح لنفسه وشرح لغيره.

كما نجد أيضا أن علماء هذا الجيل قد أخضعوا التراث الشعري العربي القديم والمحدث إلى نوع من النقد المقارن وكان همهم إيجاد وجوه الاختلاف و الجودة و الرداءة بين التراثين.

• الجيل الثامن:

من علماء هذا الجيل " أبو محمد الغندجاني، أبي العلاء المعري وأبي الطاهر البرقي، وابن الدهان وابن سيده، والواحدي و البطليوسي و الأعلام الشنتمري، والزوزني ومن في طبقتهم"⁽¹⁾ وكان هم علماء هذا الجيل توضيح المعاني في إطار من الإيجاز والاختصار مع عدم إهمال الجوانب التوضيحية الأخرى (نحوية أو لغوية)، ولم يقتصر شرحهم على الشعر الجاهلي وحده، بل اهتموا بالشعر المحدث أيضا وكانت غايتهم توضيح الشعر جميعه وإن اختلفت عصوره وفنونه وكان هذا فرصة لإجراء المقارنات ومعرفة الزقات وتوضيح المذاهب والاتجاهات، فالسمة الغالبة على شروح علماء هذا الجيل إذن هي الاهتمام بمعاني الشعر القريبة،

⁽¹⁾ المرجع السابق، ص333.

والمحتملة و الجائزة، ونلاحظ في شروح هذا الجيل كثير من عناصر النقد الفني التدوقي وكان بعضه موجه إلى الشعراء و البعض الآخر إلى الرواة وكل هذا لجعل الشروح قريبة إلى الأذهان ميسرة لا إفراط فيها ولا تفريط.

• الجيل التاسع:

انصبت اهتمامات علماء هذا الجيل من أمثال "التبريزي والفصيحى و الطبري و الميداني والشيرازي وغيرهم"⁽¹⁾ في قوالب الغاية التعليمية تخدم طلاب العلم الراغبين في التزود بأمور الدين و الدنيا وهكذا أصبحت هذه الشروح تتدارس مع غيرها من العلوم و الفنون كما أن شراح هذا الجيل كانوا يراعون في شروحهم طلاب العلم المبتدئين بالإضافة إلى متعة المتمرسين فظهر في صنيعهم هذه الرؤية الجديدة التي تقوم على التنسيق و التكامل وأصبحت هذه الشروح وسيلة من وسائل اكتساب الثقافة اللغوية، والسمة الغالبة عليها هي التخفيف من أثقال الحشو لاسيما وأنها كانت جمعية و نقلية، تعتمد على كل الشروح السابقة بلا استثناء، نقلا واختصارا وتكميلا وقد مثل الخطيب التبريزي بداية هذا المنحى حيث أعاد شرح كل من الحماسة و المفضليات وديوان المتنبي و المعلقات السبع وكتاب سقط الزند لأبي العلاء المعري، ثم يأتي بعد ذلك أبو البقاء العكبري (ت 616) حيث عني بجمع آراء من سبقه من الشراح و استسفائها.

وهكذا فقد كان القرن الخامس الهجري نهاية لعملية الإبداع الفني في الشرح وبداية لفترة الجمود وأصبح شرح الشعر الجاهلي شيئا معاداً مكرراً لا يقدم جديدا يذكر وفي

⁽¹⁾ المرجع السابق، ص364.

العصور المتأخرة ظهر ما يسمى بنثر الشعر بالمقابل لشرح الشعر، يذكر البيت أو البيتان ويظل الشارح أو الناثر يدور حولهما وقد يحتاج شرحه هو إلى شرح آخر. وقد أتيح بعد القرن السادس الهجري وفي القرون التي تلت، ثقافة التلاخيص و المختصرات حتى مثلت منحى في التأليف ارتبط بعنصر الانحطاط الحضاري والركود الثقافى وظل هذا الضعف يخيم على العرب حتى عصر " النهضة" العصر الذي أحيى فيه العرب تراثهم تحقيقا وضبطا وشرحا ومثل هذا الطور ناصيف اليازجي (1871م) وعبد الرحمن البرقوقي (1944م).

ثم عقب هذه المرحلة ما يسمى بطور التحديث الذي أعاد فيه العرب قراءة التراث بوسائل حديثة بما في ذلك من العلوم اللسانية والأسلوبية.

وفي الأخير إن إشارتنا إلى أجيال هؤلاء العلماء كان أساسها العلاقة التي تربط جيلا بجيل وهي علاقة الأستاذية القائمة على الأخذ والعطاء، فكل جيل من الأجيال كانت له علاقة بسابقه ولاحقه.

ومن خلال ما سبق نستنتج أن شراح الشعر القدماء فهموا أن الشرح ما هو إلا تلخيص موجز للمعنى وفهموا أيضا من تتبع عناصر الشرح أنه يتحتم عليهم تفسير كل ما في النص من لغة، أو نحو أو أخبار أو بلاغة، لذلك جاءت شروحهم في معظمها وقد غلب عليها لون أو أكثر من هذه الألوان، وما كان ذلك إلا لأنهم كانوا في مجموعهم نحاة ولغويين وإخباريين ومفسرين للقرآن.

الفصل الأول

وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: النص الديني

المبحث الثاني: الجانب التاريخي:

المبحث الثالث: الاجتماعيات:

المبحث الرابع: المرجعيات:

المبحث الخامس: الرواية

تمهيد:

للشعر الجاهلي عامة وللمفضليات خاصة، مكانة مرموقة بين ما أثر من أدب العرب طوال حياتهم التاريخية، منذ ذلك الزمن البعيد الذي عاشوه في حدود الجزيرة العربية إلى العصور التي انتشروا فيها، حاملين مشاعل الإسلام في مختلف بقاع الأرض. وما من عصر من عصور التاريخ الطويلة التي عاشت فيها الأمة العربية إلا وبرزت فيه العناية الواضحة بالشعر الجاهلي والمفضليات بروزاً واضحاً، كأنهم ورثوا طبيعة الحرص على هذا التراث. وذلك لأن الشعر الجاهلي يعدّ أهم مصدر من المصادر التي يستمد منها الباحثون في دراسة تاريخ هذه الأمة وحضارتها ولذلك عني الباحثون في الأدب العربي والمشغوفون بها في البلاد العربية وغيرها بدراسة هذا الأدب هذا من جهة، ومن جهة أخرى إن الشعر كان يحتل مكانة مرموقة بين الناس وأصبح شاعره جزءاً مهماً في نظام القبيلة يمجد بطولاتها ويصور آمالها ويفخر بمآثرها. ولما كانت المفضليات بوصفها جزءاً من هذا الميراث القيم فلا يخامرنا شك أن هناك أسباباً مهدت لنشأة شروح الشعر عامة والمفضليات خاصة، منها: سبب تاريخي، وسبب لغويّ وسبب عاطفي. ومن أهم هذه الشروح القديمة شرح ابن الأنباري للمفضليات وسيخص هذا الفصل لدراسة المقام الخارجي والداخلي لهذا الشرح.

مفهوم المقام : " هو مجموعة الأوضاع النفسية، والاجتماعية، والتاريخية، أو العناصر غير اللسانية التي تحدّد بثّ ملفوظ أو أكثر في فترة من الزمن محدّدة وفي مكان بعينه. أما في اللسانيات فعوضاً عن المقام يقع الحديث عن السياق أو السياق المقامي"⁽¹⁾

(1) أحمد الودرني : شرح الشعر عند العرب ،ص44.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

وينهض المقام على عدة أطر تتواصل تراكباً أو تعاقباً. ويعمد الشارح إلى أن ينزل ضمنها النصَّ الشعريَّ باعتباره حدثاً قولياً يرتبط بأحداث غير لسانية مؤثرة فاعلة فيه ، لذا أمكن النظر في نوعين من المقام :مقام خارجيّ يضمّ :الجانب الديني والتاريخ .والاجتماعيات، ومقام داخليّ يضم جانب الرواية.

المبحث الأول

النص الديني

1- القرآن الكريم

2- الحديث النبوي

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: الجانب الديني

النص الديني:

1- القرآن الكريم:

نزل القرآن الكريم فكان معجزة تحدى بها الله - سبحانه وتعالى - العرب، بل الناس كافة ووقف إزاءه المشركون عاجزين عن الإتيان بمثله، فقد أنزل بلغة عربية فصحة، ولما كان الشعر ديوان العرب وعنوان مفاخرهم، فهو المرآة الصادقة لحياتهم والصورة الحية لأفكارهم وآلامهم، ومطامحهم فهو الذي حفظ للعرب مجدهم الأدبي الأصيل وهذا يجعلنا نفهم أن جميع العرب شعراء فمن لم يمتلك من العرب موهبة نظم الشعر، لابد أن يتذوقه ويحفظ منه ويستشهد به.

ومن هنا نعلم أن هناك رابطة قوية، وعلاقة متينة بين القرآن الكريم والشعر العربي، بدليل قول ابن العباس -رضي الله عنه- "الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه"⁽¹⁾ ومن خلال ما ذكر ندرك الصلة الوثيقة بين الشعر العربي والقرآن الكريم إذ لا سبيل لإحكام العربية بمنأى عن معجزاتها اللغوية الخالدة (القرآن)، فلا غرابة أن تكون لغة الشعراء الأولى ذات وقع قرآني.

ويعد القرآن الكريم أرقى مصادر الاستشهاد على الإطلاق، لكونه الكلام الذي لا يأتيه الباطل "فحجته كافية هادية لا يحتاج مع وضوحها إلى بيعة تعدوها أو حجة تتلوها، وإن

(1) جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، بتح محمد أبي الفضل، المكتبة العصرية، بيروت، 1987، ص.78.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: الجانب الديني

ذهابها كالذهاب عن الضروريات والتشكك في المشاهدات"⁽¹⁾ ولأنه الكتاب الذي بهر كفار قريش بجمال أسلوبه وحلاوة ألفاظه فقد نقل عن الوليد بن المغيرة، بعد أن سمع شيئاً من القرآن الكريم قوله: "والله لقد سمعت منه كلاماً ما هو من كلام الأنس... وأنه ليعلو ولا يعلى عليه، وما يقول هذا بشر"⁽²⁾ فقد كانت لغة القرآن الكريم هي الأفصح وإن أي مستعمل لهذه اللغة في غير القرآن لا تكون بفصاحة استعمالها فيه، وهذا يعود إلى نظمه الذي أثبتته ابن المقفع ومن بعده ك (عبد القاهر الجرجاني) في كتابيه (أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز).

وعلى الرغم من ذلك كله كانت الاستعانة بالقرآن في الشرح أقل من الشعر العربي القديم، وقد فسر بعض العلماء قلة الاستشهاد بالقرآن الكريم بسبب التحرز الديني فذهب الدكتور محمد العيد إلى ذلك فقال "إن الذي يفسر كل ذلك سبب واحد هو التحرز الديني ومع هذا السبب لم يستطع أحد من العلماء الذين تحدثوا عن الاستشهاد بنص القرآن أن ينكر حجته، ثم يعلن هذا في آدائه أمام أحد"⁽³⁾ وربما قد يكون سبب قلة الاستشهاد بالقرآن كونه معجزاً جاء متحدياً للشعر والشعراء، فكان من الأنسب - في نظر الدارسين - أن يعتمدوا في دراستهم على الشعر خوفاً أن يستأثر القرآن بكامل الأهمية ويترك الشعر بلا دراسة ولا اهتمام وهذا ما لم يردده العلماء لأن في هذا الأمر انتقاصاً من أهمية الشعر الذي جاء القرآن متحدياً له .

(1) أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي: إعجاز القرآن، تح السيد أحمد صقر، ط3، دار المعارف، مصر، 1963، ص3.

(2) السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي: البيان في تفسير القرآن، ط3، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، 1974، ص57.

(3) محمد عيد: الرواية والاستشهاد باللغة، ط1، عالم الكتب، مصر، 1972، ص126 - 127.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: الجانب الديني

ويرى الباحث أنه لا يوجد انصراف كلي عن الاستشهاد بالقرآن الكريم وإنما كان ذلك لكثرة الشعر وسرعة تناوله وحفظه وتغلغه في النفوس أثر في زيادة الاستشهاد به على الاستشهاد بالقرآن الكريم، وكذلك فإن العلماء العرب استشهدوا بالشعر العربي ليثبتوا أن القرآن موافق تماما لما جاء عن العرب ومن جنس صنعتهم ومن جنس ما يتقنون، فهو النازل بلغتهم فضلا عن هذا فإن القضايا التي يستحضر من أجلها الشاهد هي قضايا نقدية تهتم بالشعر بالدرجة الأولى ولعل ذلك يعود أيضا إلى ميسرة الرجوع إلى القرآن الكريم والاستشهاد بآياته، قد لا يعطي مؤشرا على ما لدى المستشهد من جديد.

بيد أن ابن الأنباري قد عزز شرحه بآيات من القرآن الكريم بغية وضوح المعنى الذي ذهب إليه وتوكيده، فكأنما هي إحالة منه للقارئ إلى القرآن الكريم ومعانيه كما في شرحه لبيت تأبط شرا:

كالحقْفِ حَدَاهُ النَّامُونَ قَلْتُ لَهُ دُو ثَلَّتَيْنِ وَدُوْبِهِمْ وَأَرْبَاقٍ⁽¹⁾

يقول: "لم يروي هذا أبو عكرمة قال أحمد بن عبيد يعني حقف رمل وهو المجتمع منه قال وأما أبو عبيدة فقال الحقف وجمعه أحقاف وهي الرمال، وكانت الأحقاف رمالا قبل عمان إلى حضرموت قال وكانت منازل عاد قال: عز وجل "واذكر أبا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف"-

الآية 21- من سورة الأحقاف قال وإنما حقفه اعوجاجه"⁽²⁾

(1) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات، ص16.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: الجانب الديني

يشرح ابن الأنباري بيت تآبط شرا وذلك بذكر قول أحمد بن عبيد الذي عده المجتمع من الرمل، ثم انتقل بعد ذلك إلى قول أبو عبيدة الذي قال عنه بأنه رمل فقط، ثم ذكر أن الأحقاف رمال كانت مقابل عمان كما قال أنها كانت منازل عاد مستشهدا على ذلك بتفسير آية من كتاب الله عز وجل لتأكيد ما ذهب إليه.

فالشارح بالإضافة إلى أنه كان يحرص على ضمان صحة الرواية والثقة في المصدر مما جعله يتوخى الدقة في النقل، فإنه كان إذا حدث خلاف أو إنكار أيضا حول شرح مفردة أو مفردتين استشهد بالقرآن الكريم، فقد اعتمد عليه كونه أهم مصادر المرويات العربية ووظيفه لبلاغته وبيانه كما في شرحه لمطلع قصيدة المثقب العبيدي⁽¹⁾

أَلَا إِنَّ هَذَا أَمْسٍ رِثٌ جَدِيدُهَا وَضُنْتُ وَمَا كَانَ الْمَتَاعُ يُؤُودُهَا

"رث أخلق وجديدها جديد وصلها والظن البخل والمتاع ماتمتعه به من سلام ونحوه يؤودها يعجزها، ويثقلها: يقال أدني الشيء يؤودني أودا إذا أعجزك وأثقلك : ومنه قول الله تعالى :

" وَلَا يُؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ" - الآية 255 من سورة البقرة وقال الطوسي المتاع ههنا وداعها إياه وتسليمها عليه ويقال أطال الله بك الإمتاع والمتعة وقال حكاها ابن الأعرابي ويقال يؤودها يثقلها ويشق عليها⁽²⁾ . بدأ ابن الأنباري شرحه بشرح كلمة "رث" التي عدها بمعنى "أخلق" ثم شرح كلمتي "الظن ويؤود" بعد ذلك فسر الآية رقم 255 من سورة البقرة

(1) المصدر السابق، ص 302 .

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: الجانب الديني

مستشهدا بها وذكر رواية الطوسي في شرح كلمة الإمتاع وانتقل بعدها إلى رواية ابن الأعرابي.

نلاحظ أن الشارح في الغالب الأعم يذكر معانيه استنادا إلى شروح أساتذته حيث تظهر صورة هؤلاء الأساتذة واضحة في شرحه، خاصة حين يجمع أقوالهم معا حول شرح بيت واحد راصدا بتلك الاستشهادات مظاهر التقاطع بين النص الديني والشعر.

وهنا نلاحظ أيضا عناية ابن الأنباري الكبيرة بشرح الألفاظ وتحديد مدلولاتها وإبراز ما بينها من ترادف معنوي، أو ترابط موضوعي تكون عادة تمهيدا لذكر معنى البيت على أن هذا المعنى غالبا ما يكون مختصرا ومركزا.

صَايَ اللَّوْنَ وَطَرْفَا سَاجِيَا أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ مَا فِيهِ قَمْعٌ⁽¹⁾

"الساجي الساكن والقمع كمد في لحم المؤق وورم فيه: يقال قمعت عينه تقمع قال

أبو جعفر ومؤقا الساجي الساكن الذي ليس كثير التحرك وقال القمع حمرة تكون في العين وفسادا في المؤق: قال أبو عمرو هوبثر يخرج في أشفار العين تسميه تميم الجدجد وتسميه ربيعة القمع: قمعت العين تقمع قمعا وعين قمعة وسجا الطرف يسجو سجوا إذا سكن وهو طرف ساجي: ومنه قول الله عز وجل "وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ" - الآية الثانية من سورة الضحى - ذكر ابن الأنباري شرح كلمتي "الساجي والقمع" ثم روى عن أبي جعفر شرح جملة "مؤقا الساجي"

⁽¹⁾ المصدر السابق، ص 383.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: الجانب الديني

وانتقل بعدها إلى رواية أبي عمرو مع الإشارة إلى اختلاف اللهجات من قبيلة لأخرى واستشهد بعدها بالآية الثانية من سورة الضحى من القرآن الكريم مع التفسير.

وابن الأنباري اعتمد على القرآن الكريم للتدليل على أهمية ما يذكره لأن هذا الأخير كتحصيل حاصل يبقى أحد أهم المرويات العربية فالأمر لا يحتاج إلى بيان، نظرا للمادة القصصية المعتبرة التي وردت فيه، وهي مادة تناولت قصص الأنبياء وأخبار الأمم السابقة⁽¹⁾

يَشْوِي لَنَا الْوَحْدُ الْمُدْلُ بِحُضْرِهِ بِشَرِيحِ بَيْنِ الشَّدِّ وَالْإِيرَادِ⁽²⁾

يقول "الوحد الثور أو الحمار الذي ليس مثله شيء من حسنه قد فاق قرناه: أي هذا الفرس من شدة عدوه يلحق أشد الوحش عدوا وقوله يشوي لنا أي كأنه لما صاده هو شواه والمدل المفتخر المباهي والحضر العدو: يقال أحضر إحضارا إذا عدا والشريح الخليط والإيراد أشد الشد وروي أبو جعفر وغيره يشوي بضم الياء وقال بشريح يخلط بين الشد الشديد وبين الرفق لا يجهد نفسه والإيراد أراد الإرواد ويروي فيصيدنا العير ويروي الإرواد قال والمدل بحضره الوثائق بأنه لا يدرك إذا أحضر والإرواد أن لا يعطي الفرس عنانه كله أي يمنعه راكمه أن يستفرغ جريه ومنه قوله تعالى "أَمْهَلُهُمْ رُؤْيَا" - الآية 17 من سورة طارق - وأصله من الرفق والسكون والمعنى أنه يشوي أصحابه الحمار أي يطعمهم لحمه شواء يجري بين هذين الجريين

⁽¹⁾ إبراهيم صحراوي : السرد العربي القديم، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008، ص78.

⁽²⁾ ابن الأنباري: شرح ديوان المفضليات، ص456.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: الجانب الديني

الشديد والضعيف"⁽¹⁾

ذكر ابن الأنباري شرح كلمة "الوحد" ثم جملة "يشوي لنا" و"المدل، والشريح والإيراد وروى عن أبي جعفر وغيره ليشرح لنا بعد ذلك كلمة "الإرواد" مستشهدا على ذلك بالآية رقم 17 من سورة طارق.

ونلاحظ هنا أنه من خلال الشرح يفرض فروضا معينة على نفسه لا يتعدها لشرط الالتزام الذي قيد عقله ولسانه به، وهو لا يقول فيما تناوله أساتذته شيئا وسنورد النموذج التالي الذي يوضح المنهج المعتمد من طرفه في شرح الآيات على شواهد من القرآن الكريم:

وَدَوِيَّةٌ غَبْرَاءٌ قَدْ طَالَ عَهْدُهَا تَهَالِكُ فِيهَا الْوَرْدُ وَالْمَرْءُ نَاعِسٌ⁽²⁾

"الدوية القفر التي يدوي فيها الصوت لخلائها: وهي الداوية: وقال الفراء كان الأصل في داوية دوية فكرهوا اجتماع واوين فصيروا إحداهما ألفا فقالوا داوية: وقال الأصمعي دوية منسوبة إلى الدوي وقوله تهالك أي تسرع السير وأراد بالورد هنا الإبل هذا قول أبي بكرمة: والورد جزوك الذي يقرؤه ويروي والمراد حامس وهو جمع مروة وهي حجارة وحامس حام حار ويقال الورد الإبل الواردة والورد الإبل العطاش: جاء في التفسير في قول الله تعالى «وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا» - الآية 86 من سورة مريم - أي منقطعة أعناقهم من العطش"⁽³⁾

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه، ص 464

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: الجانب الديني

بدأ ابن الأنباري الشرح على النحو التالي :

- ذكر شرح كلمة الدوية.
 - روى عن الفراء شرح كلمة "داوية".
 - روى عن الأصمعي شرح كلمتي "دوية وتهالك".
 - روى عن أبي عكرمة شرح كلمة "الورد".
 - ذكر شرح كلمة "المرو".
 - ذكر شرح كلمة الورد واستشهد على ذلك بأية من كتاب الله عز وجل
- نلاحظ أن ابن الأنباري كان ملتزماً بآراء وأقوال السلف من أساتذته يعتمد على رواياتهم وتفسيراتهم في جميع النواحي، فشرحه إذا كان يقوم أساساً على السماع والرواية والنقل ولكن القرآن الكريم هو الأساس الذي اعتمد عليه قبل هذه الأمور كلها لاسيما لتوضيح المفردات، وتقريب المعنى إلى الأذهان لأن لغته ليست غريبة عنهم وإنما نزل القرآن بأفضل وأسمى اللغات وقد شرفت هذه اللغة بنزوله فيها، هذه اللغة هي نفسها التي نظم فيها الشعراء شعرهم وهي التي لها مكانة خاصة في نفس العربي لأنها لسانه الذي يتحدث به، ووسيلة تعبيره عن نفسه فمن الطبيعي أن لا يغفل ابن الأنباري عن هذا المصدر وهذا النبع الصافي الذي شرفت به اللغة وحفظت به، وقد أسهم إلى جانب ذلك في إضفاء صبغة ثقافية معرفية على شرحه بما تضمنه من أحكام شاملة وأخبار تخص الأمم السابقة فحافظ بذلك على

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: الجانب الديني

حيوية اللغة العربية ونقائها، وبهذا يمكن القول بأن القرآن الكريم كان له أثر كبير في تحديد كثير من المفاهيم والمصطلحات وتحديدها ودراستها.

2- الحديث النبوي الشريف:

مما لا شك فيه أن الحديث النبوي الشريف مصدر أصيل ، ومنبع ثري من مصادر الاستشهادات اللغوية والنحوية " فلا يعرف في تاريخ العرب - بعد القرآن الكريم - كلام قط أعمّ نفعاً ولا أصدق لفظاً ، ولا أعدل وزناً ولا أجمل مذهباً ولا أكرم مطلباً ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين عن فحواه من كلامه عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم"⁽¹⁾ فهو قمة في البلاغة والفصاحة إذ هو قبس جاء بأرقى الأساليب العربية صياغة بعد القرآن الكريم وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- عن نفسه "أنا أفصح العرب بيد أني من قريش..."⁽²⁾ وقد أضاف بعض العلماء أقوال الصحابة والتابعين التي أقرها صلى الله عليه وسلم ،وقد بين "الشيخ محمد الخضر حسين" المقصود به بقوله "وتشتمل كتب الحديث على أقوال النبي -صلى الله عليه وسلم- وعلى أقوال الصحابة تحكي فعلا من أفعاله -صلى الله عليه وسلم- أحوالا من أحواله أو تحكي ما سوى ذلك من شؤون عامّة أو خاصّة تتّصل بالدين، بل يوجد في كثير من كتب الحديث أقوال صادرة عن بعض التابعين،أو أقوال

(1) الجاحظ: البيان والتبيين ، تح عبد السلام هارون ، ط5 ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،1985، ج1 ،ص14 .

(2) الخوارزمي : الفائق في غريب الحديث، ضبطه وصححه وعلق حواشيه :علي محمد البجاوي ،محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1 ، دار إحياء الكتب العربية ،القاهرة ،مصر ،1945 .

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: الجانب الديني

وكذلك نرى المؤلفين في غريب الحديث يوردون ألفاظا من أقوال رسول الله، وهذه الأقوال المنسوبة إلى الصحابة أو أقوال بعض التابعين..⁽¹⁾

وكان الواجب أن يأتي -الحديث النبوي الشريف- في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم في صحة الاستشهاد والاحتجاج به في علوم العربية كافة دون تمييز ولكن مسألة الاستشهاد به اكتنفها كثير من المصاعب والعقبات والآراء والمعارضات.

وقد ظهرت كثير من الدراسات التي تعني بالحديث النبوي الشريف لتأصيله وبيان صحته والتأكد من سنده إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) فنشأ علم الجرح والتعديل ووجد رواة يبحثون في أنحاء الديار الإسلامية عمن يروي حديثا صحيحا، وقد اجتهد كثير من جامعي الأحاديث أمثال البخاري (ت 256هـ) والترمذي (ت 279هـ) والطوسي (ت 460هـ) وغيرهم في جمع الأحاديث والتأكد من صحة سندها حتى تصل إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) وكانت سلسلة الرواة هي التي تحكم على درجة الصحة الموجودة في الحديث وتفرض تبعا لذلك نوع التسمية الملائمة له .

ولقد وصف الجاحظ (ت 255هـ) الحديث النبوي الشريف بقوله: "ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أقصد لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهبا... ولا أفصح معنى ولا أبين في فحوى من كلامه -صلى الله عليه وسلم-"⁽²⁾

(1) محمد الخضر حسين: الاستشهاد بالحديث في اللغة، مقال منشور في مجمع اللغة العربية الملكي بالقاهرة، المطبعة الأميرية، بولاق، 1937، العدد الثالث، ص 137.

(2) الجاحظ: البيان والتبين، ج 2، ص 17.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: الجانب الديني

وقد وقف علماء العربية في الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف موقفا متباينا فهناك من أجاز ذلك وهناك من لم يجز ذلك بيد أن الاستشهاد به بقي قليلا موازنة ببقية المصادر الأخرى وقد عزي محمد عيد سبب هذه القلة إلى التحرز الديني إذ يقول "وقف الإحساس الشديد بتنزيه السنة مانعا عن الاتجاه إلى نصوصها بالتحليل والدراسة واستنباط القواعد"⁽¹⁾

ورأيه هذا فيه نظر لأن التحرز ليس مسوغا ولا يقره منهج البحث العلمي فضلا عن أن النحاة لو كان لديهم هذا التصور لما استشهدوا به.

والحديث النبوي الشريف قد دون في زمن يقع ضمن إطار عصر الاحتجاج اللغوي، لذلك فإن الحديث إن نقل بمعناه فيمكن أن يحتج به فكيف يحتج بكلام الصحابة والتابعين والأعراب ولا يحتج بكلام الرسول -صلى الله عليه وسلم- فالذين نقلوه هم علماء يحتج بكلامهم وإن حصل تغيير طفيف، فقد لا يصل إلى حد الرفض والشك وإذا جاز الاستشهاد بكلام القدماء ونثرهم فإنه يجوز الاستشهاد بالحديث النبوي الصحيح وإن أفقدته الرواية بعض بلاغته.

ونلاحظ أن ابن الأنباري لم يتأثر بهذه المناوشات، وكان كثير الاستشهاد به ففي شرحه لبیت عبدة بن الطبيب الذي يقول فيه:

كَأَنَّهُ فِي دَلَاءِ الْقَوْمِ إِذْ نَهَزُوا حَمُّ عَلَى وَدَكٍ فِي الْقَدْرِ مَجْمُولٌ⁽²⁾

(1) محمد عيد: الرواية والاستشهاد باللغة، ص 135.

(2) ابن الأنباري: شرح ديوان المفضليات، ص 284.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: الجانب الديني

"نهزوا جذبوا وضربوا والنهز الجذب ومن هنا قولهم: انتهز كذا وكذا أي اجتذبه واغتتمه بسرعة والحـم ما بقي من الآلية بعد الإذابة: وما ذاب فهو الودك والمجمول المذاب، وقال لبيد:

وَعُلامِ أُرْسَلَتْهُ أُمُهُ بِأُلوِكِ فَبَدَّلْنَا ما سَأَلَ

أَوْ نَهَتْهُ فَأَتَاهُ رِزْقُهُ فاشْتَوَى لَيْلَةَ رِيحٍ واجْتَمَلَ

أي أذاب الشحم ومنه حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم): لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملواها وباعوها بأسواقهم: أي أذابوها، غيره: قوله كأنه يعني البعر نهزوا ضربوا بدلائهم ثم جذبوها لتمتلى والودك يقال له الجميل، شبه الماء حين اغترفه القوم بالشحم المجمول والمجمول المذاب "

ذكر ابن الأنباري شرح كلمتي "نهزوا، والحـم" ثم شرح كلمة "المجمول" واستشهد على ذلك بيتين شعريين من قول لبيد ولتوضيح المعنى أكثر ذهب الشارح إلى الاستشهاد بحديث النبي (صلى الله عليه وسلم)، ثم انتقل بعد ذلك إلى شرح كلمة "الودك" ليصل بعدها إلى ذكر المعنى العام للبيت فهو بذلك يلوذ في تفسير البيت، أو الأبيات ذات الصلة بالنبي (صلى الله عليه وسلم) وهو بصنيعه ذاك يعزز طريقته في الشرح.

لَهَا فَرَطٌ يَحْوِي النُّهَابَ كَأَنَّهُ لَوامِعُ عِقبانٍ مُرَوِّعٍ طَرِيدُهَا⁽¹⁾

(1) المصدر السابق، ص 309.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: الجانب الديني

«الفرط المتقدمون: ومنه قول النبي (صلى الله عليه وسلم) أن فرطكم على الحوض ومنه سمي الفارط وهو رجل يتقدم الواردة فيصلح الدلاء والحياض قبل ورودها، ويحوي يجمع والنهاب جمع نهب: قال الأصمعي يقال نهب الشيء إذا فرقته أنهبته جعلته نهبي وانتهبته كنت فيمن أخذه وطريد العقبان ما تطرده ولوامعها ههنا أجنحتها، وطريد مفعول نقل به إلى فاعيل كما قيل مقتول وقتيل ومجروح وجريح والهاء للجأواء وهي الكتيبة»⁽¹⁾

شرح ابن الأنباري كلمة "الفرط" واستشهد على ذلك بقول النبي (صلى الله عليه وسلم) ثم شرح كلمة "يحوي" وروى بعد ذلك عن الأصمعي وشرح جملتي "طريد العقبان" و"لوامعها"

نلاحظ أن الشارح هنا عرض المعنى اللغوي على سبيل التمهيد لفهم القصد في النص الأصل والمراد في نص الاستشهاد، أي في إطار تفسير المعنى في أولية نشوئه من خلال تعاقب المواضع عبر الزمن.

أَنَسِ كَانَ إِذَا مَا اعْتَدَانِي حَالِ دُونَ النَّوْمِ مِنِّي فَاَمْتَنَعُ

وَكَذَلِكَ الْحُبُّ مَا أَشْجَعُهُ يَرْكَبُ الْهَوْلَ وَيَعْصِي مَنْ وَزَعُ⁽²⁾

"يقال وزعه يزعه إذا كفه والوازع الكاف: ويروى أن الحسن لما ولي القضاء فكثرت عليه قال لا بد للناس من وزعة أي من كففة أي من يكفهم وهو جمع وازع مثل كافر وكفرة: ومنه الحديث

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه، ص 385.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: الجانب الديني

من يزع السلطان أكثر ممن يزع القرآن: أي من يترك الذنب خوفاً من عقوبة السلطان أكثر ممن يتركه تقية لله عز وجل ولما جاء في القرآن يقال وزعه يزعه بمعنى (كف) فأما قول ذي الرمة:

وَحَافِقِ الرَّأْسِ فَوْقَ الرَّحْلِ قَلْتُ لَهُ زُعُ بِالزَّمَامِ وَجَوْزُ اللَّيْلِ مَرْكُومٌ

فمن قولهم زاع بغيره وعواه إذا ثنى رأسه: وهو شبيهه بالأول⁽¹⁾

ذكر ابن الأنباري هنا شرح كلمة "وزع" واستشهد على ذلك بحديث النبي (صلى الله عليه وسلم) وآية قرآنية وبيت شعري لذي الرمة.

فالشراح هنا لم يكتفي بالتعامل مع الشعر فهما وإفهاما بل تجاوز ذلك إلى دعم ما يذهب إليه بالنقل من الآيات والأحاديث على درب الإقناع.

وَدُوْ أُشْرٍ شَتِيَتْ النَّبْتِ عَذْبٌ نَقِيُّ اللَّوْنِ بَرَّاقٌ بَرُودٌ⁽²⁾

«قال أبو عكرمة: الأشر تحرز في الأسنان يكون في الأحداث: ومنه حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لعنت الواشرة والمستوشرة: وهي المرأة الكبيرة التي تحرز أسنانها لتشبهها الشباب والواشرة هي الفاعلة بالمستوشرة وهي التي تشر ثنياها: ومنه قولهم: أعبيتني بأشر فكيف أرجوك بدردر⁽³⁾»

(1) المصدر السابق، ص 385.

(2) المصدر نفسه، ص 461.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: الجانب الديني

روى ابن الأنباري عن أبي عكرمة شرح كلمة "الأشر" واستشهد على ذلك بحديث للنبي (صلى الله عليه وسلم)، وشرح معنى الحديث النبوي الشريف ولأن هذا الأخير قول صادق يحمل قوة الحجة والبيان، فضلاً عن ذلك يجب أن يكون تأويله يتفق ويستقيم ودلالات اللغة، ثم انتقل بعدها إلى شرح جملة "شتيت النبت" و"براق برود" راصداً بذلك الاستشهاد بالحديث - مظاهر التقاطع بين النص الديني بما له من نفوذ على العقول والنفوس والنص الشعري الذي يمثل الاستعمال الفردي للغة، بما ينطوي عليه من دلائل الإبداع والإتباع ضمن قواعد النظم عامة.

وتدل هذه الاستشهادات على القدرة العالية التي يمتلكها نص الحديث النبوي الشريف، بوصفه حجة قاطعة لأنه كلام من لا ينطق عن الهوى، كلام من أوتي جوامع الكلم. واستمر ابن الأنباري يأخذ الحديث النبوي الشريف شاهداً على كثير من فنون الأدب وأساليبه وطرق تعبيره، فهو يعرض القضية ويستدل على صحتها بإيراد حديث نبوي شريف فيه إيضاح لما أورده من قضية أو مسألة .

لا نَأْلَمُ الْقَتْلَ وَنَجْزِي بِهِ الْإِثْمَ أَعْدَاءَ كَيْلِ الصَّاعِ بِالصَّاعِ⁽¹⁾

«لم يقل الضبي في هذا شيئاً: والمعنى أنه لا يفوتنا أحد بوتر ولا ينقصنا أحد من حقنا: وقال

الشاعر:

فَتَى لَا يَبِيْتُ عَلَى دِمْنَةٍ وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمٍ

(1) المصدر السابق، ص 569.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: الجانب الديني

الدمنة الحقد: فيقول لا يبيت وهو يطالب أحدا بثأر ولا يبين إلا وهو مطلوب بثأر يقول يدرك بثأره ولا يدرك الثأر منه ونجزي بلا همز نقضي وقد جرى هذا عن هذا ومنه قول النبي (صلى الله عليه وسلم) لأبي بردة بن نيار في الجدعة من الغنم التي ضحى بها فقال ولا تجزي عن أحد بعدك: زمنه قول الله تعالى "ولا تجزي نفس عن نفس شيئا" فإذا كان بمعنى كفى همز قد أجزئني هذا بمعنى كفاني قال أبو محمد الأنباري وأنشدني أحمد للطائي

لقد آليتُ أُغدرُ في جداعٍ وكو منيتُ أماتُ الرباعِ
لأنَّ الغدرَ في الأقوامِ عارُ وأنَّ المرءَ يجرُّ بالكراعِ

وفي قوله جداع يصف سنة تقطع الأشياء وتذهب بها ويقال في غير الناس أم وأمات وفي الإنس أم وأمها⁽¹⁾

ومنهجية ابن الأنباري في الشرح هنا كالتالي:

- شرح كلمة "الحقد"
- استشهد بحديث النبي (صلى الله عليه وسلم)
- استشهد بأية من القرآن الكريم
- روى عن أحمد بيتين شعريين للطائي استشهد بهما أيضا.

ومن مظاهر استشهاد ابن الأنباري بأقوال الصحابة والتابعين مايلي:

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: الجانب الديني

يُوحى إليها بإنقاصٍ ونقنقةٍ كما تراطن في أفدائها الروم⁽¹⁾

"يوحى إليها يصوت لها فتفهم عنه. والنقنقة صوت الظليم وبه سمى نقنقا. والإنقاص

الصوت مثل النقر بالشاة والبكارة من الإبل: قال الراجز:

رب عجوز من أناس شهيرة علمتها الإنقاص بعد القرقرة

والأفدان جمع فدن وهي القصور. ويروى: كما تنآم في أفدائها الروم، من النائم وهو الصوت.

قال الرستمي: أصل الوحي الكلام يقال أوحيت إليه إحياء ووحيت وحيًا. ويقال أنقض إنقاصا

كما تنقض الدجاجة: قال الراجز: أنقض إنقاصا الدجاج المخض. ومثله نقنق نقنقة. ويقال

لصوت الظليم العرار ولصوت النعامة الزمار، وقال لبيد:

متى ما أشأ أسمع عراراً بقفرة يجيب زماراً كاليراع المثقب

وقال الآخر:

نبيط ما مطوا جملاً بنسع ولا شدوا لصاهلة عذاراً

ولا حلت ظعائهم غداة ولا سمعوا النزيب ولا العراراً

النزيب من أصوات الطباء والعرار من أصوات الظلمان. ويقال نقع الظليم ينقع إذا صاح: وقد

يستعار في الناس قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما على نساء بني المغيرة أن يهرقن من

(1) المصدر السابق، ص 807.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: الجانب الديني

أدمعهن على أبي سليمان سجلا أو سجلين ما لم يكن نقع ولا لقلقة. وقال تميم بن أبي مقبل

العجلاني يصف ناقة:

وكان نأبيها بأخطب ضالة مُستنقَعانِ على فُضولِ المشفَرِ⁽¹⁾

شرح ابن الأنباري "توحي إليها، والنقنة، والأنقاض" واستشهد على ذلك بيت شعري للراجز

ثم بيت شعري آخر من قول لبيد وبيتين شعريين آخرين، وشرح بعدها "نقع" واستشهد بقول

الصحابي عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ونجد الشارح استشهد بالحديث النبوي الشريف

عندما احتاج لتفسير لفظة في قول شعري ليشرحها ويبينها ويحتج لها ومن ذلك :

تَرْجُو فَوَاضِلَ رَبِّ سَيِّبُهُ حَسَنٌ وَكُلُّ خَيْرٍ لَدَبُهُ فَهُوَ مَقْبُولٌ⁽²⁾

ويروى: ترجو تذهب إلى الإبل، والمعنى على أصحابها، كما قال عز ذكره: {واسأل القرية}

أي: أهلها، والسيب: العطاء الكثير، وأصله من قولهم ساب الماء يسيب، ويروى: سيبه ديم على

حالة واحدة لا ينقطع ولا يتغير، وواحد الديم ديمة، وهي المطر الذي يدوم ويسكن، ومنه قول

عائشة رضي الله عنها: كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة، أي: مستويا لا يتغير،

غيره: ويروى: وكل وهم له في الصدر مفعول، الوهم: ما يحدث به نفسه، قال أحمد: يعني

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه، ص286.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: الجانب الديني

الله عز وجل وهذا من صفة الأدميين، ولكنه أعرابي قال على مبلغ علمه مفعول ممضي يفعل ولا يرد.⁽¹⁾

نلاحظ من خلال المثال السابق استشهاد ابن الأنباري بقول أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- في شرح كلمة "ديم" وذلك لأنها من الثقات والفصحاء.

وعلى الرغم من هذه الاستشهادات بالحديث النبوي الشريف بقيت نسبة وجوده في شرح ابن الأنباري قليلة موازنة بالقرآن الكريم على الرغم مما يمتلكه من قوة الحجة بوصفه قول المصطفى -صلى الله عليه وسلم- فضلاً على أنه يمتلك أهمية عظيمة في تفسير القرآن الكريم وفي توضيح كثير من أمور المسلمين في عباداتهم ومعاملاتهم، ولأنه البيان الذي يوضح الغامض أو يفصل المجهل ويوضح الطريق للسائرين على نهج الإسلام، والقاصدين خدمة لغة القرآن الكريم.

واستشهاد ابن الأنباري بالحديث النبوي الشريف كان أكثر اتساعاً في المجال الأدبي والنقدي والبلاغي موازنة بالاستشهاد النحوي والصرفي.

نلاحظ أن الشارح قد وظف من المعارف شتى، لإضاءة النص الشعري حيث نجده يقرأ الشعر بالشعر وبالقرآن والحديث... وتلك جميعها علوم ووسائل تضيء للشارح من وراء الدروب

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: الجانب الديني

دروبا، وإن كانت علوما نقلية يستجار بها لرصد ظاهرة لغوية أو لفك معنى مشكلا فهي

تتنزل ضمن مشروع إقناعي ينهض على دقة الفهم وبلاغة الإفهام.

المبحث الثاني

الجانب التاريخي

1- الأحداث

أ- الأحداث العامة

ب- الأحداث الخاصة

2- مناسبات القصائد:

3- التعريف بالأعلام:

4- الأخبار المروية

الفصل الأول : وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني : الجانب التاريخي

الجانب التاريخي:

ونعني به كل الحوادث التاريخية الحاسمة في الحياة العربية، ولا سيما منها التي حدثت قبل الإسلام أو في صدره، فيعرض الشارح ضمنها أحداثا مثلت حافزا من حوافز القول الشعري وباعثا عليه، لاسيما وأن التاريخ لا يسجل الحوادث العادية البسيطة بل يسجل عظام الوقائع وكبريات الأحداث.

والتاريخ هو القيام بدراسة تعتمد على حقائق الماضي وتتبع سوابق الأحداث، ودراسة ظروف السياقات التاريخية وتفسيرها فمنهج البحث التاريخي هو مجموعة الطرق و التقنيات التي يتبعها الباحث والمؤرخ للوصول إلى الحقيقة التاريخية، وإعادة بناء الماضي بكل وقائعه وزواياه، وكما كان عليه زمانه و مكانه تبعا لذلك فالمنهج التاريخي يحتاج إلى ثقافة واعية و تتبع دقيق بحركة الزمن التي تؤثر بصورة مباشرة أو غير مباشرة على النص التاريخي، لهذا وجب ارتباط المنهج بمستويات النقد في كل مراحل الممثلة في التفسير والتأويل والتنقيح والحكم نظرا لعنايته الجادة بالنص كرؤية واقعية ترتبط بالزمن والعصر.

ويجب كذلك إعطاء الأهمية الأولية للسياق التاريخي لتأويل النصوص لأن هناك وثائق تعبر عن انحياز كامل للمرحلة التي كتبت فيها، لهذا فبعض الوثائق التاريخية لا تعبر عن حقيقة ما جري من أحداث لهذا وجب التركيز على قراءة النص التاريخي ونقده، لأن هناك كتابات لمؤرخين سيطرت عليهم الأيديولوجيات السياسية السائدة أثناء الفترة التي أنتج فيها.

الفصل الأول : وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني : الجانب التاريخي

ثم إن وجود هذه الحقائق والوثائق بين أيدي هذا المؤرخ أو ذاك لا يضمن الاتفاق بين المؤرخين على تأويلها نفس التأويل لأن لكل مؤرخ وجهة نظره ودوافعه، لهذا فالمؤرخ هو من يتخذ القرار المسبق في عملية ترتيب النصوص والوثائق التي تخدم وجهة نظره، لهذا لا يمكن أن نضمن اتفاقاً بين المؤرخين على حدث معين ، فلكل تأويله وتحليله لهذا عند تحليل النصوص التاريخية لا بد من الوقوف على علاقة المؤرخ بالوثائق والحقائق التي يملكها بين يديه كمواد خام للدرس والتحليل، هل يعتمدها كحقيقة مسلم بها؟ أم يقارنها بمعطيات أخرى مثل التحدث عن الأيديولوجيات والمواقف السياسية السائدة في العصر التي كتبت فيه الوثائق؟ وكذلك مقارنتها بالموقف السياسي لكاتب الوثيقة وعلاقته بعصره.

إن الحقائق والوثائق ليست في حد ذاتها تاريخاً، وإنما هي شهادة تشهد على جزء من اللحظة التاريخية وقد تكون هذه الشهادة مزيفة، ولذا ينبغي مقارنتها بشهادات أخرى بهدف الوصول للحقيقة لأن الحقائق التاريخية لمرحلة معينة تخضع دائماً للتعديل، وكذلك لحذف بعض عناصرها بسبب المصالح، أو بغية إخفاء ما لا يتلاءم مع الفاعلين في التاريخ ، لهذا وجب على المؤرخ وهو يدون كتاباته التاريخية أن يتعامل مع النصوص والوثائق بحياد، وأن يبحث في علاقة تلك النصوص بأصحابها لتوفير بعض الموضوعية ويتفاعل مع الوقائع التاريخية بموضوعية في كتاباته التاريخية والابتعاد عن الذاتية التي تجعل من النص التاريخي يخضع للتأويل ليتلاءم مع منهج المؤرخ في الكتابة. وأثناء تحليل النص التاريخي لابد أن يستحضر الباحث في التاريخ و هو دراسة الماضي بالتركيز على الأنشطة الإنسانية وبالماضي حتى الوقت

الفصل الأول : وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني: الجانب التاريخي

الحاضر، وكل ما يمكن تذكره من الماضي أو تم الحفاظ عليه بصورة ما يعد سجلاً تاريخياً. ويدرس بعض المؤرخين التاريخ العالمي الذي يشمل كل ما جرى تسجيله من الماضي الإنساني والذي يمكن استنباطه من الآثار، فيما يركز البعض على طرق بعينها مثل علم التأريخ والدراسات الديموغرافية (السكانية) ودراسة كتابة التاريخ ودراسة الأنساب ودراسة الكتابات القديمة ودراسات التاريخ الاقتصادي أو دراسة تاريخ مناطق بعينها.

والتاريخ في الاصطلاح: "جملة الأحوال والأحداث التي يمر بها كائن ما، على الفرد أو المجتمع، كما يصدق على الظواهر الطبيعية والإنسانية"⁽¹⁾

والتاريخ أيضاً علم يبحث في الوقائع والحوادث الماضية. وحقيقته كما قال (ابن خلدون): " أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال، مثل التوحش والتأنس، والعصبيات، وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعدتهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال"⁽²⁾. إلا أن بعض المؤرخين يقتصرون على ذكر الأخبار والوقائع من دون أن يذكر أسبابها، وبعضهم الآخر يأبى الاقتصار على التعريف بالحوادث الماضية، فيمحص الأخبار، ويعلل الوقائع، ويستبدل بالتسلسل الزمني ترتيباً سببياً يرجع فيه الحوادث إلى أسبابها، والوقائع إلى أحوالها. فإذا جعل المؤرخ همه تمحيص الأخبار، ونقد الوثائق والآثار، كان تاريخه

⁽¹⁾ ابن خلدون: المقدمة، دار الفكر العربي، دط، بيروت، 2004، ص57.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص57.

الفصل الأول : وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني : الجانب التاريخي

انتقادياً، وإذا استخرج من ذكر الأحوال الماضية عبرة تتم بها فائدة الاقتداء لمن يروم ذلك في تربية النشء كان تاريخه أخلاقياً، وإذا عني بأخبار الدول وعلاقتها بعضها ببعض للإفادة منها في تدبير الدولة كان تاريخه سياسياً، وإذا تجاوز ذلك كله إلى تعليل الوقائع، لمعرفة كيفية حدوثها، وأسباب نشوئها، كان تاريخه فلسفياً. ومرت كلمة التاريخ بتطورات عديدة في الثقافة العربية، فقد بدأت بمعنى التقويم والتوقيت في صدر الإسلام، واحتفظت بهذا المعنى لفترة، ثم صارت بمعنى آخر وهو تسجيل الأحداث على أساس الزمن، لتحل كلمة "التاريخ" تدريجياً محل ما كان.

فقد وجد ابن الأنباري أن بعضاً من الشعر الذي شرع في شرحه بعسر لا تعرف مقاصد الشعراء فيه من غير إلمام بالظروف والأحوال التاريخية التي اكتنفته والمناسبات التي دعت الشعراء إلى قوله لما يحمل من إشارات إلى أحداث وعاتات أو معتقدات أو ما شاكل ذلك، فتطلب الأمر أن يستعين بالأخباريين ورواة الأيام، وكانوا هم أنفسهم أولئك الرواة اللغويين الذين استعان بقدر من شروحهم للشعر، فقد كان هؤلاء العلماء الشراح أمثال أبي عبيدة والأصمعي رواة للأخبار والأيام والأنساب، وهكذا استعان بهم ابن الأنباري لمعرفة أيام العرب وعاتاتها وتقاليدها لفك بعض مغاليق الشعر وكشف غامضه .

وإذا نظرنا إلى شرح ابن الأنباري نجد أن هذا الجانب يمثل الصلة المكتملة لمربع الشرح عنده وقد أولاه عناية فائقة توحى بأهميته في حياة القوم العلمية والثقافية ويضم هذا الجانب –

الفصل الأول : وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني : الجانب التاريخي

عنده- نوعين من الأحداث "أحداث عامة تتصل بالنص في كليته وأحداث خاصة ترتبط بجانب من جوانبه"⁽¹⁾ بالإضافة إلى التعريف بالأعلام وذكر مناسبات القصائد.

1- الأحداث:

أ- الأحداث العامة:

يقوم الشارح من خلالها بسرد وقائع جدت فابن الأنباري مثلا هنا وقف على أصل الحكاية التي حفت بالشعر الذي قاله عبد يغوث:

أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ أَمَعَشَرَ تَيْمٍ أَطْلَقُوا عَنْ لِسَانِيَا⁽²⁾

«اللسان لا يشد بنسعة: وإنما افعلوا بي خيرا لينطلق لساني بشركم إنكم مالم تفعلوا فلساني مشدود لا أقدر على مدحكم ويروى "معاشر تيم أطلقوا لي لساني" وكان أسر يوم الكلاب الثاني كلاب أهل اليمن وتيم وفي هذا اليوم قتل النعمان بن جساس من تيم الرباب وكان من فرسانهم عظيم الغناء في هذه الحرب فهزمت الرباب من يليهم من اليمن وهزمت اليمن بني سعد بن زيد بن مناة فجاء النعمان يغيث بني سعد وكان رجلا ثقيلا لا تكاد تحمله دابة فأعيت به فرسه فنزل لتحول إلى أخرى فطعنه رجل من القوم في عضده ففتها أي كسرهما وقال خذها مني وأنا ابن الحنظلية فقال وأبيك إنني ملقي من أبناء الحنظليات فقتل النعمان وأسروا مصاد بن ربيعة التيمي من تيم الرباب عبد يغوث وكان مصاد مطعونا في

(1) أحمد جمال الودرني: شرح الشعر عند العرب، ص 45.

(2) ابن الأنباري: شرح ديوان المفضليات، ص 316.

الفصل الأول : وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني : الجانب التاريخي

أكحله فنزفه الدم وعبد يغوث خلفه فسقط وأجهز عليه عبد يغوث ونجا وكان عرف أثره عصمة بن أبير السعدي فتبعه فأسره فاشتراه بن النعمان بن جساس منه بعد أن كاد يقع فيه الشرب بين بني سعد والرياب فأشار على بني سعد قيس بن عاصم أن يدفعوهم إليهم فقال إني أحب اللبن فباعهم عصمة إياه بثلاثين من الإبل وكعموه بنسعة مخافة أن يهجوهم وقد كانوا سمعوه ينشد شعرا فقال أطلقوا لي لساني أذم أصحابي وأنوح على نفسي فقالوا إنك شاعر ونخشى أن تهجوننا فجعل لهم أن يهجوهم فأطلقوا له لسانه فذلك قوله "أقول وقد شدوا لساني بنسعة"⁽¹⁾

إن شعر عبد يغوث بن وقاص الحارثي أفرزته أحداث بعينها يمكن تجسيمها بدوائر يحيط بعضها ببعض في حركة تسير من الدائرة الأضييق مساحة من سواها وفيها "انهزام اليمن من قبل الرياب" و"انهزام" بن سعد بن زيد بن مناة من قبل اليمن و"إغاثة النعمان لبني سعد" و"قتل النعمان" و"أسر عبد يغوث فالأحداث تتطور من الدائرة الأضييق مساحة في اتجاه الأوسع في شكل بنية متسعة لمدى أرحب، وكلما كان المدى أرحب كانت المواجهة أكثر ضراوة، إذ يمكن أن تعقب المواجهة الشعرية أخرى دموية أشد من حرب الكلام، لكن الذي يعيننا في هذا الصدد أن النزاع ولد الشعر وهذا دليل على أن الشعر من رحم الوقائع يظهر إن كان يعلو عليها ويسمو ليعيد صياغتها من جديد، فوظيفة الشعر في هذه المرحلة بالذات هي

(1) المصدر السابق، ص 316.

الفصل الأول : وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني: الجانب التاريخي

وظيفة اجتماعية تتمثل في تهييج النفوس وخلق أسباب الصدام على غرار ما كان سائدا من علاقات سلبية بين القبائل في المرحلة الجاهلية.

ب- الأحداث الخاصة

ونعني به واقعة أو يوم من أيام العرب يرتبط بجانب من النص ومثال ذلك شرحه لبيت ربعة بن مقروم:

وَأَقْرَبُ مَوْرِدٍ مِنْ حَيْثُ رَاحَا أَثَالُ أَوْ غَمَازَةٌ أَوْ نَطَاعٌ⁽¹⁾

«هذه كلها مواضع: هذا قول أبي جعفر وروى نطاع بالفتح وأنكر الضم لأنه موضع معروف وأنشد للحارث بن حلزة:

لَمْ يَخْلُو بَنِي رِزَاحٍ بَبْرَقًا نَطَاعٌ لَهُمْ عَلَيْهِمْ دُعَاءُ

بنو رزاح من بني تغلب: كان بنو تميم أوقعوا بهم ورئيسهم عمرو أحد بني سعد بن زيد مناة وكانوا ثمانين رجلا فأغاروا على بني رزاح من تغلب وكانوا يسكنون أرضا يقال لها نطاع فقتل منهم وأخذ أموالا كثيرة وبرقاء مضافة إلى نطاع وهي أرض يخلطها حجارة ورمل»⁽²⁾

ذكر ابن الأنباري رواية أبو جعفر ثم استشهد ببيت شعري للحارث بن حلزة وذكر بعدها

الواقعة التي وقعت بين بني رزاح وبني تميم .

(1) المصدر السابق، ص 380.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الأول : وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني : الجانب التاريخي

وابن الأنباري يعتمد على الرواة أيضا في شرح أيام العرب، والمناوشات التي وقعت بين القبائل بعضها مع بعض، أو بين الملوك العرب والقبائل...ومنها يوم النصار الذي تحدث عنه الشارح من خلال شرحه لبیت ربیعة بن مقوم:

تَعَوَّدُ فِي الْحَرْبِ أَنْ لَا بَرَّاحَ إِذَا كَلِمَتٌ لَا تَشْكِي الْكُلُومًا⁽¹⁾

«ويروى: إذا كلمت لم تشك الكلوما "الكلوما الجراح يقول إذا جرحت صبرت ولم تبرح" ويوم النصار قال أحمد بنو عبيد قال أبو عبيدة معمر بن المثنى النصار أجبل متجاوزة يقال لها الأنسر وهي النصار...ويوم النصار كان بعد يوم جبلة لا ما تقول الرياب والدليل على ذلك أن الأحاليف وحصن بن حذيفة هو الذي أمر سبيعا الثعلبي أن يحالف بينهم فحالف بينهم وبين بني أسد بن خزيمة...وقال أبو عبيدة وكان سبب يوم النصار أن بن تميم كانوا يأكلون عمومتهم بني ضبة وبني عبد مناة فأصابته بنو ضبة رهطا من تميم فانزلت جماعة الرياب فلحقت ببني أسد ابن خزيمة وهم يومئذ في الأحاليف حلفاء لبني ذبيان بن بغيض فنادى صريخ بني ضبة يألخندف (قال القتيبي وذلك أول يوم تخندفت فيه) فأصرختهم بنو أسد واستعوا حليفهم غطفان وطينا"⁽²⁾

إن الاحتفاء برصد أحداث لها صلة ببيت شعري من النص أو نحو ذلك يجسم حرص الشارح على توثيق القول في فروعه بالإطار الذي أنشئ فيه لذلك نهض تفسيره للمقام على عاملين:

(1) المصدر السابق ، ص 364.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الأول : وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني: الجانب التاريخي

- عامل الزمان:(يوم النصار)

- عامل المكان:(النصار أو الأنسر)

ولكن هذه الأحداث الخاصة التي انعقدت على محوري الزمان والمكان ليست إلا نواة حيكت حولها البيت الشعري على نحو من الأنحاء (الصورة الشعرية للبيت).

وأيام العرب من أهم الأحداث والوقائع التي عاشها العرب كما أن "ابن خلدون" قد أكد هذه الحقيقة عندما لاحظ أن فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها لذا عدها من مكونات الأدب وأداة تعليمية من جملة الأدوات التي تحصل بها الملكة⁽¹⁾

وابن الأنباري يلجأ إلى ذكر هذه الأيام لما فيها من الحوادث الشهيرة التي وقعت، وهي عادة حروبهم ومعاركهم - كما سبقت الإشارة إليها- وهي الآن تقوم مقام التاريخ في البرامج التعليمية الحديثة، والشارح هنا سارد لهذه الوقائع مدقق في تفاصيلها، فهو لا يؤرخ لغاية التأريخ فقط بل يروم خدمة الشعر ويريد الكشف عما قيل من أشعار في تلك الأيام. فأهمية الشعر وفائدته تكمن في قدرته على محاكاة الأحداث والوقائع التاريخية فكانت المحاكاة تشتمل على ذكر الحدث بصورة تكاد تجعله حيا، ونقله من دون تشويه أو تغيير من عصر إلى عصر آخر.

(1) إبراهيم صحراوي: السرد العربي القديم، ص60.

الفصل الأول : وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني: الجانب التاريخي

وبذلك نجد أن الشعر الوثيقة الأكثر رواجاً في نقل التاريخ، وأخبار الأمم السابقة بما حوته من تاريخ الحروب، و الوقائع، و الأحداث، واستخلاص النتائج والعبر منها فضلاً عن أن الشعر يمثل خطاب العرب الفكري والاجتماعي والفني وحاجاتهم المتنوعة الأخرى في كل مرحلة من مراحل تطورهم.

2- مناسبات القصائد:

بدأ ابن الأنباري بعض القصائد التي شرحها بنبذة تاريخية تبين سبب نظمها وتوضح الملابس والظروف التي أوحى بنظم الشعر، وهيبت قرائح الشعراء فقصيدة بشامة بن عمرو بن معاوية التي مطلعها:

هَجَرْتُ أُمَامَةَ هَجْرًا طَوِيلًا وَحَمَلَكَ النَّأْيُ عَيْنًا ثَقِيلًا⁽¹⁾

قال ابن الأنباري -في مقدمتها- عن مناسبتها «كان سبب قول هذه القصيدة أن الأسقع

بن رياح بن واثلة بن سهم هو الذي جر حلف الحرقة فهمت غطفان بأكلهم فخافوا وانصرفوا فلحقهم حصين بن الحمام فردهم وشد الحلف بينهم وبينه وبشامة غائب فلما بلغه ذلك ردهم وقال هذه القصيدة"⁽²⁾

أشار ابن الأنباري بكل وضوح إلى سبب نظم الشاعر لهذه القصيدة قبل الولوج في شرح معنى البيت وذلك حتى يعطي صورة واضحة عن القصيدة للمتلقى وتسهيل فهمها عليه.

(1) ابن الأنباري: شرح ديوان المفضليات، ص 79.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الأول : وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني : الجانب التاريخي

كما قال الشارح أيضا في مقدمة شرحه لقصيدة جبيهاء الأشعري التي مطلعها:

أَمْوَلِي بِنِ تَيْمِ أَلَسْتَ مُؤَدِّيًّا مَنِيحَتَهَا فِيمَا تُؤَدِّي الْمَنَاحُ⁽¹⁾

أنه نظمها "في عنز كان منحها رجلا من بني تيم بن معاوية بن سليم بن أشجع بن ريث

بن غطفان والعنزة تسمى صعدة ويقال غمرة أنشدني هذه القصيدة أبو العباس أحمد بن يحيى

النحوي قال انشدنيها أبو عبد الله بن الأعرابي"⁽²⁾

ذكر ابن الأنباري أن الشاعر قال هذه القصيدة في عنز منحه إياها رجل من بني تميم، كما

أشار إلى أن هذه الرواية لأبي العباس أحمد بن يحيى النحوي نقلا عن أبي عبد الله

بن الأعرابي.

هذا إذا جعل مناسبة القصيدة مقدمة لشرحها أما إذا لم يجعلها كذلك وتناول شرح

القصيدة مباشرة فقد يذكر مناسبتها أثناء شرحها، أي بين أبياتها كشرحه لقصيدة المزرد

بن ضرار:

"قال أحمد: أخبرنا محمد بن عمرو بن أبي عمرو الشيباني إملاء علينا قال: كان أهل بيت

من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان جاؤوا في بني عبد الله بن غطفان فذهب رجل من بني عبد

الله إلى غلام من الثعلبيين يقال له خالد وهو أحد بني رزام بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن

ذبيان، ولثعلبي إبل كرام جلة حسان فلم يزل يخدع الثعلبي حتى اشترى الإبل منه بغنم

(1) المصدر السابق، ص 331.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الأول : وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني: الجانب التاريخي

فرجع الغلام إلى أبويه فأخبرهما فقالا: هلكت والله وأهلكتنا ثم إن أبا الغلام ركب إلى مزرد فقص عليه القصة فأخبره بالخبر، فقال مزرد: أنا ضامن لك إبلك أن ترد عليك بأعيانها ثم أنشأ يقول:

أَلَا قُلْ لِعَبْدِ اللَّهِ وَالْجَهْلُ كَأَسْمِهِ أَعَايِدَتِي مِنْ حُبِّ سَلْمَى عَوَائِدِي

قال أحمد: فهذا كان سبب قول مزرد لهذه القصيدة⁽¹⁾

أشار ابن الأنباري في أثناء شرحه لهذه القصيدة إلى السبب الذي كتبت من أجله حيث قال بأنها قيلت في رجل من بني عبد الله الذي خدع غلام من الثعلبيين واشترى منه إبلا بغنم، وعندما سمع مزرد بالقصة أنشد هذه القصيدة، وإشارة الشارح هنا إلى مناسبة القصيدة كان من أجل توضيح المعنى وإزالة اللبس عنه وإيصاله إلى المتلقي في أبسط صورة، وهذا هو هدفه الذي كان يصبو إليه من خلال شرحه للمفضليات.

وقد يذكر ابن الأنباري مناسبتها لا في مقدمتها، ولا بين أبياتها، بل في آخرها مثلما فعل في شرحه لقصيدة عامر بن الطفيل :

"قال الضبي: قال هذه القصيدة عامر يوم فيف الريح يوم لقي خثعم وأحلافها من اليمن. قال محمد بن حبيب: سمي خثعم لأنهم غمسوا أيديهم في دم جزورٍ وذلك الخثعمة، قال: واسم تغلب بن وائل دثار. ورواها الحرمازي والأثرم:

(1) المصدر السابق، ص128.

الفصل الأول : وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني: الجانب التاريخي

أَتُونَا بِشَهْرَانَ الْعَرِيضَةَ كُلِّهَا وَأَكْلَبَ طَرًّا فِي جِيَادِ السَّنَوْرِ

وقال الأثرم: السنور: الدروع. وشهران حي من خثعم وأكلب حي منهم أيضاً. وقال أحمد:

العريضة الأرض كلها. والسنور: الدروع: قال الأسعري بن حمران الجعفي:

وكتيبة لبسناها بكتيبة فيها السنور والمغافر والقنا⁽¹⁾

ذكر ابن الأنباري المناسبة التي قيلت فيها هذه القصيدة وهو يوم فيف الرياح يوم لقي "خثعم" وأحلافها من اليمن ثم واصل شرحه لكلمات البيت. ورغم ذلك إلا أن الشارح لم يعطي للحديث عن مناسبات القصائد النصيب الكافي في شرحه مقارنة بالجوانب التاريخية الأخرى.

3- التعريف بالأعلام:

والعنصر الثالث الذي تناوله ابن الأنباري في شرحه التاريخي هو التعريف بالأعلام الواردة في الشعر وتحديد أدوارهم وصلاتهم بالأحداث ويقترن -التعريف بالأعلام- عند ابن الأنباري عادة برفع أنسابهم والتعريف بقبائلهم خاصة إذا كانوا هم أنفسهم الشعراء الذين يروي أشعارهم كما فعل مع المخبل السعدي عندما شرح قصيدته التي مطلعها :

ذَكَرَ الرَّيَّابَ وَذَكَرَهَا سَقَمٌ فَصَبَا وَلَيْسَ لِمَنْ صَبَا حِلْمٌ⁽²⁾

قال "لم يزد أبو عكرمة على اسمه ولم يرفع في نسبه قال أحمد هو أبو يزيد والمخبل لقبه واسمه ربيع بن مالك بن ربيعة بن قتال بن أنف الناقة بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد

(1) المصدر السابق، ص 711.

(2) المصدر نفسه، ص 207.

الفصل الأول : وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني : الجانب التاريخي

بن زيد بن مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وأنف الناقة اسمه جعفر: وانما سمي جعفر أنف الناقة لأن أباه قريبا نحر جزورا فأخذ جعفر بأنف الناقة يجر رأسها إلى المنزل فسمي بذلك قال أحمد الرباب بنت عوف بن مالك بن ربيعة بن قتال بن أنف الناقة بن قريع الصبا والصبوة الرقة تصابيت أي رقت وفعلت كما يفعل الصبيان ومن ذلك ليس بحليم⁽¹⁾

ذكر ابن الأنباري رواية أبي عكرمة ثم رواية أحمد في التعريف ب "المخبل السعدي" ثم روى بعدها عن أحمد أيضا في "التعريف بالرباب" التي ذكرها المخبل في شعره.

وابن الأنباري يقوم بالتعريف بالأعلام التي لها أثر معين عند الشاعر أما إذا لم يكن لهم قيمة مؤثرة على أحداث القصيدة أشار إليهم مجرد إشارة مقتضبة، أما إذا كان هناك خلاف حول نسب ما أو حدث تداخل بين نسب وآخر، أوضح الشارح حقيقة الأمر ومثال ذلك ما حدث مع عبد الله بن سلمة الغامدي في قصيدته التي مطلعها :

أَلَا صَرَمَتْ حَبَائِلُنَا جُنُوبُ فَفَرَعْنَا وَمَالَ بِهَا قَضِيبُ⁽²⁾

"قال أحمد نسبه لي بعض شيوخنا فقال هو عبد الله بن سليمة، قال الصرم القطع الحبائل هاهنا المودة وفرعنا علونا في البلاد وقضيب واد بنجد ومال بها سلكته كذا قال أبو عكرمة

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه، ص182.

الفصل الأول : وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني : الجانب التاريخي

عبد الله بن سلمة ولم يرفعه في النسب عن سلمة وقال غيره :عبد الله بن سلمة بن الحارث بن

عوف بن ثعلبة بن عامر بن ذهل بن مازن بن ذبيان بن ثعلبة بن الدؤل الغامدي بن سعد مناة

بن عمرو (وهو الغامد :سمي غامدا لأن رجلا من بني الحارث بن يشكر قال من أغمد سيفه

فهو آمن فأغمد عمرو سيفه فسمي غامدا) ابن كعب بن مالك بن الأزد قال ونسبه لي غيره

فقال هو عبد الله بن السليم بن الحارث بن عوف بن ثعلبة بن عامر وهو الصحيح عندي ، يقال

فرع في الوادي إذا علا فيه وأفرع ارتفع وأفرع انحدر ويقال فرع رأسه إذا علاه بضربة⁽¹⁾

اتبع ابن الأنباري في شرحه المنهجية التالية :

- روى عن أحمد .

- ذكر شرح الكلمات التالية (المصرم .القبائل،فرعنا، القضيب ومال بها)

- روى عن أبي بكر عكرمة في التعريف بعبد الله بن سلمة .

- روى عن مجهول أيضا في التعريف بعبد الله بن سلمة وذكر سبب تسمية عمرو بن الغامد

- شرح كلمة فرع .

فابن الأنباري في تعريفه بالشعراء نراه يتبع مبدأ التحقيق والتوثيق فهو يحقق أسمائهم

ويذكر قبائلهم ويحدد مواطنها، وأيامها، وما ذكره العلماء عنها فإذا تضرد شاعر باسم معين

ذكره ابن الأنباري وتحدث عنه .

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها .

الفصل الأول : وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني : الجانب التاريخي

4- الأخبار المروية :

نجد أن للأخبار المروية أهمية كبيرة لدى الأدباء لبسط آرائهم في مختلف القضايا فنلاحظ الجاحظ في مصنفاته الكثيرة دائم التركيز على الخبر ويعده من الشواهد المهمة في عملية الاستشهاد على الأحداث والوقائع ولاسيما في مجال النقد الأدبي، والحقيقة أن كتبه برمتها قامت على الأخبار الأدبية والاجتماعية، لأنه يرى أن الخبر لا تعرف به تكيف الأمور فحسب وإنما يعرف به جمل الأشياء⁽¹⁾ لأن الخبر يزداد صدقه إذ اعد على العيان لأن كل ما يرى بالعيان مفضٍ إلى باطن ما يصدق عنه الخبر⁽²⁾

ومن النقد من اعتمد على الخبر في ذكر بعض الشعراء، إذ كان همه أن يجمع ما تصل إليه قدرته وثقافته من أخبار وأنساب ونوادير وغرائب تتعلق بالشعراء الذين ترجم لهم⁽³⁾

وبعض النقاد فصل القول في الخبر وقسمه إلى قسمين : يقين وتصديق "اليقين ينقسم إلى ثلاثة أقسام: أحدهما خبر الاستفاضة والتواتر الذي يأتي على ألسن الجماعة المتباينة هممهم وإراداتهم وبلدانهم، ولا يجوزوا أن يتلاقوا فيه ويتواطؤوا عليه فذلك يقين يلزم العقل الإقرار بصحته والثاني خبر الرسل - عليهم السلام- ومن جرى مجراهم من الأئمة... والثالث ما تواترت أخبار الخاصة به مما لم تشهد العامة، وأما خبر التصديق فهو الخبر الذي يأتي به الرجل والرجلان والأكثر فيما لا يوصل إلى معرفته من القياس والتواتر... وإنما

(1) الجاحظ: البيان والتبيين، ص143 - 144.

(2) التوحيد: الإمتاع والمؤانسة، ص1

(3) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص59.

الفصل الأول : وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني : الجانب التاريخي

يعمل في جميعه على خبر من حسن الظن به، ولا يعرف بفسق ولم يظهر منه كذب⁽¹⁾ ولا شك أن الأخبار المعتمدة على التواتر والشيوخ تستوجب التصديق بصحتها وثبوتها.

وخلاصة القول هنا، أن أهمية السند في رواية الأخبار تكمن في توثيق الأخبار حتى يمكن أن يُتصور أن تلك الأخبار لها قدسيته التي تقربها من العلوم الدينية، بفعل الاهتمام بسندها بحيث يبعد الشك عن النفوس بعد أن ينظر في سلاسل سند الأخبار، فضلاً عن أن السند يعني أن عدداً من أهل العلم آمنوا بالمقولة النقدية المروية فلم يضيفوا إليها شيئاً.

وقد استثمر ابن الأنباري الأخبار بوصفها شاهداً مهماً على قضايا شرحة المختلفة ومن بين تلك الأخبار التي بسطها في شرحه ما يلي:

فَفَضُّنْ جَمْعَهُمْ وَأَفَلَّتْ حَاجِبُ تَحْتَ الْعَجَاجَةِ فِي الْغُبَارِ الْأَقْتَمِ⁽²⁾

"قال الضبي: القتمة: سواد في حمرة. ورواها الطوسي: فهزمن جمعهم. ويقال: فض الله تعالى
فا الكافر.

أي: كسره، ولا يفضض الله تعالى فا المؤمن، ومنه الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
للنابغة الجعدي لما أنشده قصيدته:

(1) أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، تح أحمد مطلوب وخديجة الحديثي ط1، مطبعة العاني، بغداد، 1967، ص88-90.

(2) ابن الأنباري: شرح ديوان المفضليات، ص682.

الفصل الأول : وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني : الجانب التاريخي

خَلِيلِي غُضَا سَاعَةً وَتَهَجَّرَا وَتُومًا عَلَيَّ مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ أَوْ ذَرَا

فلما بلغ:

بَلِغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجُدُونَا وَإِنَّا لَنَرَجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إلى أين يا أبا ليلى؟)). فقال: إلى الجنة إن شاء الله تعالى. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا يفضض الله فاك)) أي: لا يكسره الله تعالى، فبقي النابغة كفي الحدث إلى أيام الحجاج، فإذا قال القائل لا يفضض الله فاك فمعناه لا يسقط الله تعالى ثغرك فيبقى موضعه فضاءً. وعنى بحاجب حاجب بن زرارة وكان رئيس القوم⁽¹⁾

فمن خلال هذا الخبر المروي عرفنا قصة النابغة مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وما آل إليه من مصير، والخبر نفسه يعيننا على معرفة حقبة مهمة من حياة النابغة وهي الحقبة التي بقي فيها النابغة كفي الحدث إلى أيام الحجاج، فقد أورد لنا ابن الأنباري ذلك الخبر ملتصقا فيه بعضا من تفاصيل تلك الرحلة التي حفظ لنا تفاصيلها الخبر المذكور وبسطه الشارح برداء فني ينم عن براعته التي عرف بها.

فهذه الأخبار وغيرها تصور لنا بعض المحطات المهمة في حياة الشعراء، إذ لولاها لما عرف عن الشعراء شيئا .

(1) - المصدر السابق، الصفحة نفسها.

الفصل الأول : وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني: الجانب التاريخي

وَإِذَا لَقَيْتَ الْبَاهِشِينَ إِلَى النَّدَى غُبْرًا أَكْفُهُمْ بِقَاعٍ مُمَجَّلٍ⁽¹⁾

"قال الضبي: الباهش الفرخ يقول الذين يأتونك يلتمسون جداك ونائلك، وقيل إن الباهش المتناول يقال بهش يبهش إذا تناول. وروي عن ابن العباس رضي الله تعالى عنهما أن محرماً سأله عن حية قتلها فقال: هل بهشت إليك؟ قال: لا: قال: لا بأس بقتل الأفعو ورمي الحدو: وقال صاحب الحديث فما أنسى خلاف لفظه لفظنا. والقاع الموضع الصلب الحر الطين الواسع يمسك الماء: قال المسيب بن علس:

وَإِذَا تَعَاوَرَتِ الْحَصَى أَخْفَافُهَا دَوَى نَوَادِيهِ بظَهْرِ الْقَاعِ..."⁽²⁾

شرح ابن الأنباري "الباهش" ولتقريب المعنى إلى المتلقي وتوضيحه أورد لنا الشارح خبر ابن العباس -رضي الله عنهما- مع المحرم الذي سأله عن الحية التي قتلها. وسواء أكان الخبر يقينياً أم تصديقياً فقد اعتمده الشارح كثيراً لإثبات الآراء والقضايا أو نقصها سواء أكان الغرض منها التمثيل والاحتجاج أم كانت الغاية استثماره في توضيح الأحداث التي تتعلق بالشعراء وأشعارهم، أو ما يتعلق بمناسبات قصائدهم الشعرية.

(1) - المصدر السابق ص753.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

المبحث الثالث

الاجتماعيات

1- شجرة الأنساب:

2- المثل السائر:

3- الأشعار

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث: الاجتماعيات

3 - الاجتماعيات:

يهتمّ الشارحُ في هذا الإطار- للمقام الخارجي لشرح النصّ -بالثقافة الاجتماعية التي أظهرها الشاعر في شعره فهو يتمثل إما في شجرة الأنساب وما ينشأ عنها من علاقات وإما في الآداب التي أشار إليها الشاعر في شعره.

1- شجرة الأنساب:

وتشمل علاقات القربى التي تنشأ عن طريق المصاهرة وما يتأسس من أحلاف بداعي العصبية، ويساهم كل ذلك في توضيح ملابسات القول وحوافزه، وكثيرا ما نلاحظ مثل هذه التوضيحات في شرح ابن الأنباري، إذ كان حريصا على تدقيق رواية أقواله وشواهدة حيث قال في شرحه لبيت الحصين بن الحمام الذي قال فيه:

وَلَوْلَا رِجَالٌ مِنْ رِزَامِ بْنِ مَالِكٍ وَآلِ سُبَيْعٍ أَوْ أُسُوكَ عَلَقَمًا

"ويروى من رزام بن مازن وهي الرواية وقوله أسؤ كعلقما أراد سبيع ابن عمرو بن قتيبة بن أمه

هكذا قال هشام بن محمد بن أبيه إن بني عبس دفعوا صبيتهم إلى مالك بن سبيع وأما

أبو عبيدة فيما أخبرني به أحمد فقال إنما دفعوا إلى سبيع أبي مالك: فلما حضره الموت قال

لابنه مالك إن عندي مكرمة لا تبديد أبدا إن احتفظت بهؤلاء الأغليمة ومالك ابن السبيع

بن عمرو بن فتية بن أمه بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان وكان شريفا وهو

صاحب الرهن التي وضعت على يديه في حرب عبس وذبيان وعلقم ترخيم علقمة بن عبيد

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث: الاجتماعيات

بن عبد بن فتية بن أمه بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن ذبيان ومن روى رزام بن مالك فلا معنى له وهو غليظ وإنما هو مالك بن مازن والصحيح رزاء بن مازن⁽¹⁾

روى ابن الأنباري عن هشام بن محمد بن أبيه، ثم عن أبي عبيدة فيما أخبره به أحمد، والشارح هنا توسل لمعرفة الأحداث الحافة بالمقال معرفة الناس الذين يظهر فيهم ذلك المقال وما الشاعر الذي هو منهم إلا صدى لهم في حالات عدة، فبقدر ما تكون الإحاطة بالنسيج الاجتماعي أشمل فإن ذلك يساهم أكثر في إضاءة النص، وكشف دروبه وإنارة صواه، كما أن الإحاطة بمثل تلك التفاصيل تمثل جانبا ذا خطر في ثقافة الشارح الذي يسعى إلى رصد كل ما يعين على فهم الشعر.

2- المثل السائر:

شكل المثل فنا من فنون الأدب العربي له حضوره المتميز وله خصائصه التي يفرق بها عن غيره من فنون القول والمثل عند العرب «الشيء الذي يضرب للشيء مثلا فيجعله مثله وهو ما يضرب به من الأمثال... ومثل الشيء صفته»⁽²⁾

ويأتي المثل بمعنى العبرة أيضا "والعبرة هي كالموعظة مما يتعظ به الإنسان ويعمل به ويعتبر ليستدل به على غيره والعبرة الاعتبار بما مضى"⁽³⁾

(1) المصدر السابق، ص 110.

(2) ابن منظور: لسان العرب، مادة مثل، مج 3، ص 437.

(3) المرجع نفسه، ص 668.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث: الاجتماعيات

فالمثل حسب لسان العرب له معنيين: المعنى الأول وهو صفة الشيء، والمعنى الثاني هو العبرة والموعظة.

والمثل في الاصطلاح "جملة من القول مقتضبة من أصلها، أو مرسلة بذاتها فتتسم بالقبول وتشتهر بالتداول، فتنتقل مما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها من غير تغيير يلحقها في لفظه، وعم يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني فلذلك تضرب وإن جهلت أسبابها"⁽¹⁾.

وأما في الأدب فالمثل: "قول محكي سائر يقصد به تشبيه حال الذي حكى فيه بحال الذي قيل لأجله، أي يشبه مضربه بمورده. والأمثال في حقيقتها أصدق من فنون القول الأخرى شعراً أو نثراً، وقد قيل في المثل أربعة لا يجتمعن في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وأصالة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية"⁽²⁾ وللمثل تحديدات أخرى وإن اختلفت فإنها تلتقي عند النظر والشبه والتمثيل... وهذا اللون الأصيل من الأدب العربي امتلك صفات وخصائص يمكن إجمالها بإيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، لذلك امتلك المثل سمة الخلود بين الأنواع الأدبية فهو "أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء مسيره ولا عم عمومه حتى قيل أسير من مثل"⁽³⁾

فهو نهاية البلاغة إذن، لذلك اعتمد الشعراء والكتاب والخطباء على الأمثال ليكون لقولهم سند من الصدق والتأثير في النفس. وتتميز الأمثال في جملتها بخصائص لا توجد في غيرها

(1) السيوطي: المزهري، ص486.

(2) محمود سيد شقير: ألوان من التربية العربية، مطابع عاصم، الرياض، دط، ص10.

(3) ابن عبد ربه: العقد الفريد، تح أحمد أمين، وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي بيروت، ط3، 1969 ج3، ص63.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث: الاجتماعيات

لذلك يشترك في قولها الصغير والكبير والعامي والمتعلم والبادي والمتحضر والرجل والمرأة، فهي "قول الشعب بمجموع طبقاته لا تخضع لقانون ولا تجري على قواعد النحو والبلاغة لأنها صادرة عن الشعب تصف الأشياء والأشخاص وما هم عليه من أخلاق وسجايا أو ما بهم من عيوب وردائل، ويطلق على هذا النوع الأمثال السائرة، وهي التي سارت مع الأيام ودارت على الألسن، وهناك أمثال أخرى نطقت بها الصفوة المثقفة من الناس ولا يشترط فيها أن تكون معبرة عن نفسية طبقات الشعب بل هي مبادئ وأقوال يقررها أصحاب هذه العقول ويصدرونها عن رؤية ويقصد بها الإرشاد والوعظ والنصح، ويطلق على هذا النوع الأمثال الحكمية. وهناك نوع يسمى بالأمثال القرآنية، حيث استخدم القرآن الكريم المثل في آيات عديدة بغية التذكير والعظة والحث والزجر، ولتقريب المراد للعقل"⁽¹⁾ وعلى هذا تكون الأنواع التي ذكرها العلماء للأمثال هي:

الأمثال السائرة، الأمثال الحكمية، الأمثال القرآنية

وهناك من يصنف هذه الأمثال العربية تصنيفات أخرى منها:

1- الأمثال الجاهلية.

2- أيام العرب أو الأمثال التاريخية.

(1) محمود سيد شقير: ألوان من التربية العربية، ص 11.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث: الاجتماعيات

3- الأمثال الإسلامية، وأكثرها مما يعتمد على معاني القرآن الكريم والحديث الشريف والقيم الإسلامية⁽¹⁾.

إن السمات والصفات التي ذكرت في المثل جعلته يمتلك قدرة استشهادية فقد جرى علماء اللغة العربية على الاستشهاد في كثير من القضايا اللغوية بالمثل العربي، الذي يعد مادة لغوية، فكان يمثل الأنموذج النثري الوحيد الذي "اطمأنوا إليه في صحة الاستشهاد"⁽²⁾ يصاغ المثل في شكل تعبير جاهز، يكون عادة على المجاز وهو بالإضافة إلى ذلك يسير في الناس، وينتقل من أمة إلى أخرى لذلك قيل مثل عربي، مثل صيني... إلخ وفيما يلي ننظر في بعض المعاني التي استوحاها شعراء المفضليات من الأمثال العربية وأشار إليها ابن الأنباري ووضحها من خلال شرحه:

وَتَنِيَّةٍ مِنْ أَمْرِ قَوْمٍ عَزَّةٍ فَرَجَتْ يَدَايَ فَكَانَ فِيهَا الْمَطْلَعُ⁽³⁾

"قال الأصمعي هذا مثل: يقول جئت إلى أمر ليس فيه مسلك مستغلق فأصلحته فصار فيه مخرج لأهله قال أحمد: عزة نعت للتثنية والمعنى للخطة الصعبة: يقول صعبت على غيري ففرجتها برأي وحذقي في الأمور"⁽⁴⁾

(1) رياض عبد الحميد مراد: معجم الأمثال العربية، إدارة الثقافة والنشر، 1986، ج1، ص3.

(2) محمد المخزومي: الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه، دط، دار الرائد، بيروت، دت، ص79.

(3) ابن الأنباري: شرح ديوان المفضليات، ص300.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث: الاجتماعيات

ذكر ابن الأنباري رواية الأصمعي وأحمد لتدعيم شرحه بالرغم من أن هذا البيت هو مثل معروف وتتداوله الألسن العربية -على الأقل في عصرهم- فعندما كانت اللفظة خارج سياق المثل كانت تبدو غير مفهومة أو غير واضحة، ولكن عندما جاءت في سياق المثل تبين معناها وبذلك حقق ابن الأنباري ما يريده من هذا الشاهد .

ونلاحظ أن الشارح هنا يحرص على عرض أدق الروايات واختلافاتها، ولو كانت بسيطة في شرح المفردة الواحدة، مع التمثيل لذلك لتقريب المعنى وتوضيحه سواء أكان مثلاً أو حكمة أو بيت شعري كما هو الحال في شرحه التالي:

رُبُّ مَنْ أَنْضَجَتْ غَيْظًا قَلْبَهُ قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتًا لَمْ يُطْع

وِيرَانِي كَالشَّجَا فِي حَلْقِهِ عَسِرًا مَخْرَجُهُ مَا يُنْتَزَعُ⁽¹⁾

«ويروى في البيت الأول "ربما أنضجت غيظاً قلب من "الشجا الغصص ونحوه ويقال في مثل ويل للشجي من الجلي يخفف الشجي ويثقل الخلي وقال لي أبو جعفر روى الأصمعي هذا المثل ويل للشجي من الخلي مثقلين وقال المعنى ويل للحزين من الخلي من الحزن وانشد لـ أبي دؤاد :

مَنْ لَعَيْنٍ بِدَمْعِهَا مُؤَلِيَهُ وَلِنَفْسٍ مِمَّا عَنَاهَا شَجِيَّةُ

(1) المصدر السابق، ص 401.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث: الاجتماعيات

أي حزينه وقال أبو عكرمة: ويل للشجي من الخلي في مثل لم يرو إلا بتخفيف الشجي وتثقيل الخلي ولم يرويا مثقلين ويروى وأراني كالشجا في حلقة ويقال أشجاه يشجيه إذا أغصه قال أبو جعفر لو كان معنى المثل الغصص يقل للشجي من المسيغ⁽¹⁾

ذكر ابن الأنباري رواية أخرى للبيت وشرح كلمة "الشجا" وروى مثلاً في ذلك ونقل رواية أبي جعفر والأصمعي لذلك المثل وأورد بيتاً شعرياً يشابهه في المعنى، حاول فيه توضيح كلمة "الشجا" ثم نقل رواية أبي عكرمة.

فهو هنا يقوم بالتوثيق في نسبة كل قول إلى صاحبه مهما تعددت الأقوال والآراء وتضاربت أو جانبت الحقيقة، والصواب مادام صاحب القول مذكوراً في صدر كلامه أو في شرحه وهذا ما نراه في هذا البيت :

رَفِيقًا لِمَنْ أَعْيَا وَقُلْدَ حَبْلُهُ وَحَادَرَ جِرَاهُ الصَّدِيقُ الْأَقْرَابُ⁽²⁾

"يقول كنت أرافق من أعيا عداله وقلد حبله وهذا مثل كأنه يقول ترك لمن يئس منه كما يفعل بالبعير إذا ألقى حبله على عنقه وترك في سومه وجراه جريته وهو جنايته يقال جر فلان على قومه جريرة سوء والصديق يكون واحداً وجمعاً وهو ههنا جمعاً: ومنه قول الله عز ذكره "أو صديقكم" - الآية 61 من سورة النور- أي أصدقاؤكم ومنه قول الله عز

أبو زيد: قال سمعته يقول ونحن نسأله ومررت عجوز فضاق الطريق عنها:

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه، ص 414.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث: الاجتماعيات

تَنَحُّ لِلْعَجُوزِ مِنْ طَرِيقِهَا إِذَا أَقْبَلَتْ جَائِيَةً مِنْ سَوْقِهَا دَعَاها فَمَا النَّحْوِيُّ مِنْ صَدِيقِهَا

أي من أصدقائها وروى أحمد قرينه من أعيان وقال الأقارب نعت للصديق والصديق ههنا جمع وحاذر اتقى وجرى فعلى من جر عليه الأذى يجره ومنه أعلينا جرى حنيضة أعلى جرى قضاة: في قصيدة الحارث في غير موضع قال وإنما ألقى حبله على عنقه لأنه ليس ينقاد لمن يقوده ولا ينساق لمن يسوقه فتترك يفعل ما يشاء لما رأوا أنه لا حيلة فيه⁽¹⁾

ذكر ابن الأنباري معنى البيت الشعري ضاربا مثلا لذلك ثم شرح كلمة "جراه" وكلمة "الصديق" واستشهد على ذلك بأية قرآنية، ثم بقول رؤية برواية أبو زيد، وانتقل بعدها إلى رواية أحمد وشرح كلمة "حاذر" واستشهد ببيت شعري من قصيدة الحارث، ليعود في الأخير ليذكر لنا معنى المثل المذكور آنفا.

نلاحظ أن الشارح في التزامه برأي أساتذته وشيوخه كان عاصما له من الزلل والشطط، لأنه ربما لو حاول أن ينفرد برأي أو قول بما لم يسمع كان سيقع في الخطأ والوهم ويجانبه التوفيق .

ومع ذلك فقد وظف ابن الأنباري المثل باعتباره "خلاصة تجربة ونقل لخبرة بجملة موجزة بليغة تلخص حادثة أو واقعة فتكون دليلا لها ومخبرا عنها وموحية بها"⁽²⁾ والنموذج التالي يمثل ذلك:

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) إبراهيم صحراوي: السرد العربي القديم، ص62.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث: الاجتماعيات

كثوب ابن بيض وقاهم به فسد على السائلين السبيلاً⁽¹⁾

«قال الأصمعي ابن بيض رجل نحر بغيره على ثنية فسدها فلم يقدر أحد على جوازها فضرب به المثل فقيل سد ابن بيض السبيل يعني الطريق وقال أراد أن يقول كبعير ابن بيض فلم يستقم له فقال كثوب وقال غير الأصمعي ابن بيض رجل كانت عليه إتاوة فهرب بها فأتبعه مطالبون فلما خشي لحاقهم وضع ما يطالبونه به على الطريق فلما أخذوه رجعوا فقالوا سد ابن بيض الطريق أي منعنا من اتباعه فكان الطريق مسدود علينا والمعنى قطعتم الشر كما قطع ابن بيض الطريق بعقره بغيره وأراد أن يقول كبعير ابن بيض فقال كثوب تمت قال محمد بن آدم أبو بكر العبدي قال ابن الأعرابي قال المفضل الضبي يقال إن ابن بيض كان رجلاً من عاد وكان مكثراً تاجراً فكان لقمان يجيز له تجارته ويجيزه ابن بيض ويعطيه في كل عام جائزة وحلة: فلما حضر ابن بيض الموت فخاف لقمان على ماله فقال لابنه سر إلى أرض كذا وكذا ولا تقارن لقمان في أرضه وإن له في عامنا هذا حلة وجائزة وراحلة فسر بأهلك ومالك حتى إذا كنت بثنية كذا وكذا فاقطعها وضع للقمان حقه فان قبله فهو حقه عرفناه له واتقيناه به وإن هو لم يقبله وبغى أدرك الله بالبغي والعدوان فسار الفتى حتى قطع الثنية بأهله وماله ووضع للقمان حقه وبلغ لقمان الخبر فتبعهم فلما كان في الثنية وجد حقه فأخذه وانصرف وقال سد ابن بيض الطريق فأرسلها مثلاً⁽²⁾»

ضرب لنا ابن الأنباري مثلاً ثم روى لنا قصة هذا المثل وأشار إلى صاحبه.

(1) ابن الأنباري: شرح ديوان المفضليات، ص 90.

(2) المصدر نفسه، ص 91.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث: الاجتماعيات

نلاحظ من شرح ابن الأنباري اعتماد الخلف عن السلف والوثوق بهم وبعلمهم لأنهم كانوا أهلاً للثقة والشارح هنا قد اختار أن يعزز شرحه بتلك الأمثال السائرة، ليقوم الصلة بين تجربة الشاعر الخاصة وبين تجربة أو تجارب أخرى عامة .

وصَاحِبُهَا غَضِيضُ الطَّرْفِ أَحْوَى يَضُوعُ فُوَادَهَا مِنْهُ بُغَامٌ⁽¹⁾

"قال الضبي يצוע فوادها أي يذهب بقلبها وقال الطوسي الغضيض الفاتر الطرف وقد غض بصره يغضه غضا إذا لم يستوي في نظره: ومنه قول العرب: لا أعضك من ححك درهما ومنه قول جرير:

فَغُضِ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ تُمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَعْتَ وَنَا كِلَابًا

ويروى فغض وغض مثل مد ومد وقال الأحمى قال أبو عبيدة في لونه بين الشقرة والكمة قال وأما يצוע فيروع من الروع ضاعه يצועه ضوعا قال أبو ذؤيب :

فَرِيحَانٍ يَنْضَاعَانِ فِي الْفَجْرِ كَلَّمَا أَحْسًا دَوِيَّ الرِّيحِ أَوْ صَوْتِ نَاعِبٍ

البغام الصوت يقال بگمت الظبية تبغم بگما⁽²⁾

ومنهجية ابن الأنباري تتبع الخطوات التالية :

- ذكر رواية الضبي .

(1) المصدر السابق، ص 651.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث: الاجتماعيات

- روى عن الطوسي.
 - ذكر مثلا توضيحيا من أقوال العرب.
 - استشهد على شرح كلمة "عض" ببيت شعري من قول جرير
 - روى عن الأحوى قول أبو عبيدة
 - استشهد ببيت شعري من قول أبو ذؤيب على شرح كلمة "يضوع"
- مما سبق نلاحظ أن ابن الأنباري من خلال تعامله مع الأمثال التي يستشهد بها بين حالات ثلاث:
- حال يربط فيها المثل بشخص بعينه ويعمد إلى التأريخ للمثل لاكتشاف الملابسات التي حفت بنشوئه.
 - حال يربط فيها المثل بمصدره العام ممثلا في "العرب" وهي كلمة تعني السائد الثقافي (الشعري أو غيره) سنة واستعمالا.
 - حال يربط فيها المثل بطرف غير معروف من خلال صيغة المبني للمجهول دلالة على كثرة مستعملي المثل وشيوعه.
- مما سبق نلاحظ أن المثل كان حاضرا حضورا واضحا وبارزا في شرح ابن الأنباري لأنه يتضمن المعرفة ويدل على المعاني بالمحسوس فهو يقرب البعيد ويوقظ الإحساس من خلال التشبيهات التي هي عماده وعليه قامت أركانه وصفاته فضلا عما يحويه من معرفة لأحداث

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث: الاجتماعيات

وشخص وخصاياف نفسية واجتماعية في كل مجتمع صدر عنه المثل بوصفه صورة موجزة لحياة الأقسام، فهو يعبر عن طبيعة تفكيرهم ودقيق سلوكهم فيومئ إلى ما هو سائد في عصر من العصور من سلوكيات وأخلاق لجأ إليها بعض أفراد المجتمع وغالبا ما يكون وراء هذا المثل حادثة طويلة، ينقلها بكلمات قليلة موجزة تدل عليهم .

ومن هنا لا نستطيع منع أنفسنا من التساؤل عما إذا كانت كل الأمثال المروية نتيجة لتجربة إنسانية، أي لواقعة حقيقية؟ لذا غير مستبعد أن يكون قد نالها من الوضع والانتحال ما نال غيرها من المرويات العربية الأخرى وبديهي القول هنا إن وضع المثل وانتحاله يستدعي بالضرورة وضع قصة تناسبه أو اختلاق قصة أخرى لمثل موجود أصلا"⁽¹⁾

3- الأشعار:

الشعر ذلك السحر الحلال الذي خلب العقول، وداعب المشاعر، والأحاسيس بكل فنونه حتى أضحى ديوانا وسجلا وعنوانا لأمة عريقة، هي أمة العرب ببيانها وجمال لغتها التي ترجمها أبناؤها بنفثات من أنين الشعر، حتى قال عنهم الرسول -صلى الله عليه وسلم- : " لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين"⁽²⁾ وقال عنه عمرو بن الخطاب -رضي الله عنه- " الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه"⁽³⁾ فكان الأداة الأولى في تأديب أولادهم وتثقيفهم، حتى أنهم كانوا يقولون: "رووا أولادكم الشعر، فإنه يحل عقدة اللسان ويشجع قلب الجبان ويطلق

(1) إبراهيم صحراوي: السرد العربي القديم، ص15.

(2) ابن رشيق: العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح النبيوي عبد الواحد، مكتبة الخناجي، ط1، 2000، بيروت، ج1، ص15.

(3) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، شرح محمود محمد شاكر، دار المعارف، دط، دت، ج1، ص42.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث: الاجتماعيات

يد البخيل ويحض على الخلق الجميل" (1) ولذلك لا يخلو مؤلف من مؤلفات الأدب واللغة والتفسير من الاستشهاد الشعري، إذ كان للشعر القدح المعلى في تلك الكتب.

وله أهمية كبيرة في حياة العرب قبل ظهور الإسلام وبعده وهو الأساس الفكري لديهم وعليه تقوم صناعات أخرى من بينها الرواية والنقد لهذا يستقي كثير من شراح الشعر من كلام العرب، سواء من منثورهم أو منظومهم ولكن الكثرة الغالبة تأتي من الاستمداد من الأبيات الشعرية، لاسيما وأن الشعر ديوان العرب، وسجل عاداتها وعلومها ومدار الأحاديث في مجالسها وأسواقها الأدبية ولهذا عد الشعر من أهم مصادر الاستشهاد "وقد قسم العلماء القائلين للشعر أربع طبقات:

- الطبقة الأولى: الشعراء الجاهليون وهم الذين عاشوا في العصر الجاهلي ولم يدركوا الإسلام كما مرء القيس والأعشى وعنترة وغيرهم
- الطبقة الثانية: المخضرمون وهم الذين عاشوا في الجاهلية وأدركوا فترة من حياتهم في الإسلام كلبيد بن أبي ربيعة وحسان وغيرهم.
- الطبقة الثالثة: الإسلاميون أو المتقدمون العصر الأموي كجرير والفرزدق .
- الطبقة الرابعة: المولدون ويقال لهم المحدثون ويأتون بعد الطبقة الثالثة كبشار بن برد وأبي نواس" (2).

(1) المرجع السابق، ص42.

(2) ابن رشيق: العمدة، ج1، ص57.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث: الاجتماعيات

الطبقات الثلاث الأولى يحتج بكلام شعرائها أما الطبقة الرابعة لا يستشهد بكلامها مطلقاً

وما وجد في كتب اللغة والنحو فهو على سبيل التمثيل لا الاستشهاد.

واحتل الشعر أهمية ومنزلة في تاريخ الأدب العربي على مر العصور فكان يمثل الحياة

الاجتماعية، والسياسية للعرب منذ العصر الجاهلي فالشعر مستودع آدابها و مستحفظ

أنسابها وديوان حجاجها عند الخصام.

وبذلك أصبح الشعر يمتلك منزلة مهمة في نفوس العلماء، لما له من أثر ملحوظ في

مجالاتهم الحياتية كافة وعلى هذا فإن الشاهد الشعري كان له النصيب الأكبر في كتب

الأدب والنقد ومن قبلهما اللغة ،وقد تعود هذه المنزلة إلى أهمية الشعر وسهولة حفظه

وسيرورته بين الناس ،ولاسيما أنهم يعتمدون الحفظ الشفوي في ذلك ،مما جعله قريبا من

أذهان الأدياء الذين تغنوا به في كل مقام ومناسبة وبذلك أصبح الشعر يمتلك منزلة مهمة

."وقد عد بعض اللغويين الشعر الجاهلي المروي مصدرا لكثير من المعارف عن الجاهلية

وأخبارها وأيامها وأنسابها .ويمثل كذلك دليلا لغويا يستخدم في حالات من الجدل حول

القضايا اللغوية ، فهو بمثابة وثيقة متعددة الفوائد والمزايا"⁽¹⁾ إلا أن الشعر الجاهلي غير

صالح كله للرواية، فقد ضبطت الرواية بحدود زمانية ومكانية.

وابن الأنباري كثيرا ما نجده يلجأ إلى الشعر للأغراض التالية :شرح مفردة، وبيان قضية

نحوية،وتوضيح مسألة بلاغية، وتأکید المعنى، وبيان حادثة تاريخية، وشرح عادات العرب اللغوية

(1) جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار المعارف، القاهرة، 1973، ص122

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث: الاجتماعيات

وأدابهم، وشرح النكات العروضية، وشرح مسألة صرفية والإشارة إلى أسماء الأعلام وشرحها لتوضيح الشرح بتأييد معنى وتقريبه للمتلقى كشرحه لكلمة السديف في بيت ربعة بن مقروم الذي يقول فيه:

وأضياف ليل في شمال عرية قرية من الكوم السديف المرعباً⁽¹⁾

«يريد أنه قرى ضيفانه في ليلة باردة، والسديف شطب السنام والمرعب المقطع ويقال أخذ من الترعب وهو قطع السنام والكوم العظام الأسمنة الذكر أكوم والأنثى كوماء وأنشدني الضبي للأسعر:

ولقد أراك ولا تؤبن هالكاً عدل الأصرة في السنام الأكوم

وأنشدني للأسعر أيضاً:

فمنحت رمحي عائناً مبسورة كوماء أطراف العظام لها خلا

والتأبين الثناء على الميت قال رؤبة "فامدح بلالا غير ما مؤبن" ولا يكون التأبين إلا للميت ولم يجيء للحي في أشعار العرب إلا في بيت قاله الراعي وهو:

ورفع أصحابي المطي وأبنوا هنيذة فاشتاق العين اللوامع

وقيل المرعب المخ وقد رعب ترعبياً والمخ نفسه الترعب⁽²⁾

(1) ابن الأنباري: شرح ديوان المفضليات، ص 73.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث: الاجتماعيات

ذكر ابن الأنباري المعنى العام للبيت ثم شرح كلمتي "السديف والمرعب" واستشهد على معنى "السديف" ببيت شعري للأسعر ثم استشهد بعدها ببيت شعري آخر له أيضا على كلمة "الكوم" وانتقل بعدها إلى شرح كلمة "التأبين" واستشهد على ذلك بقول رؤبة ليبين أن كلمة التأبين تكون للميت في أغلب الأحيان واستعملت في بعض الأحيان للأحياء واستشهد على ذلك بيت شعري للراعي.

وابن الأنباري لا يريد بهذه الاستشهادات ضروب الاستطرادات التي يخرج بمقتضاها عن تفسير الشعر المراد إلى شعر آخر، وإنما يريد إضاءة جانباً من جوانب النص الأصل:

جُرْدَاءُ كَالصُّعْدَةِ الْمُقَامَةِ لَنَا قُرُزَوَى مِثْنَهَا وَلَا حَرِمٌ⁽¹⁾

"الجرادة القصيرة الشعرة وذلك يستحب في الخيل والصعدة القناة ويقال شبه طول عنقها بالصعدة وطوال الأعناق مستحب في الخيل وقوله زوى مثنها أي قبضه وشنجه يريد أنها كانت في كن وتعاهد لم تهزل لها الإذالة فمثنها مجتمع وأصل الزوي القبض والجمع يقال زواه يزويه زيا ومنه انزواء الجلدة في النار ومنه قول النبي (صلى الله عليه وسلم) زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها ومنه قول الأعشى:

يَزِيدُ يَغُضُّ الطَّرْفَ دُونِي كَأَنَّمَا زَوَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَلَيَّ الْمَحَاجِمُ

فَلَا يَنْبَسِطُ مَنْ بَيْنَ عَيْنَيْكَ مَا انزَوَى وَلَنَا تَلَقَّنِي إِيَّا وَأَنْفُكَ رَاغِمُ

(1) المصدر السابق، ص 46.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث: الاجتماعيات

والحرم الحرمان يريد أنها لم تحرم حسن الغذاء وانشد في الحرم بيت زهير:

وإن أناه خليلٌ يومَ مسْغَبَةٍ يقولُ لا غائبُ ماليَ ونا حَرَمٍ⁽¹⁾

شرح ابن الأنباري كلمة "الجرادة" وكلمة "زوى" واستشهد على ذلك بحديث للنبي (صلى الله عليه وسلم) ولتوضيح المعنى أكثر استشهد ببيت شعري للأعشى، ثم شرح كلمة "الحرم" واستشهد على ذلك ببيت شعري لزهير.

فابن الأنباري استشهد في شرحه لكلمات البيت بأمثلة ذكرتها في سياق مغاير للذي ذكرهم الشاعر فيه، فالشاهد لا يكشف لب الصورة الشعرية التي صاغها الشاعر وإن كان يضيء عنصراً من عناصرها فيخدم منها جانباً دون آخر.

و الاستشهادات الشعرية عند ابن الأنباري كثيراً ما تأتي على شكل قراءة مماثلة بعد بيت المفضليات مباشرة، كأن يقول على طريقة كذا أو هذا مثل قول الآخر كما ورد في شرحه لبيت الحادرة :

ومحل مجرٍ لا يسرحُ أهلهُ يومَ الإقامَةِ والحُلُولِ لِمِرْتَعٍ⁽²⁾

قال الأصمعي دار الحفاظ التي لا يقيم فيها إلا من حافظ على حسبه وصبر على ما لا يصبر عليه وذلك أنه لا يحافظ على نسبه إلا الشريف والأمرع الخصب ومثله قول سلامة بن جندل:

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه، ص 58.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث: الاجتماعيات

يُقَالُ مَحْبَسُهَا أَدْنَى لِمُرْتَعِبِهَا وَإِنْ تَعَادَى بِبُكَءٍ كُلِّ مَحْلُوبٍ

يقول نحبسها في دار الحفاظ ليهابنا عدونا فهو أدنى لأن ترتعي حيث شاءت وتعادى توالى والسبك قلة اللبن يقال بكأت بكؤت إذا قل لبنها يقول نحن نقيم وإن صارت إبلنا كلها بكاء ومثله قول الآخر :

تُقِيمُ عَلَى دَارِ الْحِفَاطِ بِيَوْتَهُمْ فَهُمْ خَيْرُ أَيْسَارٍ وَخَيْرُ فَوَارِسِ

ومثله قول عمرو بن كلثوم :

وَنَحْنُ الْحَاسِبُونَ بِنِي أَرَاطِي تَسِفُ الْجِلَّةُ الْخَوْرُ الدَّرِينَا

الدرين ما تحات من ورق الشجر قال أحمد أي تقيم بالثغر وموضع المخافة لنعر أهلنا ونمنع أحياءنا وعشيرتنا يقول وإن كنا في جذب لا تترك أحياءنا وعشائرننا ونرحل في طلب الخصب"⁽¹⁾

روى ابن الأنباري عن الأصمعي في شرح البيت الشعري، واستشهد على ذلك بيت شعري

لسلامة بن جندل، ثم شرح كلمة "بكأت" واستشهد ببيت شعري آخر لمجهول، وآخر لعمرو

بن كلثوم وشرح بعدها كلمة "الدرين" وفي الأخير ذكر رواية أحمد.

أَرَقْتُ وَنَامَ الْأَخْلِيَاءُ وَهَاجَنِي مَعَ اللَّيْلِ هَمٌّ فِي الْفُؤَادِ وَجِيعٌ⁽²⁾

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه، ص 544.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث: الاجتماعيات

الأرق: ذهاب النوم والأخلاء جمع خلي وحكى أبو زيد سعيد بن أوس ويل للشجي من الخلي بتخفيف الشجي وتشديد الخلي، وحكى أبو جعفر ويل للشجي من الخلي بتشديدهما جميعاً عن الأصمعي واحتج بقول أبي دؤاد:

مَنْ لَعِينٍ بدمعها مؤليه ولنفسٍ مما عنها شجيه

وقال الشجي بالتخفيف ضد المسيع وهو الغاص وبالتشديد ضد الخلي وهو الحزين وعلى ذلك بيت أبي دؤاد.

وقوله مع الليل يريد أن الهموم والفكر تأتي بالليل وأنشد قول النابغة:

وصدر أراح الليل عازباً همّة تضاعف فيه الحزن من كل جانب

غيره. أرق: سهرت. ويروى: أرق: وقد نام الخلي وعادني ❖ مع الليل. والخلي: الذي لا هم له والشجي: الحزين. ووجيع موجه وكذلك أليم مؤلم⁽¹⁾.

شرح ابن الأنباري "الأرق" ثم شرح بعدها كلمة "الشجي" وحكى ذلك عن أبي زيد سعيد

بن أوس وأبي جعفر، واحتج على ذلك بقولين لأبي الدؤاد، فقد استعان الشارح بالشعر في شرحه لأن هذا الأخير لم يكن ديواناً للعرب وتاريخاً لهم ومجالاً للهوهم ومتنفساً لمعاناتهم فحسب، فقد أدى وظيفة أخرى هي إيضاحه المعاني المبهمة وتقريبها للمتلقى.

⁽¹⁾ المصدر السابق، الصفحة نفسها.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث: الاجتماعيات

فتفسير الشارح للألفاظ استنادا إلى شواهد قوية وموثوقة يدخل القارئ في دائرة الفهم والاستيعاب والتذوق للنص، ثم إن القارئ أو المتلقي يعود ويستبدل - ذهنيا - المعنى الجديد للفظ الغريبة مكان المعنى الأصلي (الغريب) بعد أن تأكد من فصاحته عن طريق الاستشهاد.

وفي ضوء ما تقدم نستنتج أن ابن الأنباري أدخل الشاهد الشعري بشكل كبير في جميع قضايا شرحه سواء أكان استدلاليا أو تمثيليا، فاستعمل الشعر القديم للاحتجاج وأما الشعر المحدث استشهد به لغرض التمثيل ونلاحظ أن احتجازه بالشعر أفشى وأشيع كثيرا من الاحتجاج بالأمثال ويرجع سبب ذلك إلى شيوع حفظ الشعر، لأن ايقاعاته تساعد على ذلك وحضوره الدائم في ذاكرة الأئمة، ونتيجة الإيقاع كانت الحفظ، وبذلك نال الشعر عنصر الضبط الذي جعله يتصدر ويصل إلى مرتبة عليا من الاحتجاج.

المبحث الرابع

المرجعيات

1- مرجعيات معرفية

2- مرجعيات جغرافية

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الرابع: المراجعيات

المراجعيات:

ومن الأسباب المهمة الأخرى الداخلة في توضيح وفهم النص والتي لها أهمية كبيرة في

ذلك ما يسمى بالمراجعيات وهي مراجعيات معرفية وجغرافية:

1- المراجعيات المعرفية :

وهي مراجعيات تعود إلى شيء معرفي، يفسر النص وابن الأنباري استند إليها كثيرا في شرحه

ومن ذلك شرحه لبيت سويد بن أبي كاهل الذي يقول فيها :

فِي حَرُورٍ يَنْضِجُ اللَّحْمُ بِهَا يَأْخُذُ السَّائِرُ فِيهَا كَالصَّقَعِ⁽¹⁾

«الحرور ريح حارة تكون بالنهار: والسموم تكون بالليل والنهار جميعا: يقال قد سم يومنا

وليلتنا ينضج اللحم بها من شدة حرها والصقع حرارة تصيب الرأس وأصل الصقع الضرب

على الشيء اليابس يقال صقته صقعا غيره الحرور أكثر ما تكون بالليل وقد تكون بالنهار

وهي الريح الحارة والصقع يقال صقع الرجل إذا أصابه شيء أذهب عقله وأصله من الصاعقة

والصاعقة مقلوب وقال أبو عمرو الصقع كالحيرة والسدر ويروى يطبخ اللحم بها"⁽²⁾

ذكر ابن الأنباري الفرق بين السموم والحرور مما سهل على القارئ معرفة معنى البيت

وأشار إلى مختلف الروايات الواردة في ذلك والاختلافات من رواية إلى أخرى، حيث عد بعضهم

(1) ابن الأنباري: شرح ديوان المفضليات، ص 388.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الرابع: المرجعيات

الحرور ريح تكون بالنهار فقط بينما السموم تكون بالنهار والليل معا في حين عد بعضهم الآخر

الحرور تكون في أغلب الأحيان بالليل وقليل ما تكون بالنهار

يَشْوِي لَنَا الْوَحْدُ الْمُدَلَّ بِحُضْرِهِ بِشْرِيحٍ بَيْنَ الشَّدِّ وَالْإِيرَادِ⁽¹⁾

"الوحد الثور أو الحمار الذي ليس مثله شيء من حسنه قد فاق قرناه: أي فهذا الفرس من

شدة عدوه يلحق أشد الوحش عدوا وقوله يشوي لنا أي كأنه لما صاده هو شواه والمدل المفتخر

المباهي، والحضر العدو يقال أحضر إحضارا إذا عدا، والشريح الخليط والإيراد أشد الشد وروى

أبو جعفر وغيره يشوي بضم الياء وقال بشريح يخلط بين الشد الشديد وبين الرفق لا يجهد

نفسه والإيراد أراد الإرواد"⁽²⁾

شرح ابن الأنباري كلمة الوحد وذكر الفرق بينه وبين أقرانه، سواء أكان فرسا أو حمارا

أو ثورا ثم شرح (المدل، الحضر، الشريح، والإيراد) وروى بعد ذلك عن أبي جعفر وغيره.

2- المرجعيات الجغرافية:

وهي مرجعية يعرف الشارح من خلالها اسم الموضع أو المكان الذي يزيل الإبهام عن المعنى، قال

ابن الأنباري في شرح بيت سويد بن أبي كاهل:

كَائِثُ أَمِيَّةٍ إِنْ بَاشَرْتَهَا قَرَّتِ الْعَيْنُ وَطَابَ الْمُضْطَجَعُ⁽³⁾

(1) المصدر السابق، ص 456.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، ص 396.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الرابع: المرجعيات

"قال الأصمعي التؤام على البحر يكون عنده الغوص فأراد درة نسبها إلى ذلك الموضع وقال الحرمازي نسبها تؤام وهي قصة عمان التي تلي الساحل وقصبتها التي تلي الجبل صحار كما قصبة البحرين بالخط مما يلي الساحل القطيف والقصة الهجر والمدينة المشقر والصفاء ، و المشقر مدينة عليها سور فيها قلعة في وسطها على قارة يقال فيها عطالة حصن قديم وقوله إن باشرت أي صرت معها في ثوب واحد وقال بعضهم ممن يخبر ليس التؤام على الساحل وقصبة عمان صحاري ومنها إلى تؤام عشرون فرسخا وهي مدينة فيها منبر على طرف المفازة التي بينها وبين البحرين قال أحمد بن عبيد نسبها إلى عمان وعمان ما ولي البحر منها يسمى تؤام وما ولي البر منها يسمى صحاري"⁽¹⁾

ذكر ابن الأنباري رواية الأصمعي في تحديد موضع التؤام ثم روى عن الحرمازي الموضع الذي نسبها إليه وانتقل بعدها إلى تحديد موضع مدينة المشقر ثم شرح جملة "باشرت" ، وعاد مجددا إلى "التؤام" ونقل لنا رواية عن مجهول ورواية أحمد بن عبيد .

إن تحديد ابن الأنباري لموضع "التؤام" قرب المعنى وسهله للقارئ، كما نلاحظ في الغالب الأعم أنه يعتمد على شروح أساتذته، حيث تظهر صورة هؤلاء الأساتذة واضحة في شرحه لاسيما حين يجمع أقوالهم معا حول شرح موضع واحد راصدا بذلك مظاهر التقاطع بينهم ليصل في النهاية إلى المعنى الأصح الموثوق به .

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها .

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الرابع: المرجعيات

أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد⁽¹⁾

"لم يقل فيه أبو عكرمة شيء وقال أحمد سنداد نهر الحيرة والخورنق موضع بالحيرة والسدير النخل وسنداد الرواية بكسر السين إلا أن أحمد أنشدني بالفتح وسألت ثعلبا عنها فلم يعرف غير الكسر وهل أسفل من الحيرة بينها وبين البصرة"⁽²⁾

نقل ابن الأنباري رواية أحمد وأشار إلى اختلاف الرواية بينه وبين ثعلب وهذا الكم الهائل من العمليات التفسيرية التي قدمها لنا الشارح تدل على ثقافته وسعة اطلاعه، إذ أنه عالم جليل أثرى ديوانه بالشيء الكثير.

مما سبق نستنتج أن ابن الأنباري شرح ديوان المفضليات وغمره بإضاءات قرآنية وحديثية وأبيات شعرية وأمثال عربية مؤيدا شرحه بأقوال العلماء من أهل اللغة والنحو فهذا كله دل دلالة واضحة على تلك العقلية العربية المميزة ذات الثقافة الواسعة حيث أننا نراه يتعمق في أبيات المفضليات موضحا أغزر معانيها، وأبدع طرائقها متخذا من العلوم الأخرى وسيلة لكشف المغمور، والتنقيب خلف المستور إذ يسلط الضوء حيناً على الشعر المختار وأحياناً أخرى عن الشعراء، من خلال التعريف بهم وتحديد أنسابهم، فقد امتاز ابن الأنباري من خلال شرحه هذا بأنه كان يأتي بمقدمات طويلة في بداية كل قصيدة مشيراً إلى نسب الشاعر مروراً بالحوادث التاريخية مستندا إلى العلماء والرواة الذين سمع منهم أو أخذ عنهم وزود قارئ شرحه بمجموعة ضخمة من المعلومات التاريخية والأخبار التي تتعلق بذلك العصر.

(1) المصدر السابق، ص 449.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

المبحث الخامس

الرواية

1- الرواية في النص الواصف:

أ- مفهوم الرواية

ب- طبقات الرواة

2- الرواية عند ابن الأنباري

أ- الدقة

ب- الصحة

3- سمات الرواية عند ابن الأنباري

أ- الزيادة

ب- الاختلاف

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الخامس: الرواية

1- الرواية في النص الواصف:

أ- مفهوم الرواية:

أصل كلمة (رؤي) بالكسر وهي الماء والريان ضد العطشان، وماء رؤي صفة لأعداد المياه التي لا تزاح، ولا ينقطع ماؤها، ويمكن ربط هذه الدلالة برواية الشعر التي لا تنقطع لأن كل عالم يروي ما رواه لغيره حتى لا ينقطع حبل رواية الشعر، والرواية هو البعير أو البغل أو الحمل الذي يستقى عليه الماء، والقصد هنا الحمل، فالرواة يحملون الشعر في صدورهم⁽¹⁾ فالرواية في بدء أمرها محصورة فيما يتصل بالماء من إناء يحمل فيه كالمزادة ومن حيوان يحمل عليه كالبعير ومن إنسان يحمله مستقيا.

قال الجاحظ "الرواية هو الجمل نفسه وهو حامل المزادة، فسميت المزادة باسم حامل المزادة، ولهذا المعنى سموا حامل الشعر والحديث راوية"⁽²⁾

ثم صارت الرواية تطلق على الدابة التي تتخذ لحمل المتاع، وبعدها أصبحت تطلق على السادة لأنهم يقومون بأعباء غيرهم ويحملون عنهم أثقالهم، ومن مجاز هذا الحمل حمل الشعر أو الحديث فقالوا فلان راوية للأدب والشعر وراو للحديث، وكان في البداية خاص بالشعر وحده، أي مجرد حفظه ونقله وإنشاده، حتى آخر القرن الأول وبداية القرن الثاني وفي

أواخر هذا القرن أصبح هناك راوية للحديث كما كان للشعراء رواة

⁽¹⁾ ينظر ابن منظور: لسان العرب: مادة روي، ج6، ص272.

⁽²⁾ الجاحظ: الحيوان، الحيوان، تح وشرح عبد سلام هارون، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ط2، 1965، ص33.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الخامس: الرواية

والرواية مصدر قياسي خاص يدل "على حرفة على وزن فعالة مثل حكاية، الفعل منها روى يروي، روى الحديث أو الخبر قصه أنبأ به وتحدث و"راو" اسم الفعل منه و"راويه" للمبالغة في صفته بالرواية والرواية أكثر مصطلحات هذا الحقل الدلالي استعمالاً من العرب القدماء لأنها كانت الأداة التي اتخذوها وسيلة لنقل الأخبار، وكل ما تعلق بأمر حياتهم عن أسلافهم وتوريثها لخلفهم"⁽¹⁾

وقد كانت رواية الشعر ذات أهمية كبيرة في حياة القدماء جميعاً، وكانت تحظى بكثير من العناية لديهم لأن الشعر هو فنهم الأول "وهو علمهم الذي لم يكن لهم علم أصح منه"⁽²⁾ فالشعر هو منتهى حكمتهم به يأخذون، وإليه يصيرون وهو العامل الذي يرضي نوازع نفوسهم ويطفأ ظمأهم ويهز مشاعرهم، يتناقلونه، ويتناشدونه في المناسبات والمجالات المختلفة، لذلك شغفوا بروايته وحرصوا على حفظه ودراسته.

وإذا رجعنا إلى صدر القرن الأول ونظرنا في أخبار الجاهليين ثم في أخبار الرسول الأمين - صلى الله عليه وسلم- وفي أخبار خلفائه الراشدين وسائر الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين- وجدنا اهتماماً كبيراً برواية الشعر وإنشاده فقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يستنشد الشعر ويسأل صحابته عنه.

(1) ابن منظور: لسان العرب، مادة روي، ج6، 272.

(2) ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، شرح محمود محمد شاكر، دار المعارف، طبعات، 22.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الخامس: الرواية

ب- طبقات الرواة:

اجتازت الرواية في تاريخها الأول مرحلتين متميزتين حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن في

كتب التراث:

أ- "مرحلة حملها رواة هواة

ب- وأخرى حملها رواة محترفون

في المرحلة الأولى كان الرواة -الهواة- يلازمون شاعرا بعينه، يسمعون منه ويحفظون شعره ويتلمذون له ويحتذون فيما ينظمون نظمه إلى أن يستقيم لهم فنهم... وأغلب هؤلاء الرواة كانوا من بين أقرباء الشعراء، أو من تلاميذهم المقربين إليهم، فقد كان راوية زهير الحطيئة وابنه كعب، وكان زهير نفسه راوية أوس بن حجر...⁽¹⁾ فالرواية عندهم في هذه المرحلة تدريب وهواية وكان هؤلاء الرواة يعتمدون في الغالب على الرواية الشفوية ولا يستخدمون الكتابة إلا نادرا وكما كان هناك رواة لشعراء كان هناك رواة للقبيلة أيضا.

و"أما المرحلة الثانية فنقصد بها الرواية العلمية المتخصصة التي حملها رواة حرفتهم الرواية وهم الرواة العلماء.. ونقصد بهم تلك الطبقة الخاصة المتميزة التي اتخذت من الشعر موضوعا علميا تدرسه، وتحلله وتأخذه عن شيخ أو أستاذ في مدرسة من مدارس علم الشعر وروايته، حيث يجتمع فيها التلاميذ مع العلماء ويتحلقون حول شيخ مشهور له بالحفظ والرواية، ومعرفة كلام العرب، والإحاطة الواسعة بشعرهم والمقدرة الفنية على تحقيقه وإثبات

(1) أحمد جمال العمري: شروح الشعر الجاهلي، ج1، ص61.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الخامس: الرواية

صادقه من منحوله، وذلك بالاطلاع على ما سبق عصره من جهود الرواة في حفظ الشعر، وتدوينه هذه الطبقة من الرواة العلماء، وبهذا التعريف والتحديد يبدو أنها لم تكن موجودة قبل مطلع القرن الثاني الهجري⁽¹⁾

ومعنى هذا أن الرواية منذ الهواية إلى الاحتراف مرت بطورين هامين، تطورت فيهما تطورا جوهريا، واكتسبت خصائص وسمات جديدة، فالطور الأول يتصل برواية الشعر وحده، ولا يعني إلا مجرد حفظه وتنقله وإنشاده، أما الطور الثاني كانت الرواية تقوم تماما على ما كانت تقوم عليه في الطور الأول، غير أنه قد أضيف إليها الضبط والإتقان والتحقيق، وقد اعتمد رواة الطور الثاني على علماء الطور الأول كما اعتمد الرواة اللاحقين على رواة هذين الجيلين. حيث نجد اعتماد علماء الجيل الثالث على علماء الجيلين السابقين ونقلوا رواياتهم "فالأصمعي جلس إلى أبي عمرو عشر حجج وسمع عنه وروى عنه ويونس أخذ عن أبي عمرو وكذا خلف وأبو عبيدة أخذ عن يونس كما أخذ خلف والكسائي وخلف معلم الأصمعي وسمع خلف من حماد وأخذ أيضا عن عيسى بن عمر، وعن أبي عمرو بن العلاء وأخذ أبو زيد وابن الأعرابي عن المفضل، وهكذا اعتمد بعضهم على بعض، وأخذ اللاحقون عن السابقين"⁽²⁾ وقد غلب على الرواة السابقين نوع معين من الاهتمامات فمنهم من اهتم بدواوين فحول الشعراء، ومنهم من وجه اهتمامه إلى دواوين القبائل، ومنهم من اختار قصائد لطائفة من الشعراء النابهين فجمع المفضل المفضليات والأصمعي الأصمعيات وكذلك فعل أبو تمام ومع

(1) ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي ، دط، دار المعارف ، 1962، ص 259.

(2) أحمد جمال العمري : شروح الشعر الجاهلي ، ج 1، ص 65.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الخامس: الرواية

بداية القرن الثالث ، ظهرت ظاهرة جديدة عند القوم "تلك هي نشأة المجموعات والاختيارات الشعرية التي لا يروى فيها ديوان شاعر بعينه ،ولا قبيلة بعينها، وإنما يختار فيها من الشعر على اختلاف أبوابه وموضوعاته مقطعات صغيرة ،لتيسير المحاضرة، والحديث على المثقفين، والمؤيدين الذين يتصلون بالملوك والأمراء والوزراء وأصحاب المكانة، كالمقطعات التي جمعها أبو تمام والبحثري في حماستهما ثم تابعهما الخالديان وابن الشجري وغيرهما"⁽¹⁾

وخالصة ما يمكن أن نقوله في موضوع الرواية، أن علماء الجيل الأول نقلوا تراث الجاهلية شعرها وأخبارها وأنسابها وصل إليهم بعضه مدونا في دوواين كاملة ،ووصل إليهم بعض منه مكتوبا في صحف متفرقة، وبعضه الآخر عن طريق الرواية الشفهية التي أورثها السلف للخلف، فحملوا الأمانة وصانوا التراث ،فخلف من بعدهم خلف هم الطبقة الثانية من العلماء الرواة، الذين ساروا على نهجهم يجمعون ويدرسون ويفحصون إلى أن يستقيم لكل منهم ما تيقن صحته، فيذيعه على علماء الطبقة الثالثة، وقد كان لكل من هؤلاء منهج في الأخذ والتلقي وقد يتفق وقد يختلف مع غيره، ولكن هذا الخلاف في المنهج لم يمنع العلماء من أن يأخذ بعضهم عن بعض . "والهم المركزي في الرواية (كما في الحديث) هو التوثيق وتحقيق النصوص والاحتفاظ بها كما هي، أو كما يعتقد أنها هي، فهي تنطوي على موقف

⁽¹⁾ المرجع السابق،ص67.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الخامس: الرواية

إيديولوجي، من جهة الحافظة والتبعية، كما تنطوي على إجراء تقني له أدواته اللغوية وغير اللغوية⁽¹⁾

2- الرواية عند ابن الأنباري:

أول عناصر الشرح - عند ابن الأنباري - هي الرواية وعلى هذا العنصر يتوقف المعنى كما أنه المنطلق لبقية العناصر الأخرى، لذلك وجدناه يشغل حيزا كبيرا في شرحه، وسيطر على معظم أفكاره، وأقواله، ولا يغيب عن أذهاننا أن الرواية كانت العنصر الأول، والشغل الشاغل الذي يثير اهتمام الناس، فهم يريدون معرفة حقيقة اللفظ، وصحة اللغة بعيدا عن التحريف، والتصحيح لفهم معاني الشعر ومقصود الشاعر، لذلك اهتم ابن الأنباري شأنه شأن علماء عصره بهذا الجانب وركز عليه.

أ- الصحة:

حرص ابن الأنباري في روايته على نقل أصحها، لاسيما وأن صحة الرواية يتوقف عليها صحة الشرح، وقربه من مقاصد الشاعر، وحقيقة المعنى، وقد كان له في الرواية قواعد خاصة التزم بها، وسار على هديها في جمع الشعر، وروايته، فهو قد جد في فحص الشعر ودراسته وتمحيصه وتوثيقه، فقد ذكر في مقدمة شرحه قال "أملى علينا عامر بن عمران أبو عكرمة الضبي هذه القصائد المختارة المنسوبة إلى المفضل بن محمد الضبي إملاء مجلسا مجلسا من أولها إلى آخرها وذكر أنه أخذها عن أبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي وذكر أنه أخذها عن المفضل

(1) محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيقا الشرق، الدار البيضاء، 1999، ص70.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الخامس: الرواية

الضبي قال أبو محمد وكنت أسأل أبا عمرو بندار الكرخي وأبا بكر العبدي وأبا عبد الله محمد بن رستم والطوسي وغيرهم عن الشيء بعد الشيء منه فيزيدونني على رواية أبي عكرمة البيت والتفسير وأنا أذكر ذلك في موضعه إن شاء الله فلما فرغنا منها صرت إلى أبي جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح فقرأتها عليه من أولها إلى آخرها شعرها وغريبها فأنكر على أبي عكرمة أشياء أنا مبينها في مواضعها ومسند إلى أبي جعفر ما فسروا في موضعه إن شاء الله⁽¹⁾ والأمثلة التالية دليل على ذلك:

لَقَدْ أَعْجَبْتَنِي لَأَ سَقُوطًا قِنَاعُهَا إِذَا مَا مَشَتْ وَلَأَ بِذَاتٍ تَقَلَّتْ⁽²⁾

"يقول لا تسرع المشي فيسقط قناعها ولا تكثر التلفت فإنه من فعل أهل الريبة أي ليست كذلك ويقال لا يسقط قناعها لشدة خفرها وحيائها قال الأصمعي وقد تلقي المرأة خمارها لحسنها وهي على عفة وانشد قول الشماخ "أطارت من الحسن الرداءة المحبرا" وانشد لأبي النجم :

مَنْ كُلِّ غِرَاءٍ سَقُوطِ الْبُرُقَعِ عِجْزَاءَ لَمْ تَحْفَظْ وَلَمْ تُضَيِّعْ⁽³⁾

يذكر ابن الأنباري شرحه لهذا البيت ثم يروي عن الأصمعي، مستشهدا بقول الشماخ ثم قول أبي النجم.

(1) ابن الأنباري: شرح ديوان المفضليات، ص 1.

(2) المصدر نفسه، ص 200.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الخامس: الرواية

ونرى ابن الأنباري في بعض الأحيان يكتفي بذكر راو واحد في شرح البيت، وربما يعود ذلك لعدم اقتناعه بجدوى الشرح مادامت الروايات الأخرى لم تحظى باهتمامه، وثقته لذلك تجاهل ذكرها. فهو لم يقبل من الروايات إلا ما ثبتت صحتها، ولم يروي منها إلا ما اطمأن لسلامته من الوضع والنحل، وكان حرصه شديدا في تحديد مصادره لذلك كان يتحرى جيدا عن راويه من الأعراب وغيرهم، وكان حرصه أشد عند أخذه من الرواة الشعراء الذين قد يدخلون شعرهم الذاتي بين ثنايا القصائد والمقطعات التي يروونها .

فهو قد عاش عصر الرواية ورقيا، بعد أن مرت بتطورات عدة، وانتقلت من منطقة السماع الشفهي إلى مجال التدوين والتوثيق .

وَأَصْعَدَتِ الرِّيَابُ فليسَ مِنْهَا بصاراتِ وُلّا بِالْحُبْسِ نَارُ⁽¹⁾

"قال الطوسي قال ابن الأعرابي أصعدوا هاربيين إلى نجد والرياب قبائل من تميم قال ويقال أصعد الرجل إذا ارتفع وأفرع إذا هبط وفرع إذا علا الجبل يقول فليس منها نار توقد بهذا المكان وقال أحمد بن عبيد الرياب عمومة تميم وهم ضبة بن أد وبنو أخيه ثور وعكل وعدي وتميم"⁽²⁾

نلاحظ أن ما ذكره ابن الأنباري متكامل العناصر، فالعلماء يكمل بعضهم بعضا لذلك تكاد الروايات أن تكون فيه مستوفاة والشروح في أغلبها متكاملة. كما أن التزامه بذكر ما ورد عن أساتذته كان من أجل الأمانة العلمية أولا وأخيرا، ثم الاعتراف بفضل هؤلاء الأساتذة

(1) المصدر السابق، ص 670.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الخامس: الرواية

المعلمين الذين بذلوا الجهد الكبير من أجل الوصول إلى الحقيقة، كما أن هذا الالتزام كان مدعاة لتوثيق الرواية والشرح معاً، لذلك وجدناه يذكر بكل فخر... أن هذا قول الطوسي وذلك قول أحمد بن عبيد وفي الحقيقة لقد كان هذا الأمر معيناً لنا على تحديد مصادره...

ورَأَوْا عُقَابَهُمُ الْمُدَّةَ أَصْبَحَتْ نُبِدَتْ بِأَفْضَحَ ذِي مَخَالِبَ جَهْضَمٍ⁽¹⁾

"قال الضبي مدلة على الأقران والفضحة شبهة تعلوها حمرة والمعنى نبذت بأسد جهضم أي قوي شديد والعقاب الراية قال أحمد بن عبيد أفصح يعني أسداً فيه حمرة وبياض شبه به الجيش ومنه فصح الليل النهار ورواها الطوسي بأغلب وقال العقاب ههنا الراية التي يقاتلون تحتها وعنهما وقال وقوله نبذت أي رميت وألقيت والمدلة التي أصحابها مدلون بجمعهم قال ويقال بأفصح أي بجيش أفصح في لونه من السلاح أي أسود وأبيض قال وجهضم هو الذي إذا قبض على شيء مات مكانه من شدة قبضه قال والأغلب يعني الأسد شبه الجيش في جرأتهم على أعدائهم بالأسد قال أحمد بن عبيد قال الأصمعي أصل الغلب غلظ في أصل العنق مع ميل وأنشدني للأغلب العجلي

مَا زِلْتُ يَوْمَ الْبَيْنِ أَلْوِي صَلْبِي وَالرَّأْسَ حَتَّى صِرْتُ مِثْلَ الْأَغْلَبِ⁽²⁾

فشرح ابن الأنباري هنا كان محصلة كل الشروح السابقة الواردة عن الرواة والعلماء لذا جاء شرحه شاملاً لكل العناصر التفسيرية الموروثة حتى عصره وهذا "لأن اشتغال الرواة على الشعر

(1) المصدر السابق، ص 682.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الخامس: الرواية

هو شكل من أشكال التأسيس لممارسة النص عند العرب لذلك سيكون لمجهوداتهم في شرح الشعر أثرها البارز في مساهمات اللاحقين⁽¹⁾

وابن الأنباري لا يمحص رأيه بل هو ملتزم بما جاء على ألسنة أساتذته التزاما شديدا، لا يحيد عنه ولا يخرج عليه يأخذه ويتداوله كأنه دستور، أو شيء مقدس يجب الحفاظ عليه والتمسك به كما هو، لا لشيء إلا لأنه ورد عن أساتذته الراسخين في العلم المشهود لهم بصدق الرواية وصحة الرأي .

ب- الدقة:

يمكننا الجزم أن ابن الأنباري من شدة تحريه للدقة في النقل وحرصه على ضمان صحة الرواية بالاستشهاد مرة والتمثيل مرة أخرى فإنه قد يسهب في بعض الأحيان في ذكر التفاصيل الدقيقة للبيت الواحد، وهذا طبقا لثقته في المصدر وهو ما نجده في شرحه لبيت المخبل السعدي:

لَمْ تَعْتَذِرْ مِنْهَا مَدَافِعُ ذِي ضَالٍ وَنَا عُقْبٍ وَنَا النُّزُخِمِ⁽²⁾

"قوله لم تعتذر منها أي تدرس من آثارها هذه المواضع وتتغير يقال قد اعتذر هذا المكان إذا درس ما فيه من أثر قال عمرو بن الأحمر :

أَمْ كُنْتَ تَعْرِفُ آيَاتِ فَقْدٍ جَعَلْتَ أَطْلَالَ إِنْكَ بِالْوَدِّكَاءِ تَعْتَذِرُ

(1) أحمد الودرني: شرح الشعر عند العرب، ص42- 43.

(2) ابن الأنباري: شرح ديوان المفضليات، ص215.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الخامس: الرواية

أي تدرس وذو ضال موضع ينبت السدر نسبه إليه والضال من السدر ما لم يشرب الماء وقوله "لم تعتذر منها مدافع ذي ضال لأنهم ينزلون مدافع الماء إلى الأودية وعقب والزخم موضعان غيره وقال أحمد لم تعتذر أي هي بينة لم تدرس ولم تتغير عن حالها ويقال تعتذرت عليه البلاد إذا تغيرت وقد قيل الاعتذار أن لا ترى بها أحدا ويقال هذا المحل معتذر من فلان إذا كان لم ينزل به قط وروى أحمد عقب ولا الرخم وروى المفضل عقب ولا الزخم ويقال هي أماكن وقوله منها أي من امرأة لم تعتذر والاعتذار أن تقوى وتعفو عنه كما تقول تعتذر علي كذا وكذا إذا لم تصبه قال الأعشى: وألهمت خيله عذراتها واحدتها عذرة يعني غيبة الخيل عنه يقال اعتذر منه عذرة يا فتى إذا غاب عنه كقولك ألهانى عنك كذا وكذا إذا لم تشهده وقال الفراء لم تعتذر منها من قولهم ألا تعتذر لي من فلان فعل كذا تلومه وقال عقب أرض من أرض بني عوف معروفة وأنشد بأسفل ذي ضال نعاما منفرا ويقال لم تعتذر لم تدرس آثارها"⁽¹⁾

شرح ابن الأنباري "لم تعتذر منها" واستشهد على ذلك ببيت شعري لعمر بن الأحمري ثم شرح كلمة "ضال" وروى بعدها عن أحمد ثم عن المفضل، واستشهد ببيت شعري للأعشى وانتقل بعدها إلى رواية الفراء. فهو قد أخذ على عاتقه دراسة هذا التراث الوفير من الشعر، لأن شرحه يجمع بين كل الروايات والآراء والأقوال والتفاسير، اتفقت أو اختلفت ليوفر على القارئ -أو السامع- مشقة معرفة رأي كل فرد من جيل الأساتذة حول بيت واحد أو قصيدة بعينها، فهو

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الخامس: الرواية

جامع ناقل صانع، وشرحه مؤلف من الآراء التي وصلت إليه عن أساتذته سواء بالسمع المباشر أو بالرواية المنقولة عن راوٍ ثقة أو بما وجدوه في كتبهم حول الشعر والشعراء. ومن خلال النموذج التالي نلاحظ أن ابن الأنباري يظهر لنا بمظهر القاصر والمقصر فقد وجدنا -عند ابن الأنباري- أبياتا وقصائد عارية تماما من الشرح، وهنا لا يتجاوز الشرح في هذا البيت السطر الواحد لا لشيء إلا لأنه لم يجد بين يديه شروحا لأساتذته عليها، وهو يخشى إن قال كفر وإن شرح قصر فأرض تقله، وأي سماء تظله إذا قال بما لم يسمع أو بما لم ينقل.

فَطَأُ مُعْرِضًا إِنَّ الْحُثُوفَ كَثِيرَةٌ وَأَنْتَ لَا تُبْقِي بِمَالِكَ بَاقِيًا⁽¹⁾

"غيره وإنك لا تبقي بنفسك باقيا يقول إن دفعت عنها وحفظتها لا تبقي"⁽²⁾

يتضح من خلال ما تقدم أن مسألة الرواية في هذه المرحلة من تاريخ الشرح عند العرب موظفة لخدمة الشعر وضبطه وتدقيقه.

3- سمات الرواية عند ابن الأنباري:

روى ابن الأنباري عن سابقه لأنه ورث صنيعهم على اختلاف آراء هذا الصنيع، وتعددت رواياته نتيجة لاختلاف مصادر العلماء السابقين، ومذاهبهم، فكان ذلك مدعاة للتباين والاختلاف في الرواية زيادة ونقصانا وتغايرا في الألفاظ والمعاني .

(1) المصدر السابق، ص523.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الخامس: الرواية

وإذا ما نظرنا إلى سمات منهج ابن الأنباري في رواية الأبيات نجده يعتمد على رواية معينة يجعلها مدار حديثه ولكن هذا لا يمنعه من ذكر الروايات الأخرى الواردة إن وجدت وهو في أثناء ذلك يشرح تلك الروايات ويضعها جنباً إلى جنب من الروايات المختارة.

أ- الزيادة:

ينص ابن الأنباري في كثير من الأحيان على زيادة بيت أو أكثر على النص الشعري المروي من رواياته الشخصية كما نجده في رواياته لأبيات ذي الأصبع:

كَأَنَّ رِحَالَ الْمَيْسِ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ عَلَيْهَا بِأَجْوَاذِ الْفَلَائِةِ سُرُوجٌ⁽¹⁾

"الميس شجر يتخذ منه الرحال وقوله كل موقف أراد أنهم إذا نَحَرُوا حملوا رحل ما نَحَرُوا على ما معهم من الإبل والأجواز الأوساط واحداً جوز تمت في رواية أبي عكرمة وزاد غيره بيتاً :

وَمَا غَاضَ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ سَمَاحَتِي وَوَجْهِي بِهِ أُمُّ الصَّبِيِّ بَلِيحٌ⁽²⁾

شرح ابن الأنباري كلمة "الميس" ثم ذكر ما أراده الشاعر بقوله "كل موقف"، لينتقل بعدها لشرح كلمة "الأجواز" ثم أشار إلى أن هذا آخر بيت في رواية أبي عكرمة ونص على الزيادة التي ذكرها غيره من الرواة فالشارح هنا لم يكتفي برواية أبي عكرمة فقط بل لجأ لغيره من الرواة الراسخين في العلم، المشهود لهم بصدق الرواية وصحة الرأي وسعة الاطلاع وهذا دلالة على اهتمام ابن الأنباري الكبير بالرواية التي كانت الشغل الشاغل في ذلك العصر.

(1) المصدر السابق، ص 341.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الخامس: الرواية

كما أنه نص في كثير من الأحيان على الزيادات الخاطئة، كما ذكر ذلك في شرحه لبيت

أبو قيس بن الأسلت :

أُنْكَرْتَهُ حِينَ نَوَسَمْتَهُ والحربُ غُولُ ذاتُ أَوْجَاعٍ⁽¹⁾

"قال عامر أنكرته شككت فيه :يقال أنكرت الرجل إذا كنت من معرفته في شك ونكرته إذا لم

تعرفه قال الله عز وجل نكرهم وأوجس منهم خيفة وقال أبو عبيدة يقال أنكرته ونكرته بمعنى

واحد وكذلك استنكرته وأنشد بيت الأعشى :

وَأُنْكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكَرْتُ مِنْ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلْعَا

أي إنما أنكرت شيبتي وصلعي لا غير فأما كرمي وطبيعتي فلم أتغير عنهما وقال أبو عبيدة قال

يونس قال أبو عمرو بن العلاء :أنا الذي زدت بيت الأعشى في شعره يعني وأنكرتني فسار في

الناس وذهب فأتوب إلى الله منه وقال ولم أزد في أشعار العرب غيره وقال محمد بن سلام

الجمحي وحدثني جوان قال :قال يونس قال أبو عمرو وأنا الذي قلت هذا البيت وأنكرتني قال

فلقيت يونس فسألته من الذي يقول هذا البيت فقال الأعشى فقلت ما قول

أبي عمرو فيه فقال قال أبو عمرو وما بقي من الشيب والصلع كان ينبغي أن يتأتى لأن يقول

الذي نكرت الشيب والصلع"⁽²⁾.

(1) المصدر السابق، ص565.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الخامس: الرواية

نلاحظ أن ابن الأنباري في بعض الأحيان يذكر روايات ضعيفة وأخرى منحولة ثبتت لها حقيقة ذلك ولكنه بالرغم من ذلك رواها لا لشيء إلا لأن بعض أساتذته رووها.. لذلك كان لزاما عليه أن يذكر ما جاء عنهم، وإن كان قد أدرك زيفها ونص على ذلك.

ب- الاختلاف:

يشير ابن الأنباري أحيانا إلى الاختلاف في رواية ألفاظ الشعر، وقد تكون إشارته مختصرة عابرة كما في قوله:

وَيْلٌ أُمَّ قَوْمٍ رَأَيْنَا أَمْسِ سَادَاتِهِمْ فِي حَادِثَاتِ أَلَمَّتْ خَيْرَ جِيرَانٍ⁽¹⁾

"قال أحمد ويروى ويب لقوم وويب وويس وويح شبيه بويل ولكنها أدق منها"⁽²⁾

أشار ابن الأنباري إلى الاختلاف الوارد بين الروايات إشارة طفيفة.

وقد يكون الاختلاف في رواية شطر فقط من البيت كما في قوله:

وَقَالَتْ إِنَّهُ شَيْخٌ كَبِيرٌ فَلَجَّ بِهَا وَلَمْ تُرَعْ امْتِنَاعٌ⁽³⁾

"ويروى (فجد بها ولم ترع امتناع) أي تجذب وتكف تقول زعته وأزوعه قال ذو الرمة قلت له زع

بالزمام ويروى ولم ترع من الرعة وهو الكف أراد فلج بها امتناع ولم ترع غيره يقال منه ورع

(1) المصدر السابق، ص726.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، ص372.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الخامس: الرواية

الرجل يرع رعة وورعا ومن الجبن رجل ورع وامرأة ورعة إذا كان جبانا وما كان ورعا ولقد ورع يورع ورعا ووروعا وورعة ورواعة⁽¹⁾

نلاحظ أن ابن الأنباري يذكر الروايات الثانوية بين ثنايا الشرح عكس الروايات العليا التي يضعها في بداية الشرح، والروايات الضعيفة في آخر الشرح.

كَأَنَّ أَجِيحَ النَّارِ إِرْزَامٌ شُخْبَهَا إِذَا امْتَاَحَهَا فِي مَحَلِّبِ الْحَيِّ مَائِحُ⁽²⁾

"ويروى:

كَأَنَّ أَزْيَرَ الْكَيْرِ إِرْزَامٌ شُخْبَهَا إِذَا امْتَاَحَهَا فِي عِلْبَةِ الْحَيِّ مَائِحُ

أجيج النار صوت لهيها والإرزام الصوت شبه أجيج النار بصوت شخبها والإرزام مأخوذ من الرزمة وهو حنين الناقة إلى ولدها وامتاحتها احتلبها وأصل المائح الرجل الذي ينزل الركبة إذا قل ماؤها فيجمع الماء بيديه في الدلو فشبه به الحالب⁽³⁾

أشار الشارح هنا إلى أن الاختلاف ورد في رواية البيت بكامله وذكر الرواية الثانية للبيت ثم شرح بعدها كلمتي "أجيج والإرزام" وانتقل إلى ذكر المعنى العام للبيت .

كما قد يكون الاختلاف في حرف فقط في البيت مثل :

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها .

(2) المصدر نفسه، ص333.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الخامس: الرواية

فِدَى بِيْرَاخَةَ أَهْلِي لَهُمْ إِذَا مَلَأُوا بِالْجُمُوعِ الْحَرِيمًا⁽¹⁾

"قال أحمد بن عبيد الحزيم بالزاي معجمة أي الحزم من الأرض وهو الصلب مثل الحزن يقال حزم وحزوم والراء تصحيف وبزاخة موضع"⁽²⁾

من خلال ما سبق نستنتج أن ابن الأنباري اهتم بالرواية اهتماما كبيرا، وبشكل واضح في شرحه واهتمامه ليس برواية أبيات المفضليات فحسب، بل تعداه إلى رواية أبيات بعض الشواهد الشعرية التي ضمها في شرحه. إذ أن رواية الشعر تعد من أهم الجوانب التي يعني بها الشارح، لما لها من أهمية بالغة في توضيح المعنى وتحديده، وفي تحول المعنى وانحراف الدلالة، كل ذلك لم يكن غائبا عن ذهن ابن الأنباري، حيث حرص عليها أشد الحرص، وببذل في تحقيقها، وتوثيقها عناية فائقة. كما أنه لم يكن ملتزماً بأن يأتي بالرواية في موضع معين من شرح البيت، بل أتى به في مواضع مختلفة؛ بداية شرح البيت أو في ضمن الشرح وبعد شرحه الألفاظ أو في خاتمة شرح البيت.

وعليه فهذا منهج ابن الأنباري في رواية الأشعار والأخبار، غير أن منهجه في التحري والاستقصاء شابه بعض القصور فلم تستطع جهوده المبدولة أن تمنع الشوائب إلى ما وصل إلى أيديه من الشعر وهذا راجع ربما إلى أنه كان من المولعين بالغريب ولاشك أن مخبريه من الأعراب قد فطنوا إلى هذا الهوس فجربوا أن يتملقوه من هذه الناحية، ومن ناحية أخرى نرى

(1) المصدر السابق، ص361.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري

المبحث الخامس: الرواية

أقوالا كثيرة متضاربة وشروحا متعارضة ولم يهتم ابن الأنباري بترجيح رأي على رأي أو إثبات

تفسير عن تفسير.

الفصل الثاني

وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري :

المبحث الأول: علوم اللغة:

المبحث الثاني: الجانب الصوتي والصرفي

المبحث الثالث: الجانب الدلالي

المبحث الرابع: الجانب النحوي

المبحث الخامس: الظواهر الموسيقية:

المبحث السادس: الجانب التركيبي

المبحث السابع: ملابسات إنشاء القصيدة

المبحث الأول

علوم اللغة

- التحليلات الاشتقاقية:

2- دلالة المذكر والمؤنث:

3- سبب التسمية

4- الترادف

5- الاقتراض اللغوي:

6- الاهتمام باللهاجات

7- التفسير بالضد

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: علوم اللغة

علوم اللغة :

هناك أشياء يمكن من خلالها شرح الشعر وبيان معناه والبيت الشعري "واضح الدلالة بين المعنى دائماً تنتصب بينه وبين القارئ بعض الحجب فإذا زالت انكشف مقصد الشاعر للعين"⁽¹⁾ وأول هذه الحجب وأهمها اللغة إذا اتضحت وزال الغموض عنها اتضح المعنى لاسيما وأن "الكلمة قد تتلألاً كما يتلألاً النجم المنعكس على صفحة الماء وأن اللفظ قد يكون مستديراً ناعم الملمس كأنه تفاحة"⁽²⁾ وبما أن مفتاح المعنى كما يقول سبيتزر (Spitzer) هو علم اللغة " فقد لجأ الشارح العربي إليها يستعين بها لتحقيق هدف الوصول إلى قصد الشاعر، أو تأسيس معاني النصوص التاريخية ومن هنا يبدو الطابع اللغوي واضحاً في الشروح جميعها بفارق الدرجة لا النوع كما أن اللغة في هذا السياق تصبح أداة في تحديد المعنى وفي خدمة النص"⁽³⁾

فهي أداة الشارح وسلاحه الذي يقتحم به العوالم الخفية من المعاني والمشاعر والرؤى ويحقق به ما يطمح إليه من أحلام وآمال.

وابن الأنباري عالماً لغوياً له طول الباع، ما جعله إماماً في عصره وبعد عصره، وهذه المقدرة اللغوية الكبيرة التي اختص بها انعكست آثارها على شرح الشعر عنده، وقد كان تناوله لشرح

(1) حسين الواد: المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ودار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1991، ص125.

(2) مصطفى سوييف: الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1970، ص304.

(3) مجلة الأديب المعاصر: التأويل الأدبي وقراءة النص التراثي، ناصر حملاوي، العدد 1998:49، بغداد، ص7.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: علوم اللغة

معاني الألفاظ الغريبة وتحديد مدلولاتها فرصة للولوج إلى علوم اللغة بعناصرها المختلفة لما بين تحليل معاني الألفاظ وتحديد مدلولاتها من ترابط لغوي .

1- التحليلات الاشتقاقية :

يقتضي الشرح اللغوي لكي يكتمل ويستأنس القارئ فيه ويجد ضالته في معرفة النص وتأويله ثقافة لغوية، لذا نلتقي مع ابن الأنباري لغويا متمكنا، ومقتدرا من الخوض في المسائل اللغوية معتمدا على ثقافته ومستفيدا مما سمعه عن شيوخه، ويبغي من وراء ذلك تقديم مادة مفهومة وواضحة وهو المدرك أن الحاجة ماسة في زمنه أو في المستقبل إلى الاستزادة اللغوية لسبر غور المادة واستيعاب معانيها ومدلولاتها .

والاشتقاق هو "عملية استخراج لفظ من لفظ أو صيغة من أخرى، فهو عبارة عن توليد لبعض الألفاظ من بعض والرجوع بها إلى أصل واحد يحدد مادتها ويوحي بمعناها المشترك الأصيل، مثلما يوحي بمعناها الخاص الجديد"⁽¹⁾ ويذكر حاجي خليفة "أن المعتبر في الاشتقاق هو الاتفاق في الحروف الأصلية ولو تقديراً، فلو أن الصيغتين اتحدتا في الأصول وترتيبها ك(ضرب) من الضرب فالاشتقاق صغير، ولو توافقتا في الحروف دون الترتيب ك جذب من الجذب فهو كبير، ولو توافقتا في أكثر الحروف مع التناسب في الباقي كنعق من النهق فهو أكبر"⁽²⁾ وعلى هذا فالاشتقاق في اللغة هو أخذ لفظ من لفظ.

(1) صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، ط11، دار الملايين، بيروت، 1986، ص174.

(2) حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، ج1، ص102.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: علوم اللغة

1- 1- أنواع الاشتقاق: الاشتقاق عند علماء اللغة ثلاثة أنواع:

أ- الاشتقاق الأصغر:

وهو أكثر أنواع الاشتقاق وروداً في العربية ومثاله اشتقاق الكلمات الآتية من جذر علم: عالم، معلوم، علامة، معلم ... الخ.

وهذا النوع هو المعنى عند الإطلاق؛ ولهذا يسمى الاشتقاق العام أو الاشتقاق الصريح لأنه الذي تتصرف الألفاظ عن طريقه"⁽¹⁾

والمهم في هذا النوع أن يتفق المشتق والمشتق منه في الأحرف الأصلية وترتيبها كما نص على ذلك حاجي خليفة فيما سبق.

ب- الاشتقاق الكبير:

ويسمى القلب وهو التقاء تقليب الحروف لأصل مشترك في معنى واحد أو متقارب جداً مثل : سلم، سمل، لمس، لسم، مسل، ملس، حيث يذكر ابن جني أنها تتلاقى في معنى واحد وهو الإصحاب والملاينة"⁽²⁾

ج- الاشتقاق الأكبر:

وهو ارتباط بعض المجموعات الثلاثية ببعض المعاني ارتباطاً عاماً بسبب توافق الترتيب مع متشابهين نطقاً كما في : (أز - هز) (كشط - قشط) (نعق - نهق) ويذكر أن هذا النوع

⁽¹⁾ رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية ط5، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، 1997، ص291.

⁽²⁾ ابن جني: الخصائص، بتح محمد علي النجار، ط4، الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990، ج2، ص137.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: علوم اللغة

يشترط فيه التوافق في حرفين والتناسب في الباقي وهو الحرف الثالث" ففي(أز - هز) نلاحظ التناسب بين الهمزة والهاء في المخرج فما بينهما مناسبة صوتية وهي أنهما من مخرج واحد وهو أقصى الحلق"⁽¹⁾ ومن الحنجرة عند المحدثين وكذلك الحال مع(كشط - قشط) حيث إن الكاف والقاف يخرجان من أقصى اللسان. أما في(نعق - نهق) فالمناسبة الصوتية بين العين والهاء وكل منهما حرف حلقي الأول من وسط الحلق والثاني من أقصاه. ويرى بعض المحدثين"⁽²⁾ أن هناك نوعاً رابعاً من الاشتقاق يسمونه "الكبار" وهو ما يعرف بالنحت. وإذا أرخ للاشتقاق فإنه يؤرخ له بالخليل بن أحمد زعيم المدارس التي عرضت للاشتقاق ولم يكن عمل العلماء من بعده في الغالب إلا شرح المجمل أقواله وتكملة لما فاتته منها"⁽³⁾ وإذا كان الخليل هو أول من أشار إلى ذلك، فإن أبا الفتح بن جني أول من لقبه بهذا الاسم كما صرح بذلك في كتابه الخصائص، يقول: "هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا ... وإنما هذا التلقيب لنا نحن"⁽⁴⁾

1- 2- الاشتقاق عند ابن الأنباري:

وقد اهتم ابن الأنباري بظاهرة الاشتقاق وأظهر من خلاله مدى ولوعه بالتحليلات اللغوية يتناول فيها اللغة مرتدية أردية عدة ولكل رداءة من أرديتها معنى ومغزى، ومن ذلك اهتمامه بتحليل الألفاظ والإشارة إلى طبيعة اشتقاقها.

(1) رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللغة، ص 176.

(2) رمضان عبد التواب: مدخل إلى علم اللغة، ط3، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، 1997، ص31.

(3) عبد الله أمين: الاشتقاق، ص391.

(4) مهدي المخزومي: الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه، دار الرائد، بيروت، ص91.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: علوم اللغة

يصف العقاب والثعلب قوله حردت حردى أي قصدت قصدي والحرد القصد قال الله عز وجل

"وغدوا على حرد قادرين" وقال الشاعر :

أقبلَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ يَحْرُدُ حَرْدَ الْجَنَّةِ الْمُغَلَّةِ

أي يقصد قصدها والمغلة ذات الغلة يقال حرد يحرد حردا ومن الحرد وهو الغضب حرد يحرد

حردا والمجرية ذات الجراء يعني لبؤة شبه امرأته بها إذا واثبتته والجرءاء التي تحاص شعرها

وإنما جعلها مجرية لأنه أحمى لها وأشد لغضبها والغيل الأجمة جعلها تمنعه لأن جراءها فيه

والغيل الأجمة والشجر الملتف والغيل الماء يجري في أصول الشجر والغيل أيضا اللبن يشربه

الصبي وأمه يأتيها زوجها فيقال إنه يسقم ويضوي ومنه قول أم تأبط شرا وهي تصفه والله ما

أرضعته غيلا أي لم أسقه من لباني...ويقال من الغيل قد أغالت المرأة والولد مغالٌ إذا أرضعته

ذلك اللبن فالمرأة مغيل والولد مغال ومُغِيل ويقال أغليت فهي مغيل والولد مغيل...."⁽¹⁾

شرح ابن الأنباري كلمة "حرد" ثم عرف بجذر الكلمة واستشهد على ذلك بأية قرآنية وبيت

شعري، وشرح بعدها كلمتي "مجرية وجرءاء" لينتقل بعدها ليعرف بجذر "الغيل" والدلالات

المختلفة التي تحملها هذه الكلمة وقد كشف لنا في هذا النص دلالات المفردة والوجوه التي

تنصرف إليها في كل سياق وأثر اختلاف الحركات على دلالاتها.

فنلاحظ أن الشارح هنا قد اعتمد على الأوزان الصرفية المختلفة لهذا الفعل وذلك

لاستكمال صورة المعنى وتوضيحه فذكر الفعلين الماضي والمضارع (حرد يحرد) وهما على وزن

⁽¹⁾ المصدر السابق، ص 27.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: علوم اللغة

فعل يفعل وهذا أحد الأوجه التي تصاغ بها أوزان الثلاثي باعتبار الماضي والمضارع ، ثم ذكر بعدها المصدر الذي يمكن أن يصاغ من الفعل فمن خلال الاشتقاق الصرّف وصل ابن الأنباري إلى ما يريد من معنى .

تَخْدِي بِهِ قُدْمًا طَوْرًا وَتَرْجَعُهُ فَحَدُّهُ مِنْ وِلَافِ الْقَبْضِ مَفْلُولٌ⁽¹⁾

"تخدي به أي تسير به الوخذ يقال وخذ يخذ وخذاء وهو السريع من السير وقوله قدما أي متقدمة وترجعه أي ترده يريد تقبضه والولاف المتابعة والقبض النزو يقال قد قبض قبضا إذا نزا في مشيه...وتخدي من الخديان وهو ضرب من السير يقال خدت تخدي خديا وخديانا وطورا مرة..."⁽²⁾

شرح ابن الأنباري هنا الفعل "تخدي" وشرح بعده مصدره وهو من "الوخذ" وذلك لرصد معناها واستحضار فعل آخر رديف له في المعنى .

وهكذا أفاد ابن الأنباري في شرحه من الصيغ الصرفية الاشتقاقية ، وقد كان أسلوبه في تناولها بطرق متعددة إما من خلال ذكر الأفعال ثم المصادر والجموع ، أو الأفعال فقط أو أفعال مع صيغ أخرى بحسب ما يقتضيه السياق ، الأمر الذي أضفى ميزة وطابعا خاصا لشرحه .

(1) المصدر السابق ، ص 275 .

(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري
المبحث الأول: علوم اللغة

1- 2- 2- الاشتقاق اللغوي:

وقد ورد ذلك عند ابن الأنباري من خلال شروحه الآتية :

مصاليْتُ كالأسيافِ ثُمَّ مَصِيرُهُمْ إِلَى خَفَرَاتٍ كَالقَنَا الْمُتَرَائِدِ⁽¹⁾

"ويروى إلى جردات يعني خيلاً، المصالييت: جمع مصلات وأصله من الإنصالات وهو الإنجراد في العدو والعمل والسير، يقال مر منصلتاً إذا مر مسارعاً، ويقال أيضاً للعقاب إذا ارتفعت انصلت، ويقال سيف صلت إذا جرد من غمده، ورجل صلت الجبين إذا كان منكشف الشعر عنه بارزاً والمترائد المتتني يميل يمينا ويسرة وأنشد الأصمعي:

مِنْ كُلِّ دَاقِنَةٍ يَظَلُّ زَمَامُهَا عَوَمَ الخِشَاشِ عَلَى الصَفَا يَتَرَاءِدُ

أي يتثنى، قوله إلى خفرات أي: إلى نساء حبيبات، والخفر الحياء يقال امرأة خفرة بينة الخفر والخفرة والخفارة ويروى: ثم مصيرهم إلى جردات كالقنا المتآود، يعني: خيلاً"⁽²⁾.

فقد ذكر ابن الأنباري جمع "المصالييت" وأشار إلى أن أصله من "الإنصالات" الذي يعني الانجراد ومثل لذلك بالسيف إذا انجرد من غمده وبالرجل الصلت أي منكشف الشعر وكل من المعنيين اسم ذات وهذا ما اعتمد عليه الشارح في توضيح ودعم المعنى وهو هنا مستخرج منهما على سبيل الاشتقاق اللغوي.

(1) المصدر السابق، ص138.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: علوم اللغة

حَسَنُوا الْأَوْجُهُ بِيضٌ سَادَةٌ وَمَرَّاجِيحٌ إِذَا جَدَّ الْفَرْعُ⁽¹⁾

"كذا رواه أبو عكرمة والرواية العالية: إذا جد الهلع والهلع الجزع والخفة، يقال هلع يهلع هلعاً ويقال ناقة هلواع ومنه: { إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا } ومرارجيح ثبت لا يستخفهم الجزع ليسوا بجبناء وجد اشتد يقال جد في الأمر وأجد إذا بلغ فيه."⁽²⁾

ذكر ابن الأنباري أن شرح كلمة: الهلع "هو الجزع والخفة وفي قول الشارح "ناقة هلواع" أدخل اللفظ في دائرة الاشتقاق اللغوي واستشهد على ذلك بآية قرآنية فكلا المعنيين من أسماء الذات.

وهكذا نجد أن ابن الأنباري قد استخدم ظاهرة الاشتقاق في كثير من مفردات شرحه واتخذها أسلوباً من أساليب الشرح وتحليل المادة اللغوية. فهو يعني بأصل اللغة وبيئتها وخصائصها وكل ذلك عرف في عصره فمن الطبيعي أن تظهر هذه السمة اللغوية في شروحه ظهوراً بارزاً .

2- المذكر والمؤنث:

وإلى جانب هذا نجد أن ابن الأنباري يهتم ببنية الكلمة من حيث التذكير والتأنيث وهذا ما نجده في شرحه لهذا البيت:

(1) المصدر السابق، ص394.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: علوم اللغة

لَنْ تَعْقِلَا جَفْرَةَ عَلِيٍّ وَلَمْ
أُوذِ نَدِيمًا وَلَمْ أَنْلُ طَبْعًا⁽¹⁾

"الجفرة من الأولاد الغنم إذا أكلت البقل وشربت الماء وانتفخ جنبها الأنثى جفرة والذكر جفر والطبع الدنس قال الأصمعي الجفرة لا تعقل وإنما أراد بكرة فقال جفرة ليحقرها أي إنكما لا تحملان عني شيئاً ولو أنه جفرة والمعنى أنكما لا تؤديان عني جفرة وإن جنيت جنابة وإنما هذا مثل وتصغير بهما"⁽²⁾

شرح ابن الأنباري لفظ "الجفرة" وبين بعد ذلك أن هذه الكلمة تستعمل صفة تطلق على

الأنثى "امرأة جفرة" وعلى الرجل "رجل جفر".

كما تستعمل بعض الأسماء للتذكير والتأنيث وقد يكون لهذا أثره في ثراء المعنى، ومما أشار إليه ابن الأنباري في هذا الجانب قول المرقش الأكبر :

فَهَلْ تُبْلِغُنِي دَارَ قَوْمِي جَسْرَةً
خُنُوفٌ عَلَنَدِي جَلَعْدٌ غَيْرُ شَارِفٍ⁽³⁾

"الخنوف التي تهوي بيدها إلى وحشيتها وذلك محمود...والعلندی الوثيقة المجتمعة يقال للذكر والأنثى علندی وقد يقال للأنثى علنداة والجعد شبيهة بها والشارف الهرمة هذا قول أبي عكرمة وقال غيره جسر طويلة على الأرض وشارف مسنة والجعد الغليظة والجمع جلاعد والذكر جُلاعد"⁽⁴⁾

(1) المصدر السابق، ص312.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، ص478.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: علوم اللغة

بين الشارح هنا أن كلمة "علندي" تطلق على الذكر والأنثى فكما نستطيع أن نقول "امرأة علندي" بإمكاننا أيضا أن نقول رجل علندي" أيضا ويتنزل كل ذلك في إطار تدليل المعنى اللغوي وكشفه في حالات متباينة قصد تقدير الفارق في الاستعمال بين معنى الكلمة مصدرا ومعناها صفة للمذكر، وصفة للمؤنث وعلى ذلك النحو يصل الشارح اللغة بالإنسان وتعامله الإنجازي معها.

3- سبب التسمية:

اهتم ابن الأنباري ببيان وجه تسمية لفظة ما باسمها أو وجه إطلاقها على معناه المستعمل فيه، وهو عنصر أساسي في شرحه وقد أعطاه من اهتمامه وجهوده الشيء الكثير كقوله في شرح بيت الأخنس بن شهاب :

وكلبٌ لها خَبْتُ فَرْمَلَةٌ عَالِجٌ إلى الحرَّةِ الرَّجُلَاءِ حَيْثُ تُحَارِبُ⁽¹⁾

"خبت منازل كلب من نحو هيت والحررة الأرض تلبس الحجارة ويقال لها اللابة واللوبة فمن قال لابة فالجمع لآب ومن قال لوبة فالجمع لوب قال الأصمعي وإنما سمي الحجاز حجازا لكثرة الحرار فيه لأن أهل الحررة يحتجزون بها من الخيل والحررة الرجلاء الغليظة يقال رجل رجيل إذا كان غليظا قويا على المشي..."⁽²⁾

شرح ابن الأنباري كلمة "الخبث" ثم روى عن الأصمعي سبب تسمية "الحجاز" بالحجاز

وذلك لتوضيح المعنى وتقريبه من الأفهام

(1) المصدر السابق، ص 416.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: علوم اللغة

كما أنه أشار إلى وجه تسمية الألقاب التي ذكرها في شرحه كما في النموذج التالي:

ظَهَرْنَ بِكَلَّةٍ وَسَدَلْنَ أُخْرَى وَثَقَّبْنَ الْوَصَاوِصَ لِلْعُيُونِ⁽¹⁾

"ويروى وسدلن رقما أي أظهرن كلة على هوادجهن ،وسدلن رقما أي أرسلنه والرقم من ثياب اليمن تلبسه الهوادج وتلبس العقل أيضا والعقل من ثياب اليمن وهما أحمران ...قال الأصمعي بهذا البيت سمي المثقب مثقبا " فابن الأنباري هنا أشار إلى أن هذا البيت هو سبب تسمية المثقب العبدى بالمثقب .

كما نجده أيضا يقول في تعريفه بعبد الله بن سلمة الغامدي "سمي غامدا لأن رجلا من بني الحارث بن يشكر قال من أغمد سيفه فهو آمن فأغمد سيفه فسمي غامدا ..."⁽²⁾

فابن الأنباري قد حرص من خلال ما سبق على تبين وجه إطلاق لفظة ما على معناها المستعمل فيه، وهو عنصر أساسي في شرحه للألفاظ الصعبة وقد أعطاه من اهتمامه وجهوده الشيء الكثير ،وهكذا نجد أنه قد استخدم ظاهرة الاشتقاق في كثير من مفردات شرحه، واتخذها أسلوبا من أساليب الشرح وتحليل المادة اللغوية.

وتحليلات ابن الأنباري الاشتقاقية تدل على خبرته العميقة، واطلاعه الواسع حتى صارت المادة اللغوية بين أنامله وعقله ،مرنة طبيعة يستخرج منها كل كنوزها .

(1) المصدر السابق، ص578.

(2) المصدر نفسه، ص190.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: علوم اللغة

4- الترادف :

إن البحث في هذا المجال يقتضي أن نمهد له بتوضيح مفهوم الترادف، بين مفردات اللغة العربية وموقف العلماء من ذلك حيث أنكرو وقوعه بعض العلماء وأقر به بعضهم، ووقف بعض ثالث موقفاً وسطاً بينهما.

فقد عرف العلماء الترادف بأنه "دلالة أكثر من لفظ على معنى واحد أو هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد"⁽¹⁾ وقد اختلف العلماء اختلافاً كبيراً في هذه الظاهرة، فبعضهم يبالغ فيها، وبعضهم ينكرها، وبعض آخر يتوسط في الأمر فيخرج من الظاهرة ما ليس منها، ويعترف بوجودها من خلال أمثلة محددة لا يمكن تجاهلها.

أولاً: المنكرون للظاهرة:

يرى هذا الفريق أن وجود الترادف يخالف حكمة الواضع الأول للغة، لأنه وضع كل لفظ بإزاء معناه لا يحيد عنه ولا يفيد غيره، وكذلك المعنى، فكلا منهما ملازم لصاحبه، وكان هؤلاء يتلمسون فروقاً دقيقة بين معاني الكلمات لا تخلو في بعض الأحيان من التكلف والتعسف. وقد كان على رأس المنكرين للترادف "أبو العباس أحمد بن يحيى الشهير بـ"ثعلب"، وأبو علي الفارسي، وأبو هلال العسكري، وكثير من البيانيين الذين يبحثون عن الفروق بين

(1) السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص402.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: علوم اللغة

المعاني الخاصة بكل لفظ حيناً ومفرقين بين الأسماء والصفات أحياناً أخرى .وقد يرجعون المترادفات إلى لهجات متعددة⁽¹⁾

وقد كان رواة اللغة وجامعيها في القرن الثاني الهجري يسلمون بقضية الترادف ولا يرونها محل نزاع أو جدل، ولم يظهر الإنكار إلا في أواخر القرن الثالث الهجري حين بدؤوا يلتمسون فروقاً بين كلمات عدها سلفهم من المترادفات.

ثانياً: المبالغ ونفي الترادف:

ذهب فريق من العلماء إلى أن الترادف ظاهرة عامة، وأن الألفاظ المتعددة للمعنى الواحد تجدها بكثرة في مفردات اللغة العربية، وبالفوا في ذلك مبالغة كبيرة .فخلطوا بين الأسماء والصفات، ومن هؤلاء ابن خالويه الذي يذكر للسيف خمسين اسماً وعشرات من أسماء الأسد، روي عن أبي علي الفارسي قوله "كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة، ومنهم ابن خالويه، الذي قال :أحفظ للسيف خمسين اسماً، فتبسم أبو علي وقال :ما أحفظ له إلا اسماً واحداً وهو السيف .قال ابن خالويه :فأين المهند والصارم وكذا وكذا؟ فقال أبو علي :هذه صفات"⁽²⁾ كما ألف الفيروزبادي كتيباً في أسماء العسل، ويروى أن التاج السبكي قال : "لا معنى لإنكار الترادف .وكان الأصفهاني يرى الترادف في اللهجة الواحدة، وغيره يراه في لهجتين مختلفتين"⁽³⁾

(1) أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص36.

(2) صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة 295.

(3) أنظر إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، ط8، مكتبة الأنجلو المصرية، 1990، ج1، ص175.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: علوم اللغة

ثالثاً: المتوسطون:

توسط فريق في هذه الظاهرة، فأقر بوجود الظاهرة دون مبالغة في أمثلتها، ومن هؤلاء الخليل بن أحمد، وسيبويه الذي أشار في كتابه "الكتاب" إلى ظاهرة الترادف كما أشار إليها ابن جني تحت اسم (تعادي الأمثلة وتلاقي المعاني) ويبدو أن هذا هو الرأي الراجح، لاستحالة القول بعدم وجود الظاهرة لأنه إنكار للواقع، ويكذبه وجود أمثلة لا يمكن التفريق في المعنى بينها إلا بتعسف شديد. "ومن ذلك يبدو أن مثبتي الترادف كانوا فريقين أيضاً، فريق وسع في مفهومه، ولم يقيد حدوثه بأي قيد، وفريق آخر كان يقيد حدوثه ويضع له شروطاً تحد من كثرة وقوعه ومن هؤلاء الفخر الرازي"⁽¹⁾ فهو يرى وجوب تقيد الترادف بعدم التباين في المعنى وعدم الإلتباع، فليس من الترادف عنده: (السيف والصارم) لأن في الثانية زيادة في المعنى.

رابعاً: موقف المحدثين من الظاهرة:

يقف المحدثون من الظاهرة موقف المفصل لأجزائها، المحلل لقضاياها، فيفرضون بين أنواع من المعنى، فالترادف الكامل، "وهو استعمال كلا اللفظين في نفس الموقع والسياق دون خلل يختلف مع شبه الترادف وهو تقارب اللفظين تقارباً شديداً في المعنى يصعب التفريق بينها عند غير عالم اللغة، ويستعمل الناس كلا اللفظين بمعنى واحد، وذلك مثل "عام وسنة وحول، مع وجود فروق دقيقة بينها، والتقارب الدلالي، هو التقارب الذي ينشأ بين المعاني والذي يفرق بين كل منهما بملمح واحد على الأقل، وذلك مثل كلمة حلم ورؤيا"⁽²⁾

⁽¹⁾ المرجع السابق، ص 117.

⁽²⁾ أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص 220.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: علوم اللغة

وقد أخرج هؤلاء من الظاهرة الألفاظ المتقاربة أو المتشابهة في المعنى، كما أخرجوا منها على سبيل المثال التقارب الصوتي، وما جاء على سبيل التصحيف. ومن ثم فلا يوجد للظاهرة إلا أمثلة معدودة محدودة.

للترادف في اللغة العربية أسباب من أهمها :

- تعدد الأسماء نتيجة لتعدد اللغات حيث كل لغة تطلق اسما على الشيء الواحد .
- تعدد الصفات وذلك بأن يكون للشيء الواحد في الأصل اسم واحد، ثم يوصف بصفات مختلفة باختلاف خصائص ذلك الشيء، وإذا بتلك الصفات تستخدم في يوم ما استخدام الشيء، وينسى ما فيها من الوصف، أو يتناساها لمحدث باللغة. وفي ضوء هذا السبب يمكن النظر إلى السيف وأسمائه المختلفة في العربية، تلك الأسماء التي كانت في الأصل صفات له كالصارم، والباتر، والقاضب، والصقيل وغير ذلك⁽¹⁾

5- الاقتراض اللغوي :

ومن صور ذلك الاستعارة من اللغات الأجنبية التي كانت تجاور اللغة العربية في الجاهلية وفي صدر الإسلام ويلاحظ أن الاقتراض اللغوي وتعدد اللهجات يحمل في طياته اختلافا بين اللغات فيمكن أن يشملهما محور واحد فالترادف "من الظواهر التي امتازت بها اللغة العربية

(1) رمضان عبد التواب: فصول في علم العربية، مكتبة الخانجي، ط5، القاهرة، 1997، ص319.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: علوم اللغة

فقد حظيت بوفرة من المترادفات لم تنتهياً لغيرها من اللغات الأخرى وهو "إطلاق طائفة من الألفاظ على مدلول واحد"⁽¹⁾

ويبدو أن ابن الأنباري من الناهبين إلى وجود هذه الظاهرة في اللغة، وقد التفت إلى المترادفات في أثناء شرحه لأبيات المفضليات، حيث نجده يسوق بعض الألفاظ متتابعة ثم ينص على أنها واحد، ويذكر لها معنى وحدا ومن ذلك ما ورد في أثناء شرحه لبيت تأبط شرا الذي يقول فيه :

إِنِّي إِذَا خُلْتُ ضَنْتُ بِنَائِلِهَا وَأَمْسَكَتُ بِضَعِيفِ الْوَصْلِ أَحْذَاقِ⁽²⁾

"الأحذاق المتقطع يقال حبل أحذاق وأرمام وأرماث وأخلاق كله واحد وواحد الأحذاق حذقة وواحدة الأرمام رمة ومنه قولهم حذق حبله إذا قطعه ومنه حذاق الصبي وهو قطعه ما كان فيه وخروجه إلى غيره والخلة الصداقة يقال خللته مخالاة وخلالا وبينني وبين فلان خلة وخلة وخلالة وهو خلة أي صديقي وهي خلتي وهم خلتي وهما خلتي وهن خلتي...."⁽³⁾

شرح ابن الأنباري كلمة "الأحذاق" معطيا بذلك عدة مترادفات للكلمة ثم أورد بعد ذلك مفرد كل واحدة منهم وذلك لتوضيح المعنى أكثر وتقريبه إلى المتلقي .

كَالْحَقْفِ حَدَّاهُ النَّامُونَ قُلْتُ لَهُ ذُو ثَلْتَيْنِ وَذُو بَهْمٍ وَأَرْبَاقِ⁽⁴⁾

(1) حاكم مالك لعبيبي: الترادف في اللغة، دط، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1998.

(2) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات، ص5.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المصدر نفسه، ص15.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: علوم اللغة

"لم يرو هذا البيت أبو بكرمة قال أحمد بن عبيد يعني حقف رمل وهو المجتمع منه قال وأما أبو عبيدة فقال الحقف وجمعه أحقاف وهي الرمال وكانت الأحقاف رمال قبل عمان إلى حضر موت قال وكانت منازل عاد...قال العجاج :

كَأَنَّ تَحْتِي نَاشِطًا مُجَافًا مُنْزَعًا بِوَشْيِهِ مُوقِفًا بَاتَ إِلَى أَرْطَاةٍ حَقْفٍ أَحْقَفًا

الناشط الثور الذي يخرج من بلد إلى بلد والمجاف المذعور الفزع يقال جنف فهو مجؤوف إذا فزع يقال مذعور ومجؤوف ومزؤود ومذؤوب كل هذا للفزع المذعور ، والمذرع الذي بذراعه توقيف...."⁽¹⁾

ذكر ابن الأنباري عدة مترادفات لكلمة "المجاف" وهذا هو معنى الترادف إذ تمثل هذه الكلمات كلمة واحدة وهي "المجاف" .

إن هذا الحشد من الأسماء والصفات جمعها ابن الأنباري للدلالة على مسميات "المجاف" بعضها عربي وبعضها منقول من لغات أخرى غير العربية وهي مسميات استعملها العلماء من البصريين والكوفيين وكلها تعني مدلولاً واحداً .

ولما كانت العرب تتفارق في نظرتها إلى الشيء الواحد، فقد يلحظ العربي في المسمى شيئاً فيسميه به، بينما يلحظ عربي آخر ملحظاً مغايراً في المسمى نفسه فيسميه به، هو الآخر وهذا ما يؤدي إلى إطلاق عدد من الألفاظ على المسمى الواحد ، وحين تصادف هذه الألفاظ شيوعاً بين الناطقين باللغة يحصل ما يسمى بالترادف "بيد أنه سرعان ما تتفارق معظم هذه الألفاظ

⁽¹⁾ المصدر السابق، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: علوم اللغة

المترادفة حيث يكتسب كل منها بمرور الوقت وتنوع الاستعمال، دلالات هامشية مختلفة تؤدي إلى أن يصبح كل منها مختص بسياق معين لا يصلح لغيره⁽¹⁾.

6- الاهتمام باللهاجات :

اللغة العربية ذات لهجات متعددة، تشكلت من لهجات القبائل العربية المختلفة، ومن المعلوم أن هذه اللهجات تختلف في بعض الصفات والخصائص اللغوية، ولعل المسائل الصوتية وطرائق نطق الكلمات هي الجانب الأبين الذي تظهر فيه "ولاسيما في مسألة التسمية. إذ يلاحظ أن لغة من اللغات قد تسمى شيئاً باسم معين، على حين تسميه لغة أخرى باسم آخر، وقد تسميه لغة ثالثة باسم ثالث. وعلى هذا النحو تتعدد الأسماء للمسمى الواحد وذلك بحسب اختلاف لغات لهجات القبائل. وعندما نشأت اللغة المشتركة من هذه اللغات المختلفة ظهر أثر ذلك فيها. إذ ترتب على تداخل هذه اللغات والخلط بينها، إن وجد للمسمى الواحد عدة أسماء في اللغة المشتركة وهذه نتيجة طبيعية لتداخل هذه اللغات وامتزاجها في لغة واحدة"⁽²⁾ ومن هذا كله يتضح لنا أن لغات القبائل كانت تختلف أحيانا في تسمية الشيء، وفي النهاية تستفيد اللغة المشتركة من هذا الاختلاف في تعدد التسمية.

فاللهجات تمثل جانبا مهما من جوانب الدرس اللغوي قديما وحديثا، وقد أولاها علماء اللغة القدماء اهتماما كبيرا في مصنفاتهم ومنهم ابن الأنباري الذي اهتم بها كثيرا في شرحه.

(1) ستيفن أولمان : دور الكلمة في اللغة، تركمال بشر، دط، مكتبة الشباب، القاهرة، 1975، ص97.

(2) حاكم مالك الزيادي: الترادف في اللغة، ص154- 155.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري
المبحث الأول: علوم اللغة

6- 1- الاهتمام بأصل اللغات:

ومن أمثلة ذلك قوله في شرح بيت الحارث بن حلزة اليشكري :

لَمَنِ الدِّيَارُ عَفُونَ بِالْحُبْسِ آيَاتُهَا كَمَهَارِقِ الفُرْسِ⁽¹⁾

"قال الأصمعي الحبس موضع عفون درسن والعفاء الدروس والمحو ومنه قولهم عفا الله عنك أي محا الله ذنوبك والحبس موضع وآياتها أعلامها الواحدة آية وتجمع آيات والمهارق جمع مهرق وهي الصحف وقال الأصمعي هو فارسي معرب وكان أصله خرق حرير تصقل وتكتب فيها الأعاجم تسمى مهر كرد فأعربته العرب وجعلته اسما واحدا فقالوا مهرق قال والأبلة أيضا من هذا كانت بها امرأة خمارة نبطية وكان يقال لها هوب في زمن النبط فماتت فجاء قوم من النبط يطلبونها فقالوا هوب ليكا أي ليست هوب ههنا فجاءت الفرس فغلطت فقالت هوبلت فأعربتها العرب فقالت الأبلة ..."⁽²⁾

روى ابن الأنباري عن الأصمعي شرح "الحبس، عفون، وآياتها" ثم شرح بعدها كلمة "مهرق" وأشار إلى أنها كلمة فارسية أصلها "مهر كرد" وذكر أمثلة أيضا عن بعض الكلمات المعربة من الفارسية، وهذا دليل على ثقافة الشارح وسعة اطلاعه .

(1) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات ،ص263.

(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: علوم اللغة

6- 2- الإشارة إلى اللغات المختلفة للكلمة: كما في شرحه لبنت سويد بن أبي كاهل :

صَافِي اللَّوْنِ وَطَرْفًا سَاجِيًا أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ مَا فِيهِ قَمَعٌ⁽¹⁾

"الساجي الساكن والقمع كمد في لحم المؤق وورم فيه يقال قمعت عينه تقمع قال الأعشى :

وَقَلَّبْتُ مُقَلَّةً لَيْسَتْ بِكَاذِبَةٍ إِنْسَانٌ عَيْنٌ وَمَأْقَا لَمْ يَكُنْ قَمَعًا

قال أبو جعفر ومؤقا والساجي الساكن الذي ليس حديدا كثير التحرك وقال القمع حمرة تكون في العين وفساد في المؤق قال أبو عمرو هو بثر يخرج في أشفار العين تسميه تميم الجدجد وتسميه ربيعة القمع قمعت العين تقمع قمعا وعين قمعة وسجا الطرف يسجو سجوا إذا سكن وهو طرف ساج ومنه قول الله عز وجل "والليل إذا سجا"⁽²⁾

لقد عد ابن الأنباري لفظي "الجدجد والقمع" نفس الكلمة وقد وضع يده هنا على السبب في وقوع هذا وهو اختلاف لهجات العرب الذي أدى إلى تعدد الألفاظ على الرغم من وحدة المفهوم فما تسميه تميم الجدجد تسميه ربيعة القمع .

7- التفسير بالضد :

يكون التفسير بالضد على حد تعبير ابن الأنباري على ضربين "أحدهما أن يقع اللفظان المختلفان على المعنيين المختلفين كقولك :الرجل والمرأة والجمل والناقة واليوم واللييلة وقام

(1) المصدر السابق، ص383 .

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: علوم اللغة

وقعد.....والضرب الآخر أن يقع اللفظان المختلفان على المعنى الواحد كقولك البر والحنطة والغير والحمار...⁽¹⁾.

وإذا نظرنا إلى منهج ابن الأنباري في إفادته من هذه الظاهرة في شرح معاني المفردات ، نجد أن له أسلوباً معيناً في ذلك ، ولكن قبل أن نوضح ذلك ينبغي أن نبين ظاهرة الضد في العربية من خلال الآتي:

7- 1- التضاد:

ويقصد بالتضاد تلك الظاهرة التي تعني وجود ضد لبعض الألفاظ العربية مثل:

الليل ضده النهار.

عام ضده خاص.

غني ضده فقير.

وهذا هو أصل التضاد في اللغة العربية، إلا أن للكلمة استخداماً اصطلاحياً آخر وهو الأضداد.

ومثال هذا الضرب قوله في شرح بيت بشر بن أبي حازم :

جَدَدْتُ بِحُبِّهَا وَهَزَلْتُ حَتَّى كَثُرْتُ وَقِيلَ إِنَّكَ مُسْتَهَامٌ⁽²⁾

⁽¹⁾ ابن الأنباري : كتاب الأضداد ، تح محمد أبو الفضل، إبراهيم، سلسلة التراث العربي، الكويت، 1986، ص6.

⁽²⁾ ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات ، ص648.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: علوم اللغة

"قال الطوسي يقال جد الرجل في الأمر يجد وأجد يجد فهو جاد ومجد والرجلان مختلفان جدا هذه مكسورة لا غير وجد النخل يجده جدا إذا صرمه والجد في الانكماش مكسور والجد الحظ والبخت والجدان أبو الأب وأبو الأم والجد عظمة الله تعالى وقد جدت يا رجل تجد إذا صرت ذا جد قال ولقد يجد المرء وهو مقصر وهزلت أي لعبت والهزل ضد الجد..."⁽¹⁾

ذكر ابن الأنباري أن شرح كلمة "الهزل" هي "اللعب" ثم أشار بعد ذلك إلى ضديته ألا وهي "الجد"، وهذا زيادة في التوضيح وتقريب المعنى إلى المتلقي الذي كان همه، وهذا الأمر يبين دقته وطول باعه في العربية شأن الكثير من الظواهر التي وقفنا عندها .

قَوْمٌ إِذَا صَرَّحَتْ كَحَلِّ بِيوتِهِمْ عَزُّ الدَّلِيلِ وَمَأْوَى كُلِّ قُرْضُوبٍ⁽²⁾

"أبو عكرمة: صرحت خلصت فليس فيها شيء من الخصب، ومنه التصريح وهو كشف الأمر، والكحلاء والكحل السنة الشديدة، قال الشاعر:

إِذَا الكَحْلَاءُ عَامَتْ فِي قَرِيشٍ جَلَا الكَحْلَاءُ عَنْهَا الأَسْوَدَانِ

والقرضوب: الذي لا يصيب شيئاً إلا قرضبه أي أكله كله، قال الرستمي: كحل اسم للسنة الشديدة المجذبة، وسميت كحلاً بذلك لخضرة السماء لا ترى فيها غيماً، وصرحت أتت بلا غيم ولا مطر، والتصريح: نقاء السماء من الغيم، والتصريح من اللبن الذي لا رغوته فيه، وقوله بيوتهم عز الدليل أي إذا أجذبت السنة وأمحل الناس فهؤلاء مخصبون أعزاء وبيوتهم مأوى

(1) المصدر السابق، ص 649.

(2) المصدر نفسه، ص 241.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: علوم اللغة

الفقراء وعز الأذلاء، والدليل ضد العزيز ويقال دليل بين النذل والنذلة والمذلة، وبعبير ذلول بين النذل...⁽¹⁾.

فلاحظ هنا أن ابن الأنباري قد فسر لفظ "النذيل" بذكر ضدته التي هي "العزيز".

7- 2- الأضداد:

ويقصد بالأضداد تلك الظاهرة التي عدها بعض علماء اللغة نوعاً من الاشتراك اللفظي بين المفردات وهي تعني دلالة لفظ معين على معنيين متضادين، فهناك كلمات رويت لنا متضادة المعاني، فاصطلح القدماء على تسميتها بالأضداد⁽²⁾ وذلك مثل:

الجون: الأسود والأبيض.

البين: البعد والظهور.

السدفة: الضوء والظلام.

وقد جاء استخدام ابن الأنباري هذه الظاهرة في شرحه، وذلك تبينه الشواهد الآتية:

قال عمرو بن الأهتم :

وَقَمْتُ إِلَى الْبَرْكِ الْهَوَاجِدِ فَاتَّقْتُ مَقَاحِيدُ كَوْمٍ كَالْمَجَادِلِ رُوقٍ⁽³⁾

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، ص203.

(3) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات، ص250.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: علوم اللغة

"البرك إبل الحي كلهم والهواجد النيام والهاجد من الأضداد يكون النائم ويكون المتيقظ بالليل المتهدج بالقراءة وقوله فاتقت أي جعلتها بيني وبينها ويقال اتقاه بحقه إذا جعله بينه وبينه..."⁽¹⁾

أشار ابن الأنباري إلى أن كلمة "الهاجد" من الأضداد فهي تستعمل للنائم والمتيقظ، وعلى الرغم من وجود ظاهرة استخدام اللفظ الواحد في معنيين متضادين في كل اللغات إلا أن الاهتمام الذي لاقته هذه الظاهرة من اللغويين المحدثين كان ضئيلاً وربما لم تشغل من اهتمامهم إلا قدراً يسيراً ولم تستغرق مناقشتهم لها إلا بضعة أسطر"⁽²⁾ على خلاف علماء العرب القدماء الذين اهتموا بهذه الظاهرة وأفردوا لجمع ألفاظ الأضداد مصنفات كثيرة نذكر منها كتاب "الأضداد" لابن الأنباري كما أنكروا وجود هذه الظاهرة بعضاً منهم أيضاً كثعلب... إلخ بينما أثبتها أكثرهم .

أَلَا لَمْ يَرْتَفِي اللَّزْبَاتِ ذُرْعِي سُوَافُ الْمَالِ وَالْعَامُ الْجَدِيبُ⁽³⁾

يرتو: يضعف هنا ويرتو في غير هذا يقوي وهو من الأضداد، والذرع: البسطة، واللزبات: الضيق، الواحدة لزبة، والمال: الإبل والغنم، وسوافه: موته، يقول لم يقصر بي ولم يقطع كرمي موت المال ولا الجذب، غيره: روي والسنة الجدوب، وقال رتا يرتو ضعف واشتد جميعاً، وأنشدنا ابن الأعرابي وأبو نصر: ولم يكن يرتو الفراق ألببي، أي: يضعف، قال: وشاهد يرتو

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، 1988.

(3) ابن الأنباري: شرح ديوان المفضليات، ص189.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: علوم اللغة

يشد ما جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام في الحساء "إنه يرتو فؤاد الحزين، ويسرو عن فؤاد

السقيم"، قال الأصمعي: يشده ويقويه، ويقال إن بيت لبيد منه وهو:

فخمةٌ دُفِّرَاءَ تُرْتِي بِالْعُرَى قُرْدُمَانِيًّا وَتَرْكَأً كَالْبَصَلِ

يعني الدرع أن لها عرى في أوساطها يضم ذيلها إلى تلك العرى وتشد لتشمر عن لابسها،
فذلك الشد...⁽¹⁾.

فلاحظ أن "يرتو" يكون للضعف والقوة وهو هنا للضعف على حد تعبير ابن الأنباري

والمعنى يفهم من سياق الكلام وفي الشعر أو الأدب بعامة تعين معرفة مناسبة النص أو بعض

القرائن اللفظية على تحديد المعنى المراد.

⁽¹⁾ المصدر السابق، الصفحة نفسها.

المبحث الثاني

الجانِب الصوتي والصرفي

- تحديد الأوزان:

2- دلالة الجموع

3- تخفيف اللفظ

4- التغيير الصوتي في بعض الألفاظ

4- 1- الإبدال

4- 2- القلب

4- 3- الإدغام

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري المبحث الثاني : الجانب الصوتي والصرفي

- الجانب الصوتي والصرفي :

من القضايا التي أولاهها العلماء عناية خاصة منذ القدم هي القضايا الصوتية ،ومرد الأمر إلى أن سرعة إتقان الإنسان للكلام أكبر بكثير من سرعة إتقانه للكتابة ،والكلام المنطوق هو الذي يمثل طبيعة اللغة وجوهرها ،أما القضايا الصرفية فهي التي تتصل بالقضايا الصوتية الأنفة الذكر اتصالاً وثيقاً وذلك لأن إجراء كل تغيير صرفي لا بد وأن يصحبه تغيير في البنية الصوتية والعلاقة بين هذين المستويين هي علاقة تشابك ومن مظاهر هذين المستويين في شرح ابن الأنباري ما يلي :

1- تحديد أوزان الأسماء والأفعال مدعماً ذلك بالأدلة والشواهد فلفظة "أهيم" التي وردت في البيت التالي حدد ابن الأنباري وزنها الذي هو "أفعل" :

يُحَلَّىٰ مِثْلَ الْقَنَا ذُبْلًا ثَلَاثًا عَنِ الْوَرْدِ قَدْ كُنَّ هَيْمًا⁽¹⁾

"التحلئة المنع من الماء يقال قد حلاً فلان إبله قال الراجز...وقوله مثل القنا شبه الحمير في صلابتها بالقنا ويقال بل في طولها والذبل الضوامر والورد إتيان الماء والهيم العطاش جمع أهيم وهي من أفعل فعل كما يقال أحمر وحمر وأصفر وصفر وكسرت الهاء لتصح الياء"⁽²⁾.

أشار ابن الأنباري إلى وزن كلمة "أهيم" وهي من أفعل وأعطى أمثلة عن ذلك لتوضيح المعنى كما شرح سبب كسر الهاء في الكلمة السابقة.

(1) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات ،ص356.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري المبحث الثاني : الجانب الصوتي والصرفي

كما بين الشارح معنى الكلمات ووضحها من خلال تصريف الأفعال المذكورة في البيت بذكر ماضيها، ومضارعها، ومصدرها، وهو ما نلاحظه كثيرا في شرحه .

أَرَى كُلَّ قَوْمٍ قَارِبُوا قَيْدَ فَحْلِهِمْ وَنَحْنُ خَلَعْنَا قَيْدَهُ فَهُوَ سَارِبٌ⁽¹⁾

"قال الأصمعي هذا مثل يريد أن الناس في موضع لا يجترؤون على النقلة إلى غيره ونحن أعزاء نقترى الأرض نذهب حيث شئنا لا يقدر أحد على منعنا والسروب الذهاب في الأرض يقال سرب يسرب سروباً غيره قال أبو نصر سرب الفحل يسرب سروباً إذا مضى وسار في الأرض وذهب حيث شاء ويقال انسري الثعلب في الجحر إذا دخل سربه ويقال قلان آمن في سربه أي في نفسه وقلان واسع السرب أي رخي البال ..."⁽²⁾

شرح ابن الأنباري كلمة "السروب" وأشار بعدها إلى فعلها الماضي والمضارع ومصدرها وهذا التفكيك لبنية الكلمة الغاية منه تعليمية يهدف الشارح من ورائه إلى تبسيط معنى وتفكيك الغموض عنها.

وهذه التحليلات الصرفية لا تقتصر على الجانب التطبيقي بل إنه يضمن شروحه العديد من القضايا الصرفية النظرية فمثلا لفظة "معدى" التي وردت في بيت تأبط شرا :

لَيْلَةَ صَاحُوا وَأَغْرُوا بِي سِرَاعَهُمْ بِالْعَيْكَتَيْنِ لَدَى مَعْدَى ابْنِ بَرَّاقٍ⁽³⁾

(1) المصدر السابق، ص421.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، ص7.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني : الجانب الصوتي والصرفي

"روى أبو عمرو الشيباني وأغروا بي كلابهم بالجهلتين... ومعدى موضع ومصدر وإذا كانت العين من يفعل مضمومة نحو يقتل ويحشر فالعين من مفعل مفتوحة من مصدر وموضع نحو مقتل ومحشر إلا إحدى عشر حرفا نواذر تحفظ حفظا من ذلك المشرق والمغرب والمسجد والنبت والمجزر والمفرق والمسكن والمطلع والمنسك والمسقط والمثبر وهو الموضع الذي تضع فيه الناقة ولدها وكذلك المضاعف إن كان على يفعل ويفعل المفعل منه مفتوح كقولك إنه لطيب المشم من شممت تشم وأما المضموم فمثل قولك الممر والمكر من قولك مريم وكر يكر وإن كان من المضاعف وكان على فعل يفعل إن كان اسما كسرت كما كنت فاعلا في غير المضاعف وقد مضى شرحه وإن كان مصدرا فتحت مثل قاع المضل وما في ثوبه مصح وحتى يبلغ الهدى محله فهذه أسماء..."⁽¹⁾

2- دلالة الجموع :

تعددت أنواع الجموع في شرح المفضليات فمنها الجمع الذي لا واحد له من لفظه، ومنها الجمع الذي له واحد من لفظه، ومنها الجموع التي على غير قياس وقد أشار ابن الأنباري إلى بعض من ذلك:

ومثال النوع الأول قول ابن الأنباري في شرحه لهذا البيت:

فَمَا بِهِمْ أَنْ لَا يَكُونُوا طَرُوقَةً هَجَانًا وَلَكِنْ عَصْرَتْهَا فُحُولُهَا⁽²⁾

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه، ص519.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني : الجانب الصوتي والصرفي

"قال أبو عكرمة: يقول: لم يوتوا في لؤمهم من قبل أمهاتهم إنما أتوا من قبل آبائهم وعرض بالطروقة وهي الإناث يقال هذه ناقة طروقة هذا الضحل والطرق ضرب البعير الناقة يقال طرقها. والهجان: الخالص الحسب الكريم ويكون الهجان للواحد والجمع قال الشاعر:

وَإِذَا قِيلَ مَنْ هِجَانٌ قُرَيْشٍ كُنْتَ أَنْتَ الْفَتَى وَأَنْتَ الْهَجَانُ

وعضرتها: لزقتها بالعضر وهو التراب. قال غير أبي عكرمة: يكون الهجان للواحد والاثنيين والجمع والمؤنث على حالٍ واحدة وقد يثنى ويجمع ومنه قيل هجانن النعمان لخير إبله"⁽¹⁾

أشار ابن الأنباري إلى أن لفظ "الهجان" يكون للواحد والجمع معا واستشهد على ذلك ببيت شعري ثم روى عن أبي عكرمة أن اللفظ السابق يكون للواحد والمثنى والجمع، كما قد يجمع ويثنى على "هجانن" فجرى الجمع والتوحيد والمثنى هنا مجرى واحد.

تَظَاهَرَ النَّيُّ فِيهِ فَهُوَ مُحْتَفِلٌ يُعْطِي أَسَاهِيٍّ مِنْ جَرِيٍّ وَتَقْرِيْبٍ⁽²⁾

"الني: الشحم، أي ركب شحمه شحم آخر ويقال ناقة ناوية وقد نوت تنوي نياً، والمحتفل الكثير، والأساهي: الضروب والفتون، غيره: ومنه قيل قد تظاهرت الأخبار، أي تتابعت، كأنه أتى خبر في إثر خبر، ومنه تظاهر القوم على فلان، ومنه قول الله تعالى: { وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ }، والني: الشحم، قال: ويقال نوى البعير ينوي نواية ونواية ونيا، قال الراجز:

قَدْ طَالَ هَذَا رِعْيَةً وَجَرًّا حَتَّى نَوَى الْأَعْجَفُ وَاسْتَمَرَ

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه، ص234.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري المبحث الثاني : الجانب الصوتي والصرفي

ويقال بعير ناو وناقاة ناوية وابل نواء، قال المثقب العبدى:

يُنْبِي تَجَالِيدِي وَأَقْتَادَهَا نَاوِ كِرَاسِ الْفَدَنِ الْمُؤَيَّدِ

قال الأصمعي: لا واحد للأساهي، والجري: العدو الشديد والتقريب دون الجري وفوق الخبب.⁽¹⁾

شرح ابن الأنباري لفظة "الني" ثم شرح لفظة "الأساهي" التي تعني الضروب والفتون وأشار بعدها إلى أن هذا اللفظ لا واحد له، ومثال النوع الثاني:

وَقَلُّ مَا فِي أَسَاقِي الْقَوْمِ فَاَنْجَرْدُوا وَفِي الْأَوَادِي بَقِيَّاتُ صَلَاصِيلُ⁽²⁾

"الأساقى جمع سقاء يقال سقاء وأسقية وأساق، وقوله فانجردوا أي جدوا في سيرهم والصلاصيل البقايا من الماء القليلة الواحدة صلصلة والجمع صلاصيل فزاد في الجمع غير الواحدة صلصلة وهي البقية في الأوادي والقرب قال ابن مقبل :

تَوَسَّدُ الْحَيَّ الْعَيْسِ أَجْنَحَةَ الْقَطَا وَمَا فِي أَدَاوَى خَفُّ صَلَاصِيلُ

أي باتت العيس في فلاة مجهل وحولها أفاحيص القطا نيام لم تتحرك"⁽³⁾

ذكر الشارح هنا أن لفظة "الأساقى" جمع واحدها "سقاء" كما يمكن أن تجمع على

"أسقية وأساق" وأشار بعد ذلك إلى أن "الصلاصيل جمع مفردها "صلصلة" فانطلق

(1) المصدر السابق، ص 234.

(2) المصدر نفسه، ص 273.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري المبحث الثاني : الجانب الصوتي والصرفي

ابن الأنباري هنا في تفسير المعنى من دلالة الجمع وصولاً إلى المفرد حتى تكتمل الصورة عند المتلقي ،ويزول اللبس عن المعنى .

ومثال النوع الثالث:

قَرَوَاءَ مَقْدُوفَةٍ بِالنُّحْضِ يَشْعَفُهَا فَرَطُ الْمِرَاحِ إِذَا كَلَّ الْمَرَّاسِيلُ⁽¹⁾

"القرواء الطويلة الظهر والقرا الظهر وذلك مستحب في الإبل والنحض اللحم يقال نحضت العظم إذا أخذت ما عليه من اللحم وفرط المراح ما تقدم منه ويشعفها ينزع فؤادها ويستخفها والمراسيل السراع السهلات في السير واحد المراسيل مرسال مقذوفة مرمية باللحم من كل جانب منها والنحض اللحم وهو جمع نحضة يقال قد نحضت العظم إذا أخذت ما عليه يريد أن مراحها يكاد يجننها وينزع فؤادها إذا كل المراسيل أي ذهب نشاطها ويقال واحد المراسيل مرسال ويقال إنه جمع على غير قياس وواحد رسلته"⁽²⁾

شرح ابن الأنباري "القرواء، ويشعفها ،وفرط المراح ، والمراسيل " وأشار بعدها إلى واحد المراسيل وانتقل إلى شرح كلمة "النحض" الذي واحدها "نحضة" ليصل بعدها إلى أن جمع "المراسيل" يأتي على غير قياس .

إن الحركة المعاكسة من الجمع في اتجاه المفرد هي عودة إلى المعنى الأول البسيط وقد عمد ابن الأنباري إلى اعتماده رغبة منه في الإيضاح لتصيد المعنى بأيسر السبل .

(1) المصدر السابق ،ص 271 .

(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري
المبحث الثاني : الجانب الصوتي والصرفي

يحبوك بالزغف الفيوضِ على هميانها والدهم كالعرس⁽¹⁾

"الزغف: الدرع السابغة الفائضة وهو قوله الفيوض والزغف أحمد الدروع لئونها، قال الشاعر:

أعان على مِرَاسِ الحربِ زَغْفٌ مُضَاعَفَةٌ لَهَا حَلَقٌ تُؤَامُ

أي: نسجت حلقتين حلقتين، وأنشد في التوأم قول الراجز:

قالت لنا ودمعها تُؤَامُ على الذين ارتحلوا السَّلامَ

ولم يأت جمع على فعال إلا في ستة أحرف، قولهم فرير وفرار ورخل ورخال وظئر وظؤار وربي ورياب وتوأم وتوأم وعرق وعراق والهميان قال الأصمعي: أراد المنطقة وقال غيره: هو شيء تشد به الدرع والدهم: الخيل، والغرس: النخل، غيره: الزغف الدرع اللينة المس والفيوض السابغة الواسعة والغرس: النخل المغروس ويروى: الأدم كالعرس وهي البيض من الظباء والنوق ومن الناس إلى السواد ما هي ويروى: على علاته والدهم إلخ⁽²⁾.

أشار الشارح إلى أن الجمع الذي يأتي على وزن "فعال" لا يكون إلا في ستة أحرف ومثل

لذلك بعدة أمثلة وذلك لتقريب المعنى وتوضيحه للمتلقى .

(1) المصدر السابق ، ص266.

(2) المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري المبحث الثاني : الجانب الصوتي والصرفي

3- تخفيف اللفظ:

ويقصد به ترك الثقل في النطق وله أنواع مختلفة منها تخفيف الحركات في الكلمات وتخفيف الحرف أي حذفه ونلاحظ أن ابن الأنباري قد أشار إليه في مواضع مختلفة كشرحه لبيت أبو قيس بن الأسلت :

وَأَضْرِبُ الْقَوْنَسِيَّ يَوْمَ الْوَعَا بِالسَّيْفِ لَمْ يَقْصُرْ بِهِ بَاعِي⁽¹⁾

"قال الضبي القنوس عظيم تحت ناصية الفرس وهو من الإنسان في ذلك وانشد:

اضْرِبْ عَنْكَ الْهُمُومَ طَارِقَهَا ضَرْبَكَ بِالسَّوْطِ قَوْنَسَ الْفَرَسِ

يريد أنه يضرب الرأس وهو أشد الضرب ونصب الباء من اضرب يريد النون الخفيفة جعل الفتحة بدلا منها ومعناه لا تكثر بها، ولا تلتفت إليها، لأن الذي يفعل ذلك غير مكثر ولا مبال وقوله لم يقصر به باعي أي لو يضق به يقال ضاق باع فلان بكذا وكذا وضاق به ضرعه يقول لم يقطعني عنه خوف ولا جبن"⁽²⁾

أشار ابن الأنباري إلى أن الشاعر نصب "اضرب" وجعل بذلك الفتحة عوضا عن نون التوكيد الخفيفة المحذوفة وهذا من أجل تخفيف اللفظ في النطق.

(1) المصدر السابق، ص572.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري المبحث الثاني : الجانب الصوتي والصرفي

4- التغيير الصوتي في بعض الألفاظ:

واهتمام ابن الأنباري بالمسائل الصرفية جعله لا يغفل الظواهر التي تطرأ على اللغة ويضطر إليها الشاعر اضطراراً مستخدماً الإمكانيات التي تقدمها له لغته ومدى مرونتها في التزاماته الفنية، من ذلك الإبدال والإدغام والقلب:

4- 1- الإبدال :

يعتبر الإبدال من التغييرات الصوتية في اللغة وهو إقامة حرف مكان حرف مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة⁽¹⁾ فالإبدال هو تغيير حرف بحرف حيث يزال المبدل منه ويوضع المبدل مكانه، وهو يشبه الإعلال من حيث أن كلا منهما تغيير في الموضع ، لكن الإعلال خاص بأحرف العلة، والإبدال خاص بالأحرف الصحيحة .

ورأى ابن يعيش أن "حروف البديل من غير إدغام أحد عشرة حرفاً فيها من حروف الزيادة ثمانية وهي : الألف والياء والواو والهمزة والنون والميم والتاء والهاء وثلاثة من غيرها وهي الطاء والذال والجيم"⁽²⁾

ومعروف أن الصوت المبدل قد استخدم وتم تداوله مدة طويلة من الزمن، وكان يؤدي الغاية المرجوة منه ولقي القبول والاستحسان عند جميع من يتكلمون اللغة المشتركة التي ينتمي إليها ، ولم يكن يعتقد أحد أنه بحاجة إلى تغيير بدليل أن في نطقه صعوبة ما يجب أن

(1) عبد الواحد اللغوي: الإبدال بتح عز الدين التنوخي، ط1، 1960، ج1، ص9.

(2) ابن يعيش: شرح الملوكي في التصريف، تح فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب ط1، 1973، ص213.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني : الجانب الصوتي والصرفي

تذلل كما لا بد من القول أن الإبدال لم يحدث في فترة زمنية قصيرة ومحددة، وإنما حدث غير منظورة، وغير محدودة بزمن يعرف له بداية أو نهاية .

وإذا كانت الدراسات الصوتية القديمة والحديثة تعتقد أن سبب التغييرات ميل اللغة نحو السهولة والتيسير، فإن كثير من المجموعات البشرية التي تتكلم لغة مشتركة لا تستعمل نفس التغييرات بشكل موحد، وإنما هناك اختلاف بين بيئة لغوية وأخرى رغم الاشتراك في لغة واحدة والإبدال نوعان:

1- إبدال صامت بصامت:

1- 1- الإبدال بسبب المماثلة بالتفخيم: ويكون ذلك عند تجاوز صوتين أحدهما مضخم، والآخر مرقق، فيحدث ما يسمى (المماثلة بالتفخيم) فينقلب الصوت المرقق إلى مثيله المضخم وهناك أحرف صامته لا خلاف بينها إلا في التفخيم والترقيق وهي :

الضاد والذال :فصوت الضاد مضخم وإذا رقق يصبح ذالا والعكس صحيح الصاد والسين :فالصاد صوت مضخم وإذا رقق يتحول إلى سين والعكس صحيح التاء والطاء: فالتاء صوت مرقق والطاء صوت مضخم ويتفخيم التاء تنقلب إلى طاء، وترقيق صوت الطاء يحوله إلى تاء الزاي والظاء: فالزاي صوت مرقق وإذا فخم أصبح ظاء، وكذلك الظاء إذا رقق يصبح زايا .

1- 2- الإبدال بسبب المخالفة بالتفخيم: ويكون ذلك بين صوتين مرققين نحو تبديل التاء طاء بسبب المخالفة بالتفخيم .

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني : الجانب الصوتي والصرفي

2- إبدال صائت بصامت: ويكون ذلك عند إبدال فاء (افتعل) تاء إذا كانت الفاء واوا أو ياء

وهذا النوع من الإبدال هو المعني في هذه الدراسة في قول ابن الأنباري في شرحه لبيت الأسود بن أبي يعفر:

لَنْ يُرْضِيََا مِنِّي وَفَاءَ رَهِينَةٍ مِنْ دُونَ نَفْسِي طَارِفِي وَتِلَادِي⁽¹⁾

"يريد أن المنية والحتوف لا تقبل منه فدية إنما تطلب نفسي فسر الرهينة ما هي فقال طاريفي وتلادي والطارف ما استفاده الرجل والتالد والتلبد ما ورثه عن آبائه وكان له قديما قال الأصمعي قولهم التلاد هو ما ولد عندهم فأبدلت الواو تاء كان الأصل ولادا فقالوا تلادا كما قال تخمة والأصل وخمة من الوخامة وتصله والأصل من الوصلة وتراث والأصل وراث وكذلك تجاه وهي من واجهته ومن ذلك قول العجاج ❖ فإن يكن أمسى البلى تيقوري ❖ والأصل ويقوري وهو فيعول من الوقار ومن ذلك قوله ❖ متخذا من عضوات تولجا ❖ والأصل وولجا لأنه من ولج يلج :وقال بعض أهل العربية إن توراة أصلها ووراة فوعلة من وريت النار فصيرت الواو الأولى تاء ولم ينشد أبو عكرمة من بيت الراجز غير تيقوري...."⁽²⁾.

يبدو من خلال حديث ابن الأنباري أن هناك إبدال في لفظة "تلاد" بين الواو والتاء وقال بأن الأصل "ولادا" وقدم عدة أمثلة على هذا الإبدال وذلك لتدعيم قوله وتقوية حجته .

يقول أيضا:

(1) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات ،ص447.

(2) المصدر نفسه ،ص447.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري
المبحث الثاني : الجانب الصوتي والصرفي

تَطَايِرُ عَنْ أَعْجَازِ حَوْشٍ كَأَنَّهَا جَهَامٌ أَرَاقَ مَاءَهُ فَهُوَ آئِبٌ⁽¹⁾

"الحوش إبل حوشية لم ترض ويروى هراق ماءه يبدل الهمزة هاء كما قيل :أنرت الثوب وهنرته واتمأل السنام واتمهل وذلك إذا عظم وإياك وهياك وانشد الأصمعي :

يَا خَالَ هَلَّا قَلْتِ إِذْ أَعْطَيْتِنِي هِيَّاكَ هِيَّاكَ وَحَنَوَاءَ الْعُنُقِ

أراد إياك والجهام السحاب الذي هراق ماءه والآئب الراجع وروى أحمد تطير على أعجاز

حوش"⁽²⁾

أشار ابن الأنباري من خلال هذه النصوص إلى ما يحصل بين الحروف من إبدال، فهما حرفان متقاربان في المخرج والواو حرف ثقيل، والتاء أخف منه لذا تستبدل بالتاء في بعض المفردات .

4 - 2- القلب:

ومما جرى على ألسنة العرب في كلامهم قلب بعض أصوات الكلمة عن مواضعها وهو يقوم على فكرة إقامة حرف مكان آخر، شأنه شأن الإبدال إلا أن ثمة اختلافاً بينهما؛ فالحرف المبدل في الإبدال يستغنى عنه بحرف آخر، وفي القلب المكاني يكون الحرفان موجودين داخل البنية وإنما حل كل منهما مكان الآخر مثل صاعقة وصاقعة، ولعمري وورعولي، ونحوها.

وقد تحدث عن القلب حين تصدى لشرح بيت علقمة بن عبدة الذي يقول فيه :

(1) المصدر السابق ، الصفحة نفسها

(2) المصدر نفسه ، ص415.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري
المبحث الثاني : الجانب الصوتي والصرفي

يُكَلِّفُنِي لَيْلَى وَقَدْ شَطَّ وَلِيَّهَا وَعَادَتْ عَوَادٍ بَيْنَنَا وَخُطُوبٍ⁽¹⁾

"قال الضبي قوله يكلفني يعني قلبه وشط بعد والشطوط البعد ويقال أشط في سومه إذا رفع فيه وقد شطت داره أي بعدت وقوله وليها أي عهدا ويقال وليها ما وليك منها من قرب وجوار قال المرقش يذكر دارا:

ذَكَرْتُ بِهَا أَسْمَاءَ لَوْ أَنَّ وَلِيَّهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ حَبَسْتَنِي الْحَوَابِسُ

وقال ساعدة بن جؤبة الهذلي :

هَجَرْتُ غَضُوبٌ وَحُبٌّ مِنْ يَتَجَنَّبُ وَعَدَّتْ عَوَادٍ دُونَ وَلِيكَ تَشْغَبُ

وتشعب أيضا أي شغلت شواغل يقال عداني عنك كذا وكذا أي عاقني وشغلني ومثله "وعداك أن تلاقيها العداة" أي صرفك أن تلاقيها الصرف أراد وعداك فقلب من الرباعي إلى الثلاثي وقد قيل عادت فاعلت كان الأصل عادت فأنقلبت الواو ألفا لتحركها وفتح ما قبلها ثم سقطت الألف لسكونها وسكون التاء ومثله قول كثير:

إِذَا قُلْتَ أَسْلُوْا غَارَتِ الْعَيْنُ بِالْبُكَأِ غِرَاءَ وَحَشَّتْهَا مَدَامِعُ حُضُلُ

(1) المصدر السابق، ص 767.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري المبحث الثاني : الجانب الصوتي والصرفي

كان أصله غاريت من قولك قد غري به والحفل الممتلئة من قولك ضرع حافل إذا كان ممتلئاً...⁽¹⁾

أشار ابن الأنباري إلى أن الشاعر قد قلب الفعل "وعداك" من الرباعي إلى الثلاثي فأصبح "عادوت" ثم قلبت الواو ألفاً ثم سقطت هذه الألف لسكونهما -الألف والتاء- وقد دعم قوله ببيت شعري لكثير .

فقد كان الشارح كثيراً ما يتوكأ على القلب المكاني في شرحه ويشير إلى المقلوبات أو اللغات الواردة للمفردة.

4- 3- الإدغام:

الإدغام هو "تقريب صوت من صوت، ولا يكون إلا في مثلين متقاربين، ولذا سمي بالتشابه أو التماثل"⁽²⁾ وهو عند سبويه "تقريب حرف من حرف بهدف السهولة والخفة وذلك لأن الإنسان يضع لسانه لهما -أي الحرفان المدغمان- موضعاً واحداً لا يزول عنه"⁽³⁾ فهو رأى أن الهدف من الإدغام توفير الجهد والزمن خلال النطق، لأن اللسان لا يرتفع إلا مرة واحدة، في حين أننا إذا أردنا نطق الصوتين المدغمين دون إدغام، سيرتفع مرتين، وبذلك نحتاج إلى جهد عضلي ووقت أطول.

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) برجشتراسر: التطور النحوي، دط، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1982، ص6.

(3) سبويه: الكتاب، ج4، ص437.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني : الجانب الصوتي والصرفي

وقد ساوى ابن جني بين الإدغام والتقريب: "قد ثبت أن الإدغام المألوف المعتاد إنما هو تقريب صوت من صوت"⁽¹⁾ فالإدغام لا يختلف عن التقريب ، وذلك لأن تقريب الصوتين يؤدي إلى تقريب مكاني ينتج عنه توفير في الجهد العضلي ، وتوفير في الزمن وقد أشار إلى ذلك ابن يعيش ، حيث رأى أن الغرض من الإدغام طلب التخفيف "لأنه ثقل عليهم التكرير فيضعون ألسنتهم على مخرج الحرف المكرر وضعة واحدة ، ويرفعونها بالحرفين رفعة واحدة لئلا ينطقوا بالحرف ثم يعودوا إليه"⁽²⁾ ويمكن القول أن الإدغام نوعان:

1- إدغام في كلمة واحدة ، وهو كثير في اللغة العربية

2- إدغام بين حرفين متماثلين متجاورين من كلمتين متجاورتين شرط أن تنتهي الكلمة الأولى بصوت ساكن، وتبدأ الكلمة الثانية بصوت مماثل متحرك فيرتفع اللسان رفعة واحدة، وبذلك يتم توفير الوقت والجهد العضلي ، ومثلما تحدث ابن الأنباري عن القلب تحدث عن الإدغام وقد ذكر ذلك عند حديثه عن قول عمرو بن الأهتم:

تَأَلَّقُ فِي عَيْنِي مِنَ الْمُزْنِ وَاذِقِ لَهُ هَيْدَبُ دَانِي السَّحَابِ دَفُوقُ⁽³⁾

(1) ابن جني : التصريف الملوكي ، دط، دار المعارف للطباعة ، دمشق ، دت، ص 93.

(2) ابن يعيش : شرح المفصل ، المطبعة المنيرية ، مصر ، دط، دت، ص 121.

(3) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات ، ص 248.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري المبحث الثاني : الجانب الصوتي والصرفي

"قال هشام أراد تتألق فاجتمع حرفان من جنس واحد متحركان فأدغم ثم أسقط الساكن منهما وهو الأول وقال غيره الساقط هو الثاني وتألق البرق تكشفه واصل التألق التزين والتبرق..."⁽¹⁾

ذكر ابن الأنباري أن أصل "تألق" هي "تألق" والتقاء حرفان متماثلان سهل الإدغام بينهما فصارت "تألق" بناء واحدة وقد اختلف العلماء في أي التائين هي المحذوف، أهى الأولى أم الثانية؟

وقد أشار الشارح إلى أن سبب الإدغام هو استئصال الجمع بين حرفين متحركين من جنس واحد، فاسكن الأول منهما ثم ادغم في الثاني .

وأحيانا نجد اجتماع الإدغام والإبدال في كلمة واحدة، وهذا ما أشار إليه ابن الأنباري عندما شرح بيت جابر بن حني :

تَنَاوَلَهُ بِالرُّمَحِ ثُمَّ انْتَنَى لَهُ فَحَرَّ صَرِيحًا لِلْيَدِينِ وَوَلَّفَمَ⁽²⁾

"اتنى له أراد انثنى له فأدغم النون في الثاء ثم أبدلها تاء غيره ثم انثنى له تناوله بالرمح أي طعنه..."⁽³⁾

ذكر الشارح أن الأصل في "اتنى" هو "انثنى" نتيجة لإدغام النون في الثاء وإبدالهما بالطاء لأنها قريبة منهما في النطق وأخف منهما على اللسان .

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه، ص 441.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري المبحث الثاني : الجانب الصوتي والصرفي

من خلال ما سبق نستنتج أن ابن الأنباري يدرك جيدا أن تجاور الأصوات في الكلمة يؤدي إلى تأثيرات متبادلة كالإبدال والقلب والإعلال والإدغام، وكل هذا واضح من خلال الأمثلة السابقة.

المبحث الثالث

الجانب الدلالي

1- شرح دلالة الألفاظ:

1-1 الشرح بالترجمة

1-2 الشرح بالنظير

1-3 الإشارة إلى أصل معنى جذر المفردات :

2- الخصوص:

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث : الجانب الدلالي

- الجانب الدلالي :

يعد اللغويين الكلمة المفردة من أهم الوحدات الدلالية التي يتكون منها البيت، فهي دليل المعنى كما أن الأصل في الدلالة أن تستمد من الكلمة المفردة، وهذا ما عني به ابن الأنباري، فكان تفسيره للألفاظ الغريبة من أهم مراحل الشرح اللغوي عنده .

1- شرح دلالات الألفاظ :

1- 1- الشرح بالترجمة :

وأعني بالترجمة هنا "أن تفسر الكلمة بكلمة أخرى من اللغة نفسها، أو بأكثر من كلمة أخرى من اللغة نفسها كذلك"⁽¹⁾ وعلى ذلك فقد قسم بعض المحدثين التفسير بالترجمة إلى نوعين:

النوع الأول : شرح اللفظ بلفظ آخر يرادفه أو يقاربه.

النوع الثاني: تفسير اللفظ بأكثر من لفظ، أي شرح دلالاته شرحاً قصيراً يسيراً"⁽²⁾ ويعد التفسير بالترجمة من أكثر الأنواع في شرح ابن الأنباري، بل في كل الشروح اللغوية عند العرب، وذلك لأنه مباشر وغير معقد في تركيبه. وهذا ما نلاحظه في شرحه لبيت المزرد :

إِلَى صَبِيَّةٍ مِثْلِ الْمَغَالِي وَخَرْمِلٍ رَوَادٍ وَمِنْ شَرِّ النَّسَاءِ الْخَرَامِلِ⁽³⁾

(1) محمد أحمد أبو الفرج: المعاجم اللغوية في ضوء علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، 1966، ص 106.

(2) أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص 52.

(3) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات، ص 181.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث : الجانب الدلالي

"المغالي سهام يغلى بها في الهواء لا نصال لها يريد أن صبيانه في ضعفهم وسوء حالهم ونحوهم مثل هذه السهام ويقال بل أراد أنه لا نفع عندهم ولا عون على أنفسهم كما لا يصاد بهذه السهام ولا ينتفع بها والخرمل الحمقاء غيره الرواد الرادة التي تختلف إلى بيوت جاراتها ولا تعقد في بيتها لشرها وعيارتها قال والنصول القتر الواحدة قتره وهو نصل فوق القطبة ودون السلاء يرمى به في الغلاء، والسهم إذا كان للغلاء فهو المريح والقطبة نصول الأغراض"⁽¹⁾

نلاحظ أن ابن الأنباري لجأ إلى التنويع من خلال شرحه فهناك ألفاظ شرحها بلفظ آخر يرادفها، أو يقاربها كشرحه لـ" الخرمل، النصول " في حين هناك ألفاظ شرحها بأكثر من لفظ أي شرح دلالتها شرحا قصيرا يسيرا كشرحه لـ"المغالي والرواد "

وإذا كان تجريد الكلمات من سياقاتها ثم شرحها بذكر مرادفاتها أو الألفاظ القريبة منها أو شرحها شرحا يسيرا أمرا منقودا، لأنه لا يكشف عن الاستعمال الإيجابي للغة فإن ذلك ليس مما يعيب في هذا النوع من الشرح وذلك لأن الألفاظ المشروحة هنا ليست ألفاظا مفردة بل هي ألفاظ في نصوص .

1- 2- الشرح بالنظير :

قد استفاد ابن الأنباري في شرحه لمفردات المفضليات بظاهرة النظائر في اللغة العربية التي كان لها دور مهم في توضيح المعنى، وتقريب الصورة إلى الأذهان، ولكن نجد أن التفسير

(1) المصدر السابق، ص181.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث : الجانب الدلالي

بالنظير قد كان بصورة أقل مقارنة مع التفسير بالظواهر الأخرى في شرحه، وقبل أن ندخل في تفصيل ذلك، حري بنا أن نقف وقفة تعريفية مع هذا المصطلح فالنظير في اللغة هو المثل، جاء في القاموس "النظير والمناظر: المثل"⁽¹⁾ وفي اصطلاح العلماء لا يخرج عن هذا ويكون ذلك في مجالات كأن يقال النظائر (في النحو ويقصد بها بعض الألوان النحوية التي يجمعها حكم، أو النظائر في اللغة ويقصد بها بعض المسميات المتماثلة في أعضاء بعض الكائنات فيطلق عليها أسماء مختلفة، وكثيراً ما نجد ذلك في كتب الفروق اللغوية، من ذلك مثلاً ماروي عن الأصمعي في الرجل "وهي رجل الإنسان، والجمع الأرجل، ومثله قدمه . والجمع أقدام . والحافر من الفرس فيم وضع القدم من ، والخف من البعير والجمع أخفاف، ويقال : الخف للنعامة أيضاً والظلف من الشاة والبقر والظباء والجمع أظلاف"⁽²⁾ أما المقصود بالتفسير بالنظير في هذه الدراسة فهو تفسير دلالات بعض الألفاظ بذكر نظائرها، وذلك كأن يقال مثلاً الخف من البعير بمنزلة القدم من الإنسان، وقد عني ابن الأنباري بهذا الجانب في شرحه ومن ذلك مثل قوله:

أَعْدَدْتُ سَبْحَةَ بَعْدَمَا قَرِحْتُ وَلَبَسْتُ شِكَّةَ حَازِمٍ جَلْدٍ⁽³⁾

"قال الضبي الشكة السلاح يقال رجل شائك السلاح ويقلب من الثلاثي الرباعي فيقال شاكى السلاح ويقال شاك في السلاح فمن قال شاك أخذه من الشكة وهي السلاح ومن قال شائك أو

(1) الفيروزبادي: القاموس المحيط، دط، مكتبة التربية للطباعة، بيروت، لبنان، ص484.

(2) رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللغة، ص235.

(3) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات، ص593.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري المبحث الثالث : الجانب الدلالي

شاكى فهو من الشوكة قال أحمد أعددت صمعر بعدما لقت وقرحت وسبحة وصمعر اسما

فرسين والقروح في الخيل بمنزلة البزول في الإبل والصلوغ في الشاة⁽¹⁾

فسر ابن الأنباري "قروح الخيل" على أنه بمنزلة "البزول في الإبل" و"الصلوغ في الشاة" وهو بذلك قد فسر الكلمة انطلاقاً من ذكر نظائرها، فهو هنا قد وضع المعنى بأقصر طريق وأيسر أسلوب، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على سعة الثقافة اللغوية للشارح وإطلاعه الواسع على الثروة اللفظية الكبيرة التي تزخر بها لغتنا العربية.

بَطْعَنَ يَجِيشُ لَهُ عَائِدٌ وَضَرَبَ يَفْلِقُ هَامًا جُثُومًا⁽²⁾

"العائد ما عند من الدم أي خرج عن غير قصد والعائد عن الحق من الناس الجائر عنه ويجيش يضور لكثرتة والهام جمع هامة الجثوم يكون في الطير بمنزلة البروك في الإبل والربوض في الغنم ويروى يطير هاما جثوم"⁽³⁾

أشار ابن الأنباري إلى أن "جثوم الطير" نظير "بروك الإبل" و"ربوض الغنم" وهذا الأسلوب قد وفق فيه الشارح حيث فسر الكلمة من خلال مقارنتها بكلمة أخرى تكون أقرب في دلالتها إلى ذهن المتلقي من الكلمة المشروحة، وذاك أسلوب يدل على براعته في العربية ومقدرته الكبيرة على التحليل والربط بين الدلالات والمعاني.

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه، ص362.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث : الجانب الدلالي

ولعل ما قد يعيب هذا النوع من الشرح أنه يعلق فهمنا للفظ على فهمنا للفظ المنظر به وقد يكون هذا المنظر به غير معروف لدى القارئ فيفقد التناظر قيمته.

1- 3- الإشارة إلى أصل معنى جذر المفردات:

وهو ما يسمى في الدراسات اللغوية الحديثة بـ"الدلالة المحورية" وهي "المعنى الذي يتحقق تحققاً علمياً في كل الاستعمالات المصوغة من هذا الجذر"⁽¹⁾

وذلك كقول ابن الأنباري في شرح لفظتي "الداجن والمعاتبه" في بيت بشر بن عمرو :

وتَبَّيتُ دَاجِنَةً تُجَاوِبُ مِثْلَهَا خَوْدًا مُنْعَمَةً وَتَضْرِبُ مُعْتَبًا⁽²⁾

"الداجنة القينة تجاوب مثلها أخرى واصل الداغن المعتاد للشيء الدرب به يقال قد دجن في الشيء ودجن إذا أنس به وأقام فيه حتى يعتاده والخود الحسنة الخلق وقوله وتضرب معتبا أي إذا ضربته جاوب بما تريد وأصل المعاتبه المراجعة ومنه قولهم لك العتبي يعني الرجوع إلى ما تريد ومنه قول العرب إنما يعاتب الأديم ذو البشرة أي إنما يردد في الدباغ الأديم الذي يقوى على ذلك يقول إنما يعاتب من الناس من يرجى رجوعه وصلاحه..."⁽³⁾

نرى أن ابن الأنباري صرح هنا بالدلالة المحورية للجذر دون تقديم معالجة لبعض استعمالاته في ضوء هذه الدلالة، باستثناء الاستعمال المعالج الذي جلب الحديث عن الدلالة المحورية لجذره، فشرح دلالة لفظه "الداجن" ثم استطرد إلى النص على الدلالة المحورية

(1) عبد الكريم محمد محسن جبل: الدلالة المحورية في معجم مقاييس اللغة دراسة تحليلية نقدية، ص 9.

(2) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات، ص 554.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث : الجانب الدلالي

للجذر المصوغ منه للاستعمال، وهو المعتاد كما نلاحظ أنه شرح لفظه "المعاقبة" أيضا واستطرد إلى النص على الدلالة المحورية للجذر وهي المراجعة .

2- الخصوص :

إن الاستعمال اللغوي للألفاظ قد خصص أو قيد كلا منها بملح أو مكون دلالي أو أكثر، فضيق من محيط دلالتها أو حدد ارتباطها بغيرها من الألفاظ، وهذا ما نجده في شرح ابن الأنباري لبیت المخبل السعدي :

فكَأَنَّ مَا أَبْقَى الْبَوَارِحُ وَالْأَمْطَارُ مِنْ عَرَصَاتِهَا الْوَشْمُ⁽¹⁾

"ما بمعنى الذي البوارح الرياح الشداد من الشمال خاصة وهي من رياح الصيف وعرصات الدار ساحتها الواحدة عرصة والوشم الخضرة تكون في اليد وقال الأصمعي العرصة جوبة منفتحة ليس فيها بناء فإذا حصل فيها بناء فليست بعرصة وقال البوارح جمع بارح وهو هائج يهيج في الصيف بريح شديدة غيره البوارح رياح حارة وهي رياح الصيف"⁽²⁾

أشار ابن الأنباري إلى أن الاستعمال اللغوي للفظه "البوارح" قد قيد دلالته على رياح الصيف الشديد وأن تكون هذه الرياح هابة من الشمال خاصة، كما أشار أيضا إلى أن الاستعمال اللغوي للفظه "عرصة" قد قيد دلالته على الجوبة المنفتحة وأن تكون خالية من

(1) المصدر السابق، ص210.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري المبحث الثالث : الجانب الدلالي

البناء فهذا الاستعمال اللغوي قد شرط لإطلاق هذا اللفظ على دلالاته شرطا سلبيا هو خلوها من البناء .

أَوْعَلَاةٌ قَدْ دُرِبَتْ دَرَجَ الْمَشْيَةِ حَرْفٌ مِثْلُ الْمَهَاةِ ذُقُونٌ⁽¹⁾

"أبو عكرمة أصل العلاء سندان الحداد شبه في صلابتها والدربة العادة وقوله درج المشية الدرج حال بعد حال أي علمت المشي طبقة بعد طبقة والحرف الصلبة شبهت بحرف السيف في مضائه ويقال الحرف الضامر وقوله درج الرحلة أي رجلت وذللت والمهاة البقرة شبهت بها لسرعتها والذقون الدلو المائلة دلو ذقنا وذاقنة سريعة قال ولا يقال ذقنا إلا للدلو قال والذقون التي رفعت رأسها في الخطام والزمم وقال الأصمعي في الذقن إذا ثنت رؤوسها فأدنت أذقانها من صدورها وقصرت أعناقها من صدورها وقصرت أعناقها فقد ذقنت"⁽²⁾

ذكر ابن الأنباري أن الاستعمال اللغوي قد قيد لفظة "ذقنا" إذ جعل استعمالها للدلالة على السرعة مقصورا على لفظ واحد هو الدلو، والمقصود بوصف الدلو بالسرعة هنا هو سرعة صبها لمائها وهذا ناتج عن ميل شفيتها .

(1) المصدر السابق ، ص468.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

المبحث الرابع

الجانب النحوي

- 1- الإعراب:
- 2- الإشارة إلى معاني الحروف والظروف في البيت
- 3- الإشارة إلى عودة الضمير
- 4- الإشارة إلى بعض القضايا النحوية وقواعدها

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الرابع : الجانب النحوي

- النحو :

لا شك أن النحو العربي في نشأته ، وخلال عصره الذهبي كان نحواً وصفيّاً لا معيارياً ، سواء أكانت المدرسة التي ينتمي إليها النحاة هي مدرسة البصرة أم مدرسة الكوفة أم غيرها من مدارس النحو المختلفة ، والمقصود بالنحو الوصفي هو" الذي يصف الاستعمال اللغوي ويقعده ؛ أي أن القواعد فيه تصف اللغة المستعملة فعلاً ، بعكس النحو المعياري الذي يضع فيه النحوي القواعد أو المعايير ويطلب من المتعلمين تطبيقها في لغتهم المنطوقة أو المكتوبة"⁽¹⁾ فالنحاة العرب نظروا في كلام العرب واستخلصوا القواعد التي يسير عليها وأدرجوها في مصنفاتهم ،ولا يخامرنا شك في أهمية النحو وما يتعلق به في العربية مما جعل قضاياها موضع اهتمام العلماء منذ أن أرسى قواعده أبو الأسود الدؤلي ويعود جل أهميته إلى ما يكون له ،وللإعراب من الدور العظيم في توجيه المسائل في علوم اللغة ،كما أنه وسيلة أساسية في أي خطاب لأنه يقوم بوظيفة التركيب بين الألفاظ ليمنحها معنى معيناً، فإذا ما تهاون النحو فقد الخطاب جانب المعنى وكان بذلك ركيكاً لا يتذوق من قارئه .

كما كان أوائل الشراح يتكثرون على النحو لشرح بعض التراكيب،غير أن ذلك لا يعدو أن يكون إلا مجرد إشارات مقتضبة ينثرونها هنا وهناك، ولما تطور التفكير النقدي وتأصلت أسسه أدرك النقاد والبلاغيون أهمية النحو في كشف الدلالة الغامضة للشعر، لأن ما ينشأ من علاقات بين الكلم يتوقف عليها صحة المعنى أو فساده إنما يرجع إلى وظائف النحو وأحكامه، ويعتبر عبد القاهر الجرجاني أهم مَنْ أسس هذا التفكير وأصله "فلا تریّن كلاماً قد وصف

⁽¹⁾ تمام حسان: اللغة بين الوصفية والمعيارية، القاهرة، 1958، ط1، ص15.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الرابع : الجانب النحوي

بصحة النظم أو فساده، أو وصف بمزية وفضل فيه، إلا أن تجد مرجع تلك الفصاحة وذلك الفساد و تلك المزية، وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدت هي دخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه"⁽¹⁾.

فالنحو هو مجموعة السياقات التي تتألف منها تلك الأصوات المعبرّة عما في نفس المتكلم، وكانت مراعاتها سليقة لا يُحتاج في اكتسابها إلى تعلّم، ثم ظهرت الحاجة إلى وضع ضوابط لتقيها التغير والضياع، في صورة أحكام عامة في اللغة والنحو كما هو معلوم من تاريخ نشأة علوم اللغة بعامة، وعلم النحو بخاصة.

وقد عني ابن الأنباري في شرحه بهذا الجانب عناية واضحة دقيقة، ومن خلال شرحه يتضح أنه نحوي بارع، وأدبي متذوق له قدم راسخة وثقافة واسعة في اللغة والنحو.

1- الإعراب :

وهو "الإبانة عن المعاني بالألفاظ"⁽²⁾ فهو أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في آخر الاسم

المتمكن والفعل المضارع، تتجلى أهمية إعراب النصوص في ناحيتين:

الأول: الإبانة عن المعاني، فهو بذلك يخدم علم الدلالة مباشرة وعندما نتبع شرح

ابن الأنباري نلاحظ أنه اهتم بالإعراب أساساً واعتمد عليه في بيان المعاني الخافية.

(1) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص70.

(2) ابن جني: الخصائص، بتح محمد علي النجار، ط4، الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990، ج1، ص35.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الرابع : الجانب النحوي

الثاني : هو التطبيق الواسع على قواعد العربية النحوية والصرفية، مما يهيئ لدارسي العربية مزيداً من الشواهد وبخاصة عندما كان هذا التطبيق قائماً على الشعر الجاهلي بوصفه آتقن وأقدم موروث أدبي، لغوي، بلاغي، نحوي عند العرب"⁽¹⁾

وإذا ما نظرنا إلى شرح ابن الأنباري وجدنا أن الإعراب عنده بمثابة العمود الأساس الذي يستند إليه الشرح، ومنه ينطلق إلى بسط قواعد العربية وعرض المعاني المختلفة تبعاً لاختلاف الأوجه الإعرابية التي يحللها وجهاً وجهاً، ولنتحقق من مبلغ اهتمامه بالإعراب من واقع شرحه فنقف على تفاصيل ذلك من خلال عرض طائفة مختارة من موضوعات مختلفة من الكتاب ممثلة في النصوص التالية:

فَلَا وَصَلَ إِلَّا أَنْ تُقَرَّبَ بَيْنُنَا قَلَائِصُ يُجَذِّبُنَ الْمَثَانِي عُوجُ⁽²⁾

"ويروى ينفخن المثنائي القلائص جمع قلووص وهي الشابة من الإبل قال الأصمعي القلووص من الإبل بمنزلة الفتاة من الناس والمثنائي الحبال الواحدة مثناة والعوج نعت للقلائص وهي المعوج من الضمر والهزال"⁽³⁾

فأشار هنا عني بقضية صرفية تمثلت في جمع وإفراد "القلائص والمثنائي" وما ورد فيهما من خلاف، وأشار بعدها إلى أن كلمة "العوج" هي نعت لكلمة "القلائص" وهذا لتوضيح المعنى وتقريبه إلى المتلقي.

(1) محمد المدني علي : الإعراب في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر بن الأنباري دراسة وصفية ،مجلة جامعة الملك سعود ،العدد 7، 1995، ص 39.

(2) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات ،ص 338.

(3) المصدر نفسه، ص 338.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الرابع : الجانب النحوي

جَسَدٌ بِهِ نَضْحُ الدِّمَاءِ كَمَا فَتَاتَ أَنَامِلُ قَاطِفِ الكَرَمِ⁽¹⁾

"ويروى جسدا به منصوب على الحال ويروى صاحب الكرم يعني قاطفه أبو جعفر يعني أنه جرح فأصابه الدم فتلجج به واسود من حموته والجسد الدم كما قال النابغة وما هريق على الأنصاب من جسد غيره روى جسد وجسد وجسدا على الحال وبيت النابغة من رواه من جسد بالفتح فقد أراد به من دم جسد ويروى من جسد يريد الدم اللاصق بالجسد"⁽²⁾

ذكر الشارح هنا بأن "جسدا" هي منصوبة لأنها حال والحال يكون دائما منصوب ثم واصل شرحه لمعنى البيت .

ومن القضايا النحوية التي تتجلى في إعراب النصوص، قضية تقدير المعنى في الإعراب، والهدف من الاهتمام بها هو هدف دلالي يخدم المعنى لإزالة ما يمكن أن يعتريه من غموض، وذلك لأن التقدير يرد الجملة إلى أصلها عن طريق بيان المحذوف سواء أكان كلمة أو جملة فأركان الجملة في العربية لا تلتزم ترتيبا واحدا جامدا، بل الكلام يقع فيه الزيادة والحذف لأغراض بلاغية وكل ذلك قد يسبب خفاء في الفهم على من لا يكون بصيرا بالمعاني الدقيقة والمقاصد الخفية ولذلك عمد ابن الأنباري إلى بيان تقدير الكلام في مثل تلك المواضع كشرحه لهذا البيت:

قَوْمٌ إِذَا دَمَسَ الظَّلَامُ عَلَيْهِمْ حَدَجُوا قَنَافِنَ بالنَّمِيمَةِ تَمْرَعُ⁽³⁾

(1) المصدر السابق، ص 557.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، ص 298.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري المبحث الرابع : الجانب النحوي

ويروى:

فَهُمْ إِذَا دَمَسَ الظَّلَامُ عَلَيْهِمْ حَدَجَ القَنَاْفَذَ بالنميمةِ تَمَزَعُ

نصب حدج على المصدر يقول يحدجون حدج القنافذ، تمزع تسرع وأنشد:

والخيلُ تَمَزَعُ قَبًا فِي أعِنَّتِهَا كالطيرِ تَنجُو من الشَّوْبُوبِ ذِي البَرَدِ

دمس ألبس واشتدت ظلمته، وحدجوا رحلوا مأخوذ من الحدج وهو مركب من مراكب النساء. وإنما شبههم بالقنافذ لأنها لا تنام بالليل تسري، يقال في مثل: أسرى من أنقد وهو القنفذ. فيريد أنهم لا ينامون الليل يسهرون في الاحتيال، والمزغ: المر السريع يقال مزغ الفرس مزغاً إذا أسرع، وكذلك القرع، هذا مثل، وإنما أراد أنهم يسهرون بالنميمة والاحتيال في الشر كما يسهر القنفذ، لأنه ليله أجمع يسير ولا ينام.⁽¹⁾

أشار ابن الأنباري إلى أن حدج منصوب على المصدر فهو هنا قد كشف عن تقدير الكلام الذي هو "يحدجون حدج" وهذا دليل على مقدرة الشارح على تحليل المعنى وتقليبه على الأوجه التي يحتملها اعتماداً على الإعراب .

فالإعراب شيء أساسي في الشرح عند ابن الأنباري لا يكاد يتخلى عن الاعتماد عليه في بيان معاني الأبيات التي يشرحها، وهذا واضح في كتابه كله من أوله إلى آخره وفي النصوص المقتبسة أنفاً دليل قاطع على ما ذهبنا إليه، وقد فرضت عليه الحاجة إلى الاختصار في الإعراب كما يظهر في النصوص السابقة وفي مواضع كثيرة من الكتاب، حتى يكتفي بذكر

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الرابع : الجانب النحوي

موقع الكلمة من الإعراب دون أن ينطلق إلى تفاصيل نحوية وحيث ما يختصر الإعراب يتسع عنده المقام غالباً لشرح اللغة والمعنى في البيت والأمثلة على ذلك كثيرة في الكتاب، بل قد يخلو شرحه من الوقوف على الإعراب تماماً.

2- الإشارة إلى معاني الحروف والظروف في البيت:

إذ نلاحظ أن بعض الحروف تأخذ المعنى الآخر في بعض الأبيات ليناسب معنى البيت وهذا ما نجده في شرح ابن الأنباري لبيت المخبل السعدي :

فكأن ما أبقى البوارح والـ أمطار من عرصاتها الوشم⁽¹⁾

"ما بمعنى الذي البوارح الرياح الشداد..."⁽²⁾

أشار ابن الأنباري إلى معنى "ما" في البيت الشعري وذلك لتوضيح المعنى وإزالة اللبس عنه.

فلا تُعْدِلِي بَيْنِي وَبَيْنَ مَغْمَرٍ سَقْتِكِ رَوَايَا الْمُرْنِ حِينَ تَصُوبُ⁽³⁾

"قال الضبي: المغمر والغمر الذي لم يجرب الأمور يقال رجل غمر بين الغمارة من قوم أغمار،

وماء غمر بين الغمورة: قال الأعشى:

ولقد شبت الحروبُ فما غمرتَ فيها إذ قلصتَ عن حِيَالِ أَي: لم توجد غمراً، ومعنى عن ههنا

معنى بعد. والمزن: سحاب أبيض يأتي في قبل الصيف وهو أحسن السحاب الواحدة مزنة.

(1) المصدر السابق، ص 210.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، ص 769.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الرابع : الجانب النحوي

وروايا المزن ما حمل منه الماء والرواية الحامل للشيء وروايا حوامل مائية وكل ما استقي عليه من بعير أو دابة فهو رواية والرواية المزايدة التي يحمل فيها الماء وهو من الأضداد يقال رويت عليها أروي ريةً إذا استقيت عليها وبه سميت الرواية التي يحمل عليها الماء وإنما هي المزايدة...⁽¹⁾

استهل ابن الأنباري شرحه لهذا البيت بتفسير الغريب ذاكرة فيه معنى اللفظ حسب وروده في السياق ،مضيفا إليه بعض المعاني الأخرى مما ليس له صلة بالسياق واستشهد لها ببيت شعري للأعشى وانتقل بعدها إلى تحديد معنى "عن" ولا بد هنا من معرفة معناها لئلا يخفى على القارئ والسامع فبمعرفتها يتضح المعنى تماما، ثم واصل بعدها تفسيره للألفاظ الغريبة الموجودة في هذا البيت.

3- الإشارة إلى عودة الضمير:

ومن القضايا المهمة التي يعني بها العربون بيان عائد الضمير سواء في ظهوره واستتاره وهو من القضايا المهمة التي يقتضيها توضيح المعنى، ذلك أن الخطأ في تقدير مرجع الضمير في النص يغير المعنى المراد ، أو يجعله غامضا أو معتذرا على الفهم ومن هنا وجب تحري الدقة في تقدير الضمير وعوده على صاحبه الذي يعنيه قائل النص، وهذا الأمر لا يخفى على دارسي العربية ومع ذلك يوليه ابن الأنباري حقه من العناية لئلا تلتبس المعاني التي يشرحها على أحد كما فعل في شرحه لهذا البيت:

⁽¹⁾ المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري
المبحث الرابع : الجانب النحوي

تَرَى الْحَاصِنَ الْغَرَاءَ مِنْهُمْ لَشَارِفٍ أَخِي سَلَّةٍ قَدْ كَانَ مِنْهُ سَلِيلُهَا⁽¹⁾

"الحاصن الكريمة العفيفة والسلة السرقة والشارف الكبير يقول تتزوج المرأة منهم الكريمة شيخا وقوله سلة يعرض أنه مسروق النسب أي ليس لأبيه وسليلها ولده والهاء في سليلها ترجع إلى السلة"⁽²⁾

شرح ابن الأنباري "الحاصن، والسلة والشارف" ثم بين أن الضمير "الهاء" في "سليها" تعود

إلى السلة وهذا البيان مما يخدم المعنى وهو هدف مقصود من الاعراب عند الشارح

سُلَافٌ حَدِيدٍ مَا يَزَالُ حُسَامُهُ دَلِيْقًا وَقَدْنُهُ الْقُرُونُ الْأَوَائِلُ⁽³⁾

قوله سلاف الحديد أي: خيره، شبهه بسلاف الشراب، وهو مأخوذ من السلف وهو المتقدم من الشيء لفضله، والهاء التي في حسامه للحديد، والحسام: الذي إذا ضرب به شيء حسمه أي: قطعه، والدليق: الحديد..."⁽⁴⁾

شرح ابن الأنباري "سلاف الحديد" مع الصورة البيانية الموجودة فيه والمتمثلة في التشبيه وذكر بعدها الكلمة التي يعود عليها ضمير "الهاء" في البيت.

(1) المصدر السابق، ص 519.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، ص 175.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الرابع :الجانب النحوي

4- الإشارة إلى بعض القضايا النحوية وقواعدها:مثل قوله في شرح بيت تأبط شرا:

يَحْبُوكَ بِالزُّغْفِ الْفَيُوضُ عَلَيَّ هَمِيَانَهَا وَالذُّهْمُ كَالغُرْسِ⁽¹⁾

"الزغف الدرغ السابغة الفائضة...ولم يأتي جمع على فعال إلا في ستة أحرف: قولهم فرير و فرار ورحل ورخال وظئر وظؤار وربي ورباب وتوأم وتؤام وعرق وعراق والهيمان..."⁽²⁾ فقد أشار الشارح الجموع التي تكون على وزن فعال .

لقد أدرك ابن الأنباري أهمية النحو في بيان ما أشكل من معاني الشعر وما خفي من مقاصده، لأن هناك ألفاظا لم تستبهم على الأذهان بسبب علاقتها الدلالية وإنما من أجل الوظائف النحوية التي يضطلع بها الكلام، ولما كانت هذه الوظائف من آليات فك الغموض الذي يلف المعنى استعان بها الشارح لتفسير بعض معاني المفضليات، ولهذا نجد كثيرا ما يذكر الوجوه الإعرابية المختلفة لمواقع الكلمة وكل ما يلقي الضوء على الدلالة من جهة النحو، وكان استخدامه للظواهر النحوية في الشرح متفاوتا يتسع في بعض أبيات ويضيق في آخر، كما يبدو لنا بعد التأمل في شرح ابن الأنباري للمفضليات أنه كان يتعصب للمذهب الكوفي في النحو ويظهر ذلك من خلال أمرين:الأول كثرة استشهاده بأقوال أئمة هذا المذهب كأبي جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح أستاذ أبيه والفاء كما نقل في مواضع كثيرة عن أعلام آخرين من الكوفيين أمثال أستاذه أحمد بن يحيى بن ثعلب وأبي الحسن الكسائي والطوسي وغيرهم ولكن هذا لم يمنعه من النقل عن البصريين أيضا أمثال أبي سعيد

(1) المصدر السابق،ص266.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الرابع : الجانب النحوي

الأصمعي وأبي عمرو الشيباني وغيرهم أما الأمر الثاني هو اعتماده المصطلحات الكوفية في بيان إعراب الأبيات ولا يكلفنا إثبات ذلك كبير عناء ، فالكتاب مليء بالمصطلحات الكوفية التي يتعصب لها دون ما يقابلها من مصطلحات بصرية مع أنه استخدم مصطلحات بصرية في مواضع قليلة ليست بخافية في شرحه ومن المصطلحات الكوفية التي مرت معنا مصطلح النعت ويقابله عند البصريين الصفة والخفض للجر أو البناء على الكسر. وبذلك كان

ابن الأنباري " من أعلم الناس وأفضلهم في نحو الكوفيين " ⁽¹⁾

ولقد تبين من خلال ما سبق أن ابن الأنباري لا يكاد يستغني عن الاعتماد على الإعراب في بيان معاني الشعر، بل له أساس في مادة شرحه وكثيرا ما خفي المعنى ولم يظهر إلا بالإعراب وهذا يؤكد لنا أنه -الإعراب- في العربية يخدم علم الدلالة خدمة مباشرة فلقد رأينا كيف تتباين المعاني باختلاف الأوجه الإعرابية ، ويتعدد مرجع الضمير في كثير من الأحيان وكل ذلك من أجل الإبانة عن المعاني ودفع الغموض عنها .

كما نلاحظ أيضا أنه كان يخاطب متلقيا متخصصا، وهو النحوي الذي يبحث عن فائدة ومعلومة تدخل في اختصاصه على عكس الناقد الذي يسمع ويتذوق ويحكم ولا يعني بالجانب النحوي بقدر ما يعني بكيفية تأليف الكلام (جميل أو غير جميل).

⁽¹⁾ أبو البركات الأنباري: نزهة الألباء، ص 364.

المبحث الخامس

الظواهر الموسيقية

1- الضرورة الشعرية:

2- القافية:

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الخامس: الظواهر الموسيقية

الظواهر الموسيقية:

للجانِب الموسيقي أهمية كبيرة في الشعر، فالشاعر يصب معانيه وينسج ألفاظه في قالب موسيقي يشد الآذان ويعطف القلوب، والخصائص الصوتية للكلمات تتضافر على المحور التوزيعي مؤتلفة فليست القيمة الصوتية للكلمة في سماتها الذاتية بل فيما تحدثه من علاقات انسجام مع غيرها وهذا الانسجام هو الذي يخلق الإيقاع "وبالرغم من أن الشراح الرواة قلما يقفون بأناة عند الظواهر الصوتية لأنها لا تمثل غاية غاياتهم إضافة إلى أنها عندهم في حكم البديهي فإننا لا نعدم إشارات طفيفة تخص هذا الجانب"⁽¹⁾

يستطيع الباحث حينما ينظر إلى شرح ابن الأنباري للمفضليات أن يسجل ظاهرة هامة وهي فقر هذا الشرح من الظواهر الموسيقية.إننا لم نجد في شرحه من الإشارات التي تتصل بهذه الظواهر شيئاً يذكر إلا القليل من اللقطات التي تتناول التفاتاً إلى الضرورات الشعرية التي كان يلجأ إليها الشعراء تخلصاً من مأزق الوزن أو القافية وعيوبها وحركة الروي.

1- الضرورة الشعرية:

لعل أقرب تعريف يمكن إطلاقه على الضرورة الشعرية هو: "الخروج على القواعد النحوية، والصرفية؛ لإقامة الوزن وتسوية القافية"⁽²⁾ والشاعر غير مقيّد بحدود ما يجده لدى الشعراء الآخرين من ضرورات فيزيد في المواضع التي زادوا فيها ويحذف حيث حذفوا، أو يغيّر على نحو ما غيروا، فقد يعترض في بعض نظمه الكثير مما لا يجد له نظيراً عند الغير.ومما ساعد على

(1) أحمد الودرني: شرح الشعر عند العرب، ص68.

(2) محمد حماسة عبد اللطيف: الضرورة الشعرية في النحو العربي، دط، مكتبة دار العلوم، مصر، دت، ص13.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الخامس: الظواهر الموسيقية

وجود الضرائر وكثرتها اختلافاً نظرة العلماء إلى مصادر الاستشهاد، ومواقفهم المختلفة منها. واختلفت نظرتهم كذلك إلى مدلول الضرورة الشعرية ذاتها فسلخوا في فهمهم لها وجهات متباينة فصارت الظاهرة الواحدة ضرورة شعرية على رأي في حين أنها لا تُعدُّ كذلك في رأي مغاير. وقد أشار ابن الأنباري إلى هذه الظاهرة من خلال شرحه كما في قوله لشرح بيت سويد بن أبي كاهل:

فَدَعَا نِي حُبُّ سَلَمَى بَعْدَمَا ذَهَبَ الْجِدَّةُ مِنِّي وَالرَّيْعُ⁽¹⁾

"الرَّيْعُ أولُ الشَّبَابِ ولكنه حركه ضرورة ورَّيعان كل شيء أوله يقال هذا رَّيعان الخيل ورَّيعان الجراد أولها ويقال رَّيعان الشَّبَابِ فضولُه يقال لهذا على هذا رَّيعان أي فضل وفضل كل شيء رَّيعه"⁽²⁾

ذكر ابن الأنباري أن الشاعر حرك الياء في لفظة "الرَّيْع" للضرورة الشعرية حتى يستقيم الروي . فقد كان أكثر فهما لحقيقة الضرورة الشعرية بما تهيأ له من إلمام بالنظام اللغوي العام في العربية، وحس موسيقي ساعده على ذلك.

وَمُكَبِّلٌ يُفْدَى بِوَافِرِ مَالِهِ إِنْ كَانَ صَاحِبَ هَجْمَةٍ أَوْ أَيْصَرَ⁽³⁾

"قال الضبي: أفرقاء: جمع فريق. وقوله فسباح في الرمح يريد أنه طعنه ثم أجره الرمح: قال الشاعر:

(1) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات ،ص386.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

(3) المصدر نفسه ،ص639.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري
المبحث الخامس: الظواهر الموسيقية

مَهْلًا فِدَاءً لَكَ يَا فَضَالَهُ أَجْرُهُ الرُّمَحَ وَلَا تُهَالَهُ
فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقْتَنِي رِمَاحَهُمْ نَطَقْتُ وَلَكِنَّ الرِّمَاحَ أَجْرَتِ

"يقول: لو أنهم فعلوا فعلا جميلا انبسط لساني بالثناء عليهم: ولكنهم أساؤوا. وهذا البيت من إجرار الفصيل وهو شق لسانه إذا لهج بالرضاع: والأول من الرمح. والمكبل: القيد ويقلب فيقال المكبل. والهجمة: القطعة من الإبل المائة ونحوها. والأیصر الكساء يحمل فيه الحشيش. قال يعقوب: قال أبو عمرو في بيت الأعشى:

دَفَعَنَ إِلَى اثْنَيْنِ عِنْدَ الْخُصُوصِ وَقَدْ خَيْسًا بَيْنَهُنَّ الْإِصَارَا

خيسا ربطا وشدا قال وأصله التذلل قال: ومنه قيل للحبس مخيس. وأراد بالإصار الحشيش والواحد أيصر والجمع أياصر فقال: إصار للضرورة: وأنشد:

تَذَكَّرْتُ الْخَيْلُ الشُّعَيْرَ عَشِيَّةً وَكُنَّا أَنَسًا يَعْلِفُونَ الْإِيَاصِرَا⁽¹⁾

أشار ابن الأنباري إلى أن الشاعر استعمل كلمة "إصار" بدل من كلمة "أيصر" للضرورة الشعرية .

و مثل هذه الإشارات قليلة جدا في شرح ابن الأنباري، والحقيقة أن قلة مثل هذه الإشارات إنما ترجع أساسا إلى "أصالة الشعر الجاهلي نفسه، لأن الشعراء الجاهليين كانوا فصحاء سليقة وطبعاً، قلما يخطئون، لأنهم عرب خلص، يقدسون فهم هذا ويقدرونه تقديرا لذلك لم ترد

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الخامس: الظواهر الموسيقية

عنهم أخطاء تذكر تتصل بنظمهم"⁽¹⁾ أي أن الوزن الشعري قيد الشاعر وجعله يحرك كلمة "الريع" ولا يستقيم الوزن دون تحريكه، فاضطر إلى ارتكاب هذه المخالفة حفاظاً على استقامة الوزن، وصحيح أنه ما من ضرورة إلا ويمكن أن يعوض من لفظها غيره، لكن الشاعر غير مختار في أموره كلها، فقد لا يخطر بباله في ذلك الموضع إلا هذه اللفظة المؤدية إلى الضرورة. وهو مما يدعو إلى عدم التمكن من تخير الوجه الذي لا ضرورة فيه، ولا يلزم الشاعر - وقت الإنشاد - استحضار التراكيب المختلفة ليوازن بينها ويختار منها ما خلا من الضرورة ويبتعد عما سواه. وقد أشار ابن الأنباري إلى ذلك لتوضيح المعنى وتسهيل فهمه.

2- القافية:

سأختار من تعاريف العروضيين للقافية تعريف الأخص لها" بأنها آخر كلمة من البيت"⁽²⁾ فهذا الرأي أدخل في علم البلاغة منه في علم العروض، فالأحكام البلاغية المتعلقة إنما تعني بألفاظ القوافي ومعانيها، وأثر ذلك كله في الشعر.

وأهمية القافية وتأثيرها العظيم في الصورة سواء من حيث المعنى أو من حيث الجرس الصوتي وموسيقية القصيد وجمال النغم تكمن في كون أبياتها "تتوالى متشبتاً بعضها

ببعض، وكل بيت يمسك بأخيه فيتوازن نغم دقيق، يطرد إلى نهاية يستقر فيها النغم، وهي

(1) أحمد جمال العمري: شروح الشعر الجاهلي، ج2، ص88.

(2) ابن رشيق: العمدة، ص110.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث الخامس: الظواهر الموسيقية

القافية، فهي قرار البيت، وعندها يصل اهتزاز اللحن إلى غايته، إذ يتم إيقاعه⁽¹⁾

وقد أشار ابن الأنباري إليها في شرحه في عدة مواضع وبين محاسنها والمعيب منها وما يلزم من حروفها وحركاتها :

فَكَأَنَّهِنَّ لَأَلَىٰ وَكَأَنَّهُ صَقْرٌ يُلُوذُ حَمَامَهُ بِالْعَوْسَجِ⁽²⁾

"شبهه الظباء باللالى لبياضهن، وقال الأصمعي: كن أدماً والآدم الأبيض. وشبهه الفرس بالصقر. وقال غيره: لبياضهن وحسنهن وكأنه يعني الفرس صقر يلوذ حمامه يتحرز لفرعه من الصقر يقول يدخل في العوسج فراراً منه والمعنى وكأنهن لآلى تتحدر من سلكها إذا انقطع وإنما يريد حسنهن وسرعتهن فراراً منه، والعوسج شجر ولم يخصه لمعنى وإنما أراد القافية، قال: سألت الأصمعي لم خص العوسج من بين الشجر؟ فقال: للقافية، قال

أبو جعفر: لأن الصقر لا يمكنه الدخول فيه للطفاته واشتباك بعضه ببعض والتفافه وهو كثير الشوك"⁽³⁾.

شرح ابن الأنباري التشبيه الوارد في البيت ثم نقل رواية الأصمعي وهذا حتى يصل إلى المعنى المراد وشرح بعدها كلمة "العوسج" التي أشار بعدها إلى أن الشاعر لم يخصها لمعنى وإنما جاء بها حتى تتناسب مع القافية، وذكر الشارح سبب ذلك حيث قال بأن الصقر لا يمكنه الدخول في هذا النوع من الشجر لأنه كثير الشوك.

(1) شوقي ضيف: في النقد الأدبي، ص 101.

(2) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات، ص 516.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري المبحث الخامس: الظواهر الموسيقية

ولم يفت ابن الأنباري الإشارة إلى بعض عيوب القافية كما في شرحه للمثال التالي :

وَكَاثُوا قَوْمَنَا فَبَعَّوْا عَلَيْنَا فَسُقْنَاهُمْ إِلَى الْبَلَدِ الشَّامِيِّ (1)

"قال الضبي: قال الأصمعي: لما قال بشر هذا البيت قال له سودة ابن أخيه: أقويت ففهم فلم

يعد." (2)

أشار ابن الأنباري إلى أن الشاعر من خلال هذا البيت قد وقع في عيب من عيوب القافية ألا

وهو الإقواء.

(1) المصدر السابق ، ص658.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

المبحث السادس

الجانب التركيبي

- 1- التقديم والتأخير
- 2- الحذف
- 3- ما اتصل بالأساليب وطرق الأداء:

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث السادس : الجانب التركيبي

الجانب التركيبي:

إن من أسباب تميز الخطابات وارتقائها خصائص تابعة لطريقة تركيبها، فقدرة المؤلف على إعطاء الكلام الفني خصوصية تختلف عن الكلام العادي راجع إلى قدرته على إيجاد تراكيب جديدة و طرق خاصة قائمة على تشكيل علاقات مميزة في الربط بين الدوال ومدلولاتها.

و لا يمكننا الحديث عن التركيب دون الحديث عن ظاهرة أخرى يقوم عليها التركيب وهي عملية اختيار الألفاظ و انتقائها، و الاختيار ظاهرة لغوية تسبق عملية التركيب وتمهد له، فلكل مبدع رصيد لغوي و ثروة لغوية، يختار منها ما يتلاءم مع أسلوبه و غرضه وموضوعه، و قد يتعدى هذا الاختيار إلى السياق الخارجي للنص، كأن يختار ألفاظ مناسبة للمقام، و كذلك مراعاة المتلقي كأن تتوافق الألفاظ و الجمل المنتقاة مع مستواه التواصلية وأن لا تكون غريبة، فتغلق عليه الفهم.

1- التقديم والتأخير:

للتقديم و التأخير قيمة فنية كبيرة تبرز على المحور التركيبي باعتباره تركيب لغوي ذو ميزة خاصة " فهو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، و يفضي بك إلى لطيفة، و لا تزال ترى شعرا يروكك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن أراقك و لطف عندك، أن قدم فيه شيء، و حول

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث السادس : الجانب التركيبي

اللفظ عن مكان إلى مكان⁽¹⁾ وقد أشار إليه ابن الأنباري من خلال شرحه للمفضليات كما في المثال الآتي:

وَأَنِّي مَتَى مَا أَدْعُ بِأَسْمِكَ لَا تُجِيبُ وَكَنتَ جَدِيرًا أَنْ تُجِيبَ وَتُسْمِعًا⁽²⁾

"يقول كنت إذا أجبت أسمعت المستغيث بك ولم تحوجه إلى إعادة ويروى: أن تجيب وتسمعا، والمعنى فيه التقديم أن تسمع فتجيب. قال الأصمعي: لو كان على هذه الرواية فتسمعا على أن الفاء في المعنى لتجيب كان أحسن. قال أبو جعفر: الرواية وتسمعا، أراد أن تسمع فتجيب فقدم. ونسق بأني على ما تقدم وأني متى ما أدع أبي أن أصبر أيضاً وجدير وخليق وقمين وقمن بمعنى⁽³⁾."

تطرق الشارح إلى المعنى العام للبيت وذكر بعدها أن هذا المعنى فيه تقديم ذاكرة التقدير الحقيقي للبيت حتى يسهل فهمه ويزيل اللبس عنه.

2- الحذف:

إن المتكلم إذا أراد أن يفيد السامع ، فإنه يذكر اللفظ كي يدل على معناه، أما إذا علم من خلال الكلام بسبب قرينة في الجملة أو السياق تدل عليه، فإنه يحذفه وابن الأنباري لم يغفل عن هذه الظاهرة اللغوية، التي تشترك فيها اللغات الإنسانية لكنها في اللغة العربية أكثر ثباتاً ووضوحاً، لأن اللغة العربية من خصائصها الأصلية الميل إلى الإيجاز والاختصار، وقد نضرت العرب مما هو ثقيل في لسانها ومالت إلى ما هو خفيف وفي لسان العرب "حذف الشيء

(1) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص106

(2) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات ، ص533

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث السادس : الجانب التركيبي

يحذفه حذفاً قطعاً من طرفه والحجاء يحذف الشعر من ذلك... والحذف الرمي عن جانب والضرب"⁽¹⁾

فالحذف في لسان العرب جاء بمعنى القطع والرمي والضرب أما في الصحاح فهو "حذف الشيء إسقاطه يقال: حذفت من شعري ومن ذنب الدابة أي أخذت... وحذفت رأسه بالسيف إذا ضربته فقطعت منه قطعة"⁽²⁾ فالحذف هنا بمعنى الإسقاط والأخذ والضرب أيضاً .

أما اصطلاحاً فهو "إسقاط أحد عناصر التركيب اللغوي، هذا الإسقاط له أهميته على المستوى التركيبي للغة، إذ يعد من أبرز المظاهر الطارئة على التركيب المعدول بها عن مستوى التعبير العادي، وتتنوع مظاهر الحذف وتختلف من سياق لآخر تبعاً لملاسات هذا السياق، أو ذاك هذا التنوع يعطي للحذف قيمته التعبيرية ويبعث بدلالات جديدة، ويشرك القارئ في عملية التوصيل من خلال إعطائه مساحة التأويل والتقدير"⁽³⁾

ومن أمثلة الحذف عند ابن الأنباري حذف الضمير العائد على متقدم له، وذلك من أجل التخفيف كقوله في شرح بيت تأبط شرا قوله "ما كل امرئ لاق"⁽⁴⁾ فقد حذف الضمير العائد على (ما) من الصلة تخفيفاً والمراد (ما كل امرئ لاقية). "فاللغة ليست أساساً أداة يتحكم فيها من الخارج وتسخر لإستراتيجية الإقناع ، بل إن استعمالها هو دعامة محايثة

(1) ابن منظور: لسان العرب، مادة حذف، ج 4، ص 40.

(2) الجوهري: الصحاح تاج العربية و صحاح العربي، ج 1، مجلد 4، باب الفاء، فصل الحاء، مادة حذف، ص 1341.

(3) عبد الباسط محمود: الغزل في شعر بشار بن برد، دراسة أسلوبية، دار طيبة للنشر والتوزيع والتجهيزات العلمية، دط،

2005، ص 257.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث السادس : الجانب التركيبي

للتشكيلة الخطابية وغير المفصولة عن تموقعها، وذلك أن السنن اللغوية ليست نظاما لنقل المعلومات فحسب، بل يساهم في الشرعية الذاتية للمتلطف⁽¹⁾

كما طال الحذف عند ابن الأنباري الفعل في قوله في شرح قول مزرد "سقيا لريعان الشباب"⁽²⁾ والدليل على ذلك نصبه للفظ "سقيا" لأن ذلك ما كان إلا بإضمار فعل كأنه قال "سقى الله ريعان الشباب"

وفي شرح ابن الأنباري الحذف يكون عندما نطلبه ويغيب حينما نرفضه وهذا دليل على أنه عالم بأمور الحذف، وأزمانه حاذق في تحريره ومدى استخدامه في جميع أنواع الجمل وآليات شرحها، وإلى أي مدى موجود الحذف في الشرح، فلا نحس بخلل أو ملل عند قراءتنا لهذا الشرح.

وقد كان الحذف عند ابن الأنباري أكثر شيء في المسند والمسند إليه كما أن اختلافهما - المسند إليه والمسند - بين الشرح والشعر وتنوعهما انعكس على عدة مستويات منها المستوى التركيبي والمستوى الدلالي وهذا ما يجعل المعنى موزعا بينهما "ولعل النص الشعري لم ينتج خطابا واصفا في مستوى الشرح على المستوى النوعي وعلى المستوى الكمي فالشرح خطاب يتعامل مع النص بشكل مباشر كما أن ما تراكم منه عبر العصور يعد مادة نقدية ذات أهمية بالغة"⁽³⁾ كما أن المسند والمسند إليه أغلبهما يعودان على النص الشعري،

(1) دومينيك مانغو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص 16.

(2) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات، ص 159.

(3) عبد الله العشي: زحام الخطابات، ص 67.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث السادس : الجانب التركيبي

من أسماء ومسميات وأشخاص وأماكن وغيرها " فالنص الواصف من هذا المنظور عمل يصعب انجازه، إن لم يكن أمراً أشبه بالمستحيلات في ظل معطيات اللغات الطبيعية"⁽¹⁾ وقد كان ابن الأنباري يلجأ في بعض الأحيان إلى حذف الأسماء وذلك من أجل الاختصار والابتعاد عن الملل والرتابة كما في شرحه لهذا البيت:

ماذا أؤمل بعد آلٍ مُحَرَّقٍ تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ وِيعَدَ أَيَادٍ⁽²⁾

"لم يقل فيه أبو عكرمة شيئاً، وقال محمد بن حبيب: عنى محرقاً الغساني وكأنما أغار هو وأخوه في إياد وطوائف من العرب من تغلب وغيرهم على بني ضبة بن أد وهم ببزاحة فاستاقا النعم. فأتى الصريخ بني ضبة فركبوا وأدركوه فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم إن زيد الفوارس حمل على محرق فاعتنقه فأسرره، وأسروا أخاه"⁽³⁾

فالشراح هنا استعمل لفظ "أخو" بدل من الاسم الحقيقي، كما أنه لم يغفل عن الإشارة أيضاً إلى الحذف الوارد في بعض الأشعار كما في المثال الآتي:

كَأَنَّ إِبْرِيْقَهُمْ ظَبْيٌ عَلَى شَرْفٍ مُقَدَّمٌ بِسَبَابِ الْكَتَّانِ مَرْتُومٌ⁽⁴⁾

"قال الضبي: ويروى: ملثوم. شبه انتصابه وبياضه بظبي على شرف وهو المكان المرتفع والمقدم الذي يجعل على فمه خرقة. وقوله بسبا أراد السببية. وقال غيره: أراد السبائب فحذف وهي الشقاق كما قال لبيد: درس المنا بمتالع فإبان، أراد المنازل فحذف، وقولهم هم بين حاذف

(1) أحمد يوسف: الدلالات المفتوحة مقارنة سيميائية في فلسفة العلامة، ص 170.

(2) ابن الأنباري: شرح ديوان المفضليات، ص 447.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المصدر نفسه، ص 815.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث السادس : الجانب التركيبي

وقاذفٍ أراد بين حاذفٍ بالعصا وقاذفٍ بالحجر. والمرثوم الذي قد رثم أنفه مثل كسر يقال رثمت أنفه إذا كسرتة ورثمته إذا أسلت دمه حكى لي هذين الحرفين أحمد بن يحيى أبو العباس. وقال الرستمي: الأباريق جمع إبريق من الآنية. والإبريق أيضاً في غير هذا الموضع السيف، قال الشاعر:

قَدْ جِئْتُمُونَا بِأَبْرِيْقِكُمْ كَأَنَّنا دُونَ بَنِي الْأَسْلَعِ

أي: بسيوفكم والإبريق البراقة من النساء والشرف المكان المرتفع فشبه الإبريق بظبي على مكان مرتفع وإذا كان كذلك كان أبين لحسنه وأشد لانتصابه. ومقدم من نعت الإبريق ورفعته على الاستئناف أراد كأن إبريقهم وهو مقدم ظبي. وقوله بسبا الكتان أراد السبني من الثياب. قال: ويقال أراد السبائب فحذف وأنشد للعجاج: أوالفا مكة من ورق الحمي، أراد الحمام...⁽¹⁾

ذكر ابن الأنباري الشاعر أراد "السبائب" فقال "السبا" وأراد "المنازل فقال "المننا" ومثل هذه الإشارات يلجأ إليها الشارح لتوضيح المعنى للمتلقى .

وهذا ينم عن مقدرة ابن الأنباري اللغوية والنحوية، ويضفي على عملية الشرح عنده نوعاً من الوضوح وشكلاً آخر من أشكال التفسير وأنماطه المختلفة، ويقربنا من نص الشرح أكثر فأكثر.

⁽¹⁾ المصدر السابق، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث السادس :الجانب التركيبي

من خلال ما سبق نجد أن ابن الأنباري ركز على عملية تنويع الدلالة التي يقدمها الحذف في كل مرة حسب نوع المحذوف، وكذلك السياق الذي يرد فيه، إضافة إلى ما يعطيه من فوائد بلاغية في الكلام تحدث أثرا فنيا في نفس المتلقي فالحذف هو إعطاء تراكيب جديدة تحوي دلالات وإيحاءات لم يكن من الممكن إعطاؤها لو ذكر المحذوف وحضر الغيب، "فمحاولة تحيين الغائب هو نوع من اكتشاف أسرار الصياغة الإبداعية التي تعتمد على أسلوب الحذف للخروج عن النمط المألوف ضمن تشكيل انزياحي سعيا للوصول إلى تكثيف الدلالة بقليل من الألفاظ من ناحية، وتجنب التكرار من ناحية أخرى، وشد انتباه المتلقي من ناحية ثالثة. و يتيح له نوعا من الفهم و الإبداع، قوامه ثقافة المتلقي والتي تتعدد بتعدد المعاني والإيحاءات للنص الواحد"⁽¹⁾

وبهذا نكون قد أظهرنا أن الشارح لم يبق سجين التركيب المباشر فقد يلجأ للحذف لأن الجملة لا تعتبر مجرد شكل لغوي يؤدي وظيفة جمالية أيضا.

3- ما اتصل بالأساليب وطرق الأداء :

يتمثل الأسلوب في طريقة الكتابة الإبداعية باستخدام كفاءة إنشائية وأخرى ألسنية وفق أسلوب كل كاتب فهو "المظهر الجمالي الذي يمتد إلى اللغة في أفرادها، والكتابة في تركيبها ليتولاهما بالزينة والتنميق والتفريد والتخصيص"⁽²⁾ فالكاتب بما يملك من قدرات لغوية

(1) يوسف أبو العدوس:الأسلوبية بين الرؤية والتطبيق ، ص190.

(2) عبد المالك مرتاض: في نظرية النقد، دط، دار هومة ، الجزائر، 2005، ص161.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث السادس : الجانب التركيبي

وذوقية يسهم ذلك في صياغة أساليب ذات طابع فني باعتماده إجراءات بلاغية ليصوغ بها لغته الخالصة للتعبير عن أفكاره وعواطفه وهو واجسه.

فالأسلوب بمثابة قالب جمالي للغة وينتج عن هذا التفرد الذي يتميز به كل كاتب لغة أدبية و"الأسلوب بالقياس إلى اللغة كالطراز الزخري الذي ينتقيه المهندس المعماري، من بين ألف طراز، لبناء قصر أو عمارة أو منزل فاخر فهو يفترض من هذه الناحية وجود حد أدنى من الذوق الفني أما النسيج اللغوي فلا يكون إلا بمثابة الهيكل العام الذي ينتظمه هذا الطراز أي أنه شبكة من التقنيات اللسانية الشكلية الصوتية والدلالية التي تجسد ذلك البناء المركب العجيب، وأما اللغة فلا تكون إلا وعاء عاما يظرف المظهرين الاثنان جميعا أي أنها أداة تقنية بواسطتها تتم عملية البناء في شكله الداخلي والخارجي أو الأفقي والعمودي معا"⁽¹⁾ فقد شبه أسلوب الكاتب وبنائه لأفكاره هنا بالبناء المكتمل لمنزل ما فالأفكار متضمنة في الجدران وما تحويه هذه الأفكار فنية متضمن داخل البنية ذاتها أي في طريقة تشكلها فمصمم البنيان يلتقي مع الكاتب في طريقة بناء كل منهما للجدران والأفكار بما يملكانه من تقنيات في القولية وهنا تتدخل الكفاءة وهي المعرفة الضمنية بقواعد اللغة، فهناك كفاءة ضمنية تتولد فطريا مع الإنسان وعندما تصدم بالظروف الخارجية تتحول هذه الكفاءة وتختلف من شخص لآخر.

(1) المرجع السابق، ص 172.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث السادس : الجانب التركيبي

وإذا نظرنا إلى شرح ابن الأنباري للمفضليات لا نجد اهتماما كبيرا بالأساليب حيث نجده أحيانا يحددها ويقوم بشرحها، وفي أحيانا أخرى يوردها دون أن ينصص عليها فهي عنده في حكم البديهي أو الضمني:

أَسْمَاءُ لَمْ تَسْأَلِي عَنْ أَبِي كَرِ وَالْقَوْمُ قَدْ كَانَ فِيهِمْ خُطُوبٌ⁽¹⁾

"ويروى: يا أسم لم تسألني، وخطوب: أمور جمع خطب، وقال الأصمعي: أراد أسماء ألم تسألني مثل قوله: أصاح ترى برقاً أراد صاح أترى برقاً فقدم الاستفهام فجعله في صاح. هذا البيت أولها يعني أسماء في رواية أبي عكرمة والأصمعي وغيره يجعلون أولها"⁽²⁾

نقل الشارح رواية أخرى للبيت وأشار بعدها إلى قضية صرفية وهي جمع ومفرد "الخطوب" ثم نقل بعدها رواية الأصمعي وذكر الاستفهام الموجود في البيت الذي قام الشاعر بتقديمه ليخدم معنى البيت.

أَنْى اهْتَدَيْتِ وَكُنْتِ غَيْرَ رَجِيلَةٍ وَالْقَوْمُ قَدْ قَطَعُوا مِتَانَ السَّجْسَجِ⁽³⁾

"كذا رواها أبو عكرمة وقال: الرجيلة القوية على المشي يقال رجل رجيل وامرأة رجيلة والمتان: جمع متن وهو ما غلظ من الأرض والسجسج موضع. قال أبو جعفر: أنى بمعنى كيف وكنت غير رجيلة يتعجب من هدايتها وقوتها غير قوية على المشي ولا متحملة له، وأنث لأنه

(1) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات، ص511.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث السادس : الجانب التركيبي

رجع بالمخاطبة إلى المرأة وترك الخيال، والمتان جمع متن وهي الأرض الصلبة المستوية كمتن

الإنسان والسجسج: المكان الواسع الصلب"⁽¹⁾

أشار ابن الأنباري إلى التعجب الوارد في البيت وشرحه حتى يزيل اللبس عنه ويسهل فهمه

على المتلقي .

سَمِّمَ الإِقَامَةَ بَعْدَ طُولِ ثَوَائِهِ وَقَضَى لُبَانَتَهُ فَلَيْسَ بِنَاطِرٍ⁽²⁾

"ويروى ثواية والسامة الإعياء والملل أي مل إقامته والثواء الإقامة يقال ثوى بالمكان وأثوى

واللبانة الحاجة والناظر المنتظر يقال نظرت الرجل إذا انتظرتة وقال أحمد ثوى الرجل ولا

يقال أثوى واحتج من حكى أثوى ببيت الأعشى (أثوى وقصر ليله ليزودا) واحتج به أحمد ورواه

للاستفهام"⁽³⁾

انشغل ابن الأنباري بتحليل الصورة الشعرية ولم يشأ الوقوف عند البنية الإنشائية مجسدة في

الاستفهام البلاغي المفيد للنفي أي نفي انتظاره رغم أنه مل إقامته هناك.

أَنَّ ابْنَ جَعْدَةَ بِالْبُؤَيْنِ مُعَرَّبٌ وَبِنُؤِ خُفَاجَةَ يَقْتَرُونَ التُّعْلَبَا⁽⁴⁾

(1) المصدر السابق، ص 515.

(2) المصدر نفسه، ص 255 .

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المصدر نفسه، ص 554.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث السادس : الجانب التركيبي

"البوين موضع والمعزب الذي أعزب إبله أي تباعد بها من حيه وأهله ويقترون الثعلبا يتبعون إثره قال أبو جعفر تعجب منهم يقول أولئك قد عزبوا ينتجعون النبات لإبلهم والخصب وهؤلاء يصيدون الثعالب في الجذب يذمهم بذلك"⁽¹⁾

التعجب الذي ذكره الشارح هنا هو من جهة المعنى لا من جهة البنية لأن الأسلوب الذي نسج عليه الشاعر البيت هو "الذم" فلم يرد ابن الأنباري بالتعجب البنية الإنشائية المألوفة، بل هو عنده معنى استخلصه من موقف الشاعر وقد هاله العجب من أولئك الذين ينتجعون النبات لإبلهم والخصب والذين يصيدون الثعالب في الجذب.

"إن وضع الأصبع على الأساليب خطوة لا مندوحة عنها لكن ذلك لا يبيح للشارح أي شارح الوقوف عند استيعابها ومحاكاتها لاستشراق عوالم الدلالة وأفاق المعاني"⁽²⁾

(1) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(2) أحمد الودرني :شرح الشعر عند العرب ،ص 89 .

المبحث السابع:

ملايسات إنشاء القصيدة

1- الكشف عن القصد

2- شرح المعاني

2- 1 محاكاة بالتوسيع

2- 2 محاكاة بالتلخيص

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث السابع: ملابسات إنشاء القصيدة

- ملابسات إنشاء القصيدة :

1- الكشف عن القصد :

إن السبيل إلى المقاصد يكون اعتمادا على الأبنية التعبيرية، إذ يحتمل الشاهد أو النص أكثر من قراءة ولكن الشارح ينصص على واحدة دون الأخرى وفق لقاعدة القصيدة "لذلك لا محيد للشارح انطلاقه من المبنى لاكتشاف القصد مما يدل على أن اعتماد الأبنية التعبيرية هو وحده الذي يؤمن السبيل إلى المقاصد ويقي الشارح عشرات الفهم"⁽¹⁾

كما نلاحظ إضافة إلى ما تقدم أن التعويل على الجانب المعجمي وحده قد لا يتيح تطويق المراد من المعنى كما قال ابن الأنباري في شرحه لبیت جبيهاء الأشجعي :

وَلَوْ أَشْلَيْتُ فِي لَيْلَةٍ رَجَبِيَّةٍ بِأَوْرَاقِهَا هَطْلٌ مِنَ الْمَاءِ سَافِحٍ⁽²⁾

"أبو جعفر" ولو أرسلت في ليلة رجبية لشفانها قطر من الماء سافح "أشليت دعيت والأشلاء الدعاء أي دعيت هذه الشاة لتحلب: قال الشاعر

أَشْلَيْتُ عَنَزِي وَمَسَحْتُ قَعْبِي صَبًّا عَلَى مَاءٍ لَدْرِي عَذْبُ

(1) أحمد الودرني: شرح الشعر عند العرب، ص99.

(2) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات، ص332.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث السابع: ملابسات إنشاء القصيدة

وقوله في ليلة رجبية أي ليلة من ليالي الشتاء ذات مطر لقوله لأوراقها هطل من الماء وأوراقها وهنا السحاب وسافح صاب والسفح الصب غيره إنما خص الشتاء لأن الألبان تقل فيه فأراد أن لبنها مما يبقى على شدة البرد وإنها غزيرته⁽¹⁾

روى ابن الأنباري عن أبي جعفر ثم شرح كلمة "أشليت"، واستشهد على ذلك ببيت شعري وشرح قصد الشاعر بقوله في "ليلة رجبية" وقد تكون على بينة من أن "الأوراق" هي من "الورق: ورق الشجرة والشوك والورق: من أوراق الشجر والكتاب الواحدة ورقة، ابن سيده: الورق من الشجر معروف، وقال أبو حنيفة: الورق كل ما تبسط تبسطا وكان له غير في وسطه تنتشر عنه حاشيته، واحدته ورقة وقد ورقت الشجرة توريقا وأورقت إيراقا: أخرجت ورقها، وأورق الشجر أي خرج ورقه وشجرة وارقة ووريقة وورقة: خضراء الورق حسنة الأخيرة على النسب لأنه لا فعل له والوارقة الشجرة خضراء الورق الحسنة، وقيل كثيرة الأوراق وشجرة ورقة ووريقة: كثيرة الورق وورق الشجر يرقها ورقا: أخذ ورقها..."⁽²⁾ لكنك قد لا تدرك ضرورة أن الأوراق هي السحاب وابن الأنباري قد تفتن إلى ذلك ولم يعول في شرحه على المعجم اللغوي فقط .

فَلَمْ تَذُرْفِ الْعَيْنَانِ حَتَّى تَحْمَلْتِ مَعَ الصُّبْحِ أَحْفَاضُ لَهُمْ وَحُدُوجُ⁽³⁾

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) ابن منظور: لسان العرب، ج15، مادة ورق، ص195.

(3) ابن الأنباري: شرح ديوان المفضليات، ص336.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث السابع: ملابسات إنشاء القصيدة

"الأحفاض جمع حفص وهو البعير الضعيف يحمل عليه الأمتعة والأنية قال رؤبة يا ابن قروم
لسن بالأحفاض والحفص في غير هذا المتاع الذي يحمل على البعير سمي حفصاً لأنه يحمل
على الحفص وهو من الأضداد قال عمرو بن كلثوم

ونحنُ إذا عمادُ الحي خرتُ على الأحفاضِ نمنعُ ما يلبينا

يعني متاع البيت ويروى عن الأحفاض يعني الإبل والحدوج جمع حدج وهي مراكب النساء
ومنه قولهم بعير محدوج إذا شد عليه الحدج وإنما قال مع الصبح لأن أكثر ما يرحلون
بالنساء في الليل"⁽¹⁾

إن ابن الأنباري لم يركد نظره عند الزاوية اللغوية المعجمية، بل فطن للقصد الذي رمى
إليه الشاعر، لأن الشاعر يتعامل مع العلامات اللغوية باعتبارها رموزاً ذات سياق يخلع عليها
معاني من عنده فيزعزع الثابت، ويؤسس شعرياً للمتحول اللغوي. "إن الشعر هو فعل في اللغة
باللغة وعلى الشارح أن يتقبل خط تلك السيورة في انتظامه وانعطافه"⁽²⁾

فابن الأنباري بالإضافة إلى تسلحه بمتين المعارف، فإنه أيضاً يمتاز بحس مرهف صقله
الذوق الرفيع والدربة الدؤوب، تحقيقاً للنجاعة فهما وإفهاماً .

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) أحمد الودرني: شرح الشعر عند العرب. ص99.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري المبحث السابع: ملابسات إنشاء القصيدة

2- شرح المعاني :

رأينا ابن الأنباري مهتما بتحديد الرواية وتوثيقها بما جاء عن أساتذته، وما كان اهتمامه إلا من أجل الوصول إلى حقيقة المعنى.. فإذا هو حدد الرواية ووثقها، انتقل إلى شرح المعنى، وتوضيح مقصود الشاعر، ومضمون كلامه لاسيما وإن المعنى هو قلب الشرح ومداره فعليه تعقد الإفادة ويبنى المقصد.

كما عمد ابن الأنباري في كثير من الأحيان إلى نشر المعنى لكي يتاح فهمه في إطار منحى تبسيطي واضح، وليس له من فضل إلا المحاكاة بعبارة تبدو أحيانا أطوع من عبارة الشاعر وهي محاكاة للمعنى بالتلخيص والتوسع.

2- 1- محاكاة بالتوسع :

الانتقال بدلالة الكلمة من معناها المعجمي الضيق إلى دلالة أعم وأوسع، كأن يطلق على الاغتسال بالماء أياً كانت درجة حرارته :استحمام، والاستحمام في الأصل هو الاغتسال بالماء الحار. وكذلك إطلاق كلمة الورد على كل نوع من أنواع الزهور مع أنه نوع من أنواعها، ومن تعميم الدلالة كذلك تحويل بعض أسماء الأعلام إلى صفات مثل: قيصر للعظيم، وفرعون للطاغية، وحاتم للكريم، وغيرها. وكذلك النجعة أصلها طلب الغيث، ثم كثر فصار كل طلب انتجاعاً. وكذلك أصل الورد :بإتيان الماء ثم صار إتيان كل شيء ورداً. ومن ذلك الفعل تعال الذي يعني الأمر بالمجيء مطلقاً، والأصل فيه المجيء من أسفل

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث السابع: ملابسات إنشاء القصيدة

إلى أعلى"⁽¹⁾ وهنا يكون المعنى ملتف على نفسه، فيعمد الشارح إلى طرحه وتوسيعه كشرحه

لبيت عبد الله بن سلمة الغامدي:

أَمَسَّتْ بِمُسْتَنْ الرِّيحِ مُغِيلَةً كَالْوَشْمِ رُجِعَ فِي الْيَدِ الْمُنْكَوسِ⁽²⁾

"ويروى (أضحت خلاء بعد سلمى قفرة) كالوشم منكوس، أي نكس أعيد عليه الوشم رجع ثني

وعطف يقال أفال عيني طول العهد وفالت بها عيني إذا لم تعرفها ويقال في رأي فلان فيالة

وقد فال رأيه وبصره ورجل فيل الرأي وفال الرأي وفائل الرأي وأنشدني أحمد وغيره لسلم

بن معبد الوالي يصف إبلا:

مُبَيِّنَةٌ تَرَى الْبُصْرَاءَ فِيهَا وَأَفْيَالَ الرَّجَالِ وَهُمْ سَوَاءُ

يقول علامات النجابة والكرم ظاهرة عليها فليست تخيل على بصير بالإبل ولا جاهل بها فقد

استوى القول فيها وقال أحمد مضيعة مخيلة قد تلبست علي مأخوذ من الفيال والمفايلة، وهو

تراب يكومونه أو رمل ثم يخبؤون فيه خبيثا ثم يشق المفايل تلك الكومة فيقسمها قسمين

فيقول في أي الجانبين فإن أصاب ظفروا إن أخطأ قمر قال طرفة :

يَشُقُّ حَبَابَ الْمَاءِ حَيْرُومَهَا بِهَا كَمَا قَسَمَ الثُّرْبَ الْمَفَائِلَ بِالْيَدِ

(1) عبد الكريم جبل: في علم الدلالة، ص33.

(2) ابن الأنباري: شرح ديوان المفضليات، ص190.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث السابع: ملابسات إنشاء القصيدة

فيقول تغيرت أعلام هذه المواضع ودرست آثارها وخفيت علي كما خفي ما خبيء في هذه الفيال وستر ما فيها"⁽¹⁾

إن ابن الأنباري في شرحه لبعض المفردات المفتاحية للبيت الشعري، يذكر المعاني الواردة حول اللفظة التي يفسرها وليس معناها فقط كما ورد في شرح هذا البيت فيظهر الشرح عنده عبارة عن جمع للروايات والشروح، ثم سردها من جديد دون ما يكون له إلا صفة ضئيلة من الربط بين الشروح وعرضها، أو حتى عدم الربط بينها.

يتجلى أثر الشرح من خلال التوسيع الذي يجريه الشارح على المعنى وهو ضرب من التوليد الدلالي، ينطلق من المعنى الأصل في اتجاه أشكال من التوسعة، تتمثل في معان فروع "هي الوحدات المعنوية الدنيا التي تؤثت فضاء الدلالة مجتمعة متضافرة"⁽²⁾

2- 2- محاكاة بالتلخيص :

المراد به إطلاق الكلمة ذات الدلالة العامة على المعنى الخاص .أو أن يقتصر مدلول الكلمة على أشياء تقل في عددها عما كانت عليه الكلمة في الأصل .وهو عكس الشكل السابق .من ذلك كلمة الفاكهة كانت تطلق على كل أنواع الثمار ثم خصصت بعد ذلك بأنواع معينة، ومثل كلمة الحریم في الأصل تُطلق على كل حمى محرم، فصارت تطلق على النساء .ومثل كلمة "الراث" كانت تطلق على الخسيس والرديء من كل شيء،

(1) المصدر السابق، ص190.

(2) أحمد الودرني: شرح الشعر عند العرب، ص98.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث السابع: ملابسات إنشاء القصيدة

ثم خصصت دلالتها على الملابس والفرش. ويدخل في هذا الألفاظ الإسلامية التي تخصصت معانيها نحو الصلاة، وهي في الأصل الدعاء، وكذلك كلمة حج، وهي في الأصل مطلق القصد، وغيرها من الألفاظ كالإيمان والإسلام والمؤمن والمنافق والكافر⁽¹⁾

وَبُدِّلَ مِنْ لَيْلَى بِمَا قَدْ تَحَلُّهُ نَعَاجَ الْمَلَأَ تَرَعَى الدَّخُولَ فَحَوْمَلًا⁽²⁾

"النعاج البقر والملا المتسع من الأرض والدخول وحومل موضعان أراد أنها ترعى الدخول وحومل وما بينهما لإدخاله الفاء"⁽³⁾

نلاحظ أن ابن الأنباري حاكى المعنى بالتلخيص فقلصه إلى حد الاقتضاب، إذ أغفل معنى الصدر، ولم يعن إلا بمعنى العجز الذي رآه أحرى بالتبسيط من غيره، لذلك لم يذكر الشارح المعنى الأول، واكتفى بالمعنى الثاني، بالرغم من أن كلا المعنيين يقتضي الآخر فهو هنا لا يكثر للعلاقات الدلالية بين المعنى والآخر قدر اكتراهه لتفسير المعاني الغوامض، مما يجعله يغفل المعنى إذا كان واضحاً ما دام لا يوجد داع إلى تبسيطه .

فقد كانت محاكاة ابن الأنباري للمعنى بالتلخيص سيرا بالفروع نحو الأصل المعنوي الواحد إلى حد الاقتضاب المخل أحياناً، في حين كانت محاكاته بالتوسيع هي سير بالأصل المعنوي الواحد نحو الفروع على نهج من التشقيق الدلالي الدقيق، فكانت بذلك خطوة جلييلة من خطوات ممارسة النص، تعكس بجلاء وعي ابن الأنباري بتعبير الشاعر عن جزئيات المعاني

(1) محمد سعد محمد: في علم الدلالة، ص104.

(2) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات، ص823.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني : وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري

المبحث السابع: ملابسات إنشاء القصيدة

بكلياتها واستعاضته عن العبارة بالإشارة، لذا كانت مهمته هي تبديد الغموض وتحويل

المعاني من حيز الإضمار إلى حيز الإظهار.

فابن الأنباري إذن عالم لغوي لهذا كان للغة بفروعها المختلفة من نحو وصرف ودلالة

مكانة واضحة في شرحه إذ جعلها لا تغيب عنه حتى وهو بصدد العناصر التفسيرية الأخرى،

لهذا عرف في عصره وبعد عصره بأنه نحوي ولغوي وأديب بارع. بيد أن اهتماماته بشرح الشعر

لم تكن لتقف عند حدود التوضيح والتفسير بل كان الأمر يتطرق به للدخول في مسائل

أخرى زيادة في الإعلام والتعليم كان لا يترك دقيقة من دقائق اللغة إلا وضحاها وذكر ما

تشتمل عليه من معلومات تفيد القارئ لأنه لا يقنع إلا بما يزيد الأمر وضوحا وتوضيحا.

الفصل الثالث :

وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول:

البيان في النص الواصف:

المبحث الثاني:

ثنائية المجاز المرسل والاستعارة في النص الواصف:

المبحث الأول:

البيان في النص الواصف:

1- المجاز في النص الواصف:

1- 1- مفهوم المجاز:

1- 2- أقسام المجاز

1- 2- 1- المجاز اللغوي:

1- 2- 1- 1- المجاز المرسل عند ابن الأنباري :

1- 2- 1- 2- الاستعارة عند ابن الأنباري :

1- 2- 2- 1- الإسناد المجازي عند ابن الأنباري :

2- الكناية عند ابن الأنباري :

3- التشبيه عند ابن الأنباري :

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

مفهوم البيان:

البيان ما يبين به الشيء من الدلالة وغيرها" وبان الشيء : اتضح فهو بين ، واستبان الشيء : ظهر، والبيان الفصاحة واللسن ، كلام بين : فصيح .والبيان الإفصاح مع ذكاء والبين من الرحال :الفصيح والسمع اللسان.

وقلان أبين من فلان أي أفصح منه وأوضح كلاما، والبيان إظهار المقصود أبلغ لفظ ،وهو من حسن الفهم، وذكاء القلب مع اللسان، وأصله الكشف والظهور"⁽¹⁾

ولعل الجاحظ كان أسبق علماء اللغة العربية إلى النظر في معنى البيان ، حيث سمى أحد كتبه البيان والتبيين ، وتحدث فيه عن البيان ، ولعل تعريف جعفر بن يحيى الذي ذكره الجاحظ كان من أقدم ما دون، حيث قال : "ثمامة :قلت لجعفر بن يحيى ما البيان؟ قال : أن يكون الاسم يحيط بمعناك ، ويجلي عن مغزاك ، وتخرجه عن الشركة ، ولا تستعين عليه بالفكرة .والذي لا بد منه أن يكون سليما من التكلف ، بعيدا عن الصنعة ، بريئاً من التعقيد ، غنياً عن التأويل ،وهذا هو تأويل قول الأصمعي:البليغ من طبق المفصل وأغناك عن المفسر"⁽²⁾

والبيان عند الجاحظ هو الكشف والإيضاح والفهم ، قال " : البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير ، حتى يفضي السامع إلى حقيقته ، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان ذلك الدليل ، لأن

⁽¹⁾ابن منظور :لسان العرب ،مادة بين،ج13،ص79

⁽²⁾الجاحظ: البيان والتبيين، ص173.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

مدار الأمر ، والغاية التي يجري إليها القائل والسامع ! إنما هو الفهم ، والإفهام ، فبأي شيء

بلغت الإفهام ، وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع" (1)

أما البيان عند السكاكي "هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في

وضوح الدلالة عليه وبالانقصاص ؛ ليحترز بالوقوف على ذلك من الخطأ في مطابقة الكلام

لتمام المراد منه" (2) وقد عرف القزويني البيان بقوله " : هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد

بطرق مختلفة في وضوح الدلالة" (3) واخذ البيان عند السكاكي والقزويني طابعاً علمياً،

وأصبح يدل على التشبيه ، والمجاز ، والكناية، بعد أن كان يشمل فنون البلاغة كلها عند

المتقدمين.

فالبيان ملكة يهبها الله لمن يشاء من عباد ه، وهو الإفصاح، وإظهار المقصود، والكشف

عن المعاني المكنونة.

ويشمل علم البيان الموضوعات الآتية : التشبيه، والمجاز بأنواعه ؛ كالمجاز العقلي ،

والمجاز المرسل، والاستعارة، ثم الكناية، والتعريض.

1- المجاز في النص الواصف:

تشكل النصوص المجازية موضوعاً مثيراً في كل اللغات، فقد جعله أرسطو قديماً عنوان

العبقرية والذكاء، كما حظي هذا الموضوع بعناية كبيرة في البلاغة العربية حتى أفرد

بالتأليف ذلك أن الحديث عن المجاز هو حديث عن دلالة اللفظ العربي، وهو ذو تاريخ ممتد

(1) المرجع السابق، 56.

(2) السكاكي: مفتاح العلوم، ص 140.

(3) الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبدیع، ص 215.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

على ما فيه من تنوع وتغير طويل، وعلى ما فيه من طول تنقطع به الأسباب؛ إذ أن معاني الألفاظ غير ثابتة، وإنما تتغير بتغير ما حولها.

وعلى الرغم من كتابات القدماء والمحدثين على السواء التي عالجت كثيرا من قضايا المجاز وتمت المعالجات في بعض الأحيان في صورة عميقة مثل ما هو الحال عند عبد القاهر الجرجاني في البلاغة العربية القديمة، أو ماكس بلاك (Max Plack) عند الغربيين، وكان أغلب مواضيع هذا المجاز بصفة عامة في تناول الباحثين والدارسين قطبا المجاز: الاستعارة والكناية وخاصة بدخول المجاز في حقل اللسانيات في فترة متأخرة نسبيا عن نشأة هذا الحقل.

كما أن له أيضا حضورا متميزا في النصوص الخاصة سواء نصوص الوصف كما هو الحال في هذا البحث، أو النصوص الأدبية الأخرى لأن هذه النصوص تنبع من الذات المبدعة "هذه الذات المبدعة تعيش في صمتها الصارخ ولجة موجها الهادئ نقيض ما في واقعها وعكس ما يحيط بها، فتحاول الانفكاك والانفلات من إسار جحيمها الأرضي أملا بالتحليق في فضاءات أنقى لتجد نفسها في مواجهة مصيرية مع ذاتها ومع الآخرين باستشارة المشاعر"⁽¹⁾

لأن قارئ النص الأدبي بصفة عامة يحاول أن يلتمس منه ما يلامس روحه فيسافر بفكره بعيدا عن ألم الواقع لأنه في حيرة من مصيره المجهول.

و الاستخدام المجازي للمفردات وتفسيرها هو ما قام به ابن الأنباري في شرحه لأشعار المفضلين لاسيما وأن المفردة عند الاستخدام المجازي لها تدل على معنى يختلف عن معناها

(1) عبد القادر فيدوح: دلالات النص الأدبي، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1997، ص70.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

المعجمي وهذا لأن "المجاز تواجد زبقي ومتاهة لذينة يستمتع فيها الإنسان بالضياء لأن الضياء هنا هو الطريق الوحيد للخروج من رتابة الحياة وعمقها إلى أفق متجدد وخصب يشبع ما في الإنسان من رغبة وجودية للاستطلاع والامتلاك وامتلاك الأشياء والمعاني"⁽¹⁾

1- 1- مفهوم المجاز:

أ- اللغة:

إن للمجاز -لغة- معاني متعددة تكشف كلها عن معنى العبور، والانتقال من حال إلى حال وهذا غير بعيد عن المعنى الاصطلاحي للكلمة، باعتبارها تعني تجاوز المعنى الأصلي لكلمة ما أو عبارة ما إلى معنى آخر فرعي يتعلق به، فيكون الأول منهما معنا حقيقيا، في حين يكون الثاني معنا مجازيا، مع وجود رابط خفي يمثل الصلة التي بينهما.

ومما ورد في لسان العرب لابن منظور في مادة (جوز) مايلي "جزت الطريق وجاز الموضع

جوازا وجؤوزا، وجوازا ومجازا، وجاز به وجاوزه جوازا وأجازه وأجاز غيره .

- والمجاز والمجازة الموضع والاجتياز السلوك والمجتاز الذي يحب النجاء .

- والجواز صك المسافر، وجوائز الأمثال والأشعار.

- والجواز ما جاز من بلد إلى بلد .

- وأجاز له البيع أمضاه .

(1) بلقاسم مالكية : فتنة اللغة ، دط، دار هومة ، الجزائر، 2003 ص 13.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

- والوجيز: الولي أو الوصي أو المقيم بأمر اليتيم.

- والجيزة من الماء: مقدار ما يجوز به المسافر من منهل إلى منهل.

- تجوز بكلامه أي تكلم بالمجاز⁽¹⁾.

أورد ابن منظور عدة استعمالات لكلمة "المجاز" في اللغة العربية وتلتقي بعض استعمالات هذه المادة في العبور من مكان إلى مكان، وهذه الاستعمالات المادية تؤدي إلى نقل الدلالة الكامنة خلف أسوارها لتطلق على من "يتجوز في كلامه" فكأنه عبر واجتاز من موضع إلى موضع، ولا عجب فموضع الاجتياز هنا هو العبور من "حقيقة الكلام" إلى "مجاز الكلام"

فقد ذكر ابن منظور المجاز مقترنا بالحقيقة معددا المعاني التي يؤديها، وبسببها يعدل عن الحقيقة إليه، وذلك في قوله: "والحقيقة في لغة ما أقر في الاستعمال على أصل ما وضعه، والمجاز ما كان بضد ذلك، وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة؛ وهي الاتساع والتوكيد والتشبيه، فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة"⁽²⁾

كما ورد في معجم مختار الصحاح أيضا ما يلي:

- جوز (جاز) الموضع: سلكه وسار فيه.

- تجاوز الله عنه: أي عفا وجوز له ما وضع تجويزا.

- جاز له: أي سوغ له ذلك.

(1) ابن منظور: لسان العرب، ج5، مادة جوز، ص326.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

- تجوز في صلته أي خفف وفي كلامه أي تكلم بالمجاز.

- جعل له الأمر مجازاً إلى حاجته أي طريقاً ومسلكاً.

- ويقال اللهم تجوز علياً وتجاوز عني⁽¹⁾

كانت الدراسة اللغوية للنصوص المجازية أسبق من الدراسة الاصطلاحية، بل إن أوليات الدراسة الاصطلاحية نشأت في أكناف الدراسات اللغوية على هيئة شذرات مبعثرة هنا وهناك، فقد نشأ علم اللغة قبل نشأة علم البلاغة، وقد استطاع هذا العلم أن يقدم ثقافة لغوية للعرب الذين بعدوا عن موطن لغتهم، واستطاع غيرهم أن يحصلوا ما يريدون منها من علماء اللغة فقد اهتم اللغويون بالمجاز وأدركوا أهميته وخطورته في الفهم والتأويل.

ب- مفهوم المجاز اصطلاحاً:

أما اصطلاحاً فإن المجاز حسب ما يذكره البلاغيون المحدثون هو "التجوز باللفظ من استعماله فيما وضع له في أصل اللغة إلى غيره لمناسبة بينهما"⁽²⁾

ويفهم من هذا التعريف أن أمر المجاز إنما يتعلق بتعدد الدلالات، وأنه عنصر من عناصر الخطاب يعني بالمفهوم الحديث - خرقاً لقواعد اللغة القياسية، أو العدول عن العرف اللغوي المتفق عليه كمعيار وهذا عكس استعمال اللفظ في ما وضع له في أصل اللغة .

(1) أبو بكر عبد القادر الرازي: مختار الصحاح برتبه محمود خاطر، تح لجنة من علماء العربية، دار الفكر بيروت، لبنان، ص117.

(2) فايز الداية: جماليات الأسلوب والصورة الفنية في الأدب العربي، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط 2، 1990، ص192.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

لقد عد المجاز جزءاً من علم الدلالة على اعتبار أن التعامل مع المجاز داخل حقل اللسانيات يقوده اتجاهان: الاتجاه الأول يرى ضرورة اعتبار المجاز حالة خاصة في الكلام، ولا يمكن تطبيق استراتيجيات البحث اللساني في الجمل الحرفية عليها .

أما المنهج التقليدي في التحليل الدلالي، فإنه يرى الوصول إلى معنى الجملة النهائي يكون من خلال البحث عن معنى كل مفردة معجمية على حدة، ثم البحث عن مجموعة من القواعد تمتزج بواسطتها معاني المفردات المعجمية لتشكّل معنى الجملة وبالمثل فإن في أي خطاب تمتزج معاني الجمل المفردة لتشكّل معنى الخطاب .

وقد نبه ابن رشيق القيرواني على أهمية المجاز في اللغة إذ قال "المجاز في كثير من الأحيان أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعا في القلوب والأسماع، وما عدا الحقائق من جميع الألفاظ ثم لم يكن محالاً محضاً فهو مجازاً لاحتماله وجوه التأويل، فصار التشبيه والاستعارة وغيره من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز، إلا أنهم خلصوا به - أعني المجاز - بابا بعينه أعني أن يسمى الشيء باسم ما قاربه"⁽¹⁾

وقد فسر عبد القاهر الجرجاني المجاز على هذا النحو "كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها ملاحظة بين الثاني والأول"⁽²⁾ والعناية بالمجاز ظهر على نحو مبكر بالقياس إلى ما حظيت به الظواهر الأخرى من الاهتمام وهذا راجع إلى أن كلام الله تعالى حفل بالكثير من صور المجاز وقد رافق جهود التفسير وارتبط بها أوثق ارتباط.

(1) ابن رشيق القيرواني: العمدة، ج1، ص266.

(2) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص281.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

أما الاتجاه الثاني فهو يرى عكس ما رآه الاتجاه الأول حيث إن مشكلات الجملة الحرفية في هذا الاتجاه هي بنفس الصعوبة تقريبا للمشكلات التي تحدثها الجملة المجازية ذلك "لأن من أوصاف النص الفني ومميزاته أنه لا ينتهي بانتهائه ولا ينغلق على نفسه ولا يتحدد بحدوده بل إنه يتشعب خارج كلماته وألفاظه وصوه بأنه يستدعي غيره من النصوص التي دارت حول نفس الموضوعات فالأدب سلسلة متواصلة من النصوص لها علاقة وثيقة بعضها ببعض والأدباء والنقاد شغفون بإيراد الأشباه والأنظار من الأقوال"⁽¹⁾

وقد قدم جاكبسون للخطاب "خطين دلاليين مختلفين: هناك موضوعا يسوق موضوعا آخر إما بالتماثل أو بالتجاور، ومن الأفضل على ما يبدو أن نتكلم عن عملية استعارية في الحالة الأولى وعن عملية مجازية في الحالة الثانية وذلك لأن الأولى تجد تعبيرها الأشد كثافة في الاستعارة والثانية تجده في المجاز المرسل"⁽²⁾

والمعاني التي تتكون تدريجيا بهذه الطريقة هي معان حرفية للجملة أو الخطاب، فالعلاقات التي تربط بين البشر تقوم أساسا على التواصل ولهذا "تقدم اللغة ووسائل التواصل الإنساني الأخرى في عملياتها المتنوعة بعد إجراء التغييرات الضرورية تناظرات كثيرة مع نقل المعلومات بين أنواع المخلوقات الحية الأخرى"⁽³⁾ أو قد يكون بالتباعد والتفاعل أو التصارع.

(1) سيزا قاسم : القارئ والنص العلامة والدلالة ،ط، الشركة الدولية للطباعة ،مصر ،2002،ص12.

(2) فاطمة الطبال بركة :النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون دراسة ونصوص ،ص170.

(3) رومان جاكبسون: الاتجاهات الأساسية في علم اللغة ، ترجمة علي حاكم وحسن ناظم ،ط1، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،المغرب ،2002،ص89.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

وكما قلنا في أكثر من موضع فإن اللغة هي وسيلة هذا التواصل، ورغم ما يبدو من تلقائية وانطلاق هذا التفاعل فالأمر ليس باليسير ولا السهل. وبما أن الفهم ليس من المعطيات المباشرة لهذا التواصل، فكثيرا ما نخطئ الفهم بل قد نتساءل عن مدى قدرة البشر على فهم بعضهم البعض بالكلمات لا تعني نفس الشيء لكل الناس .

وقد اعتبر رومان جاكسون باب المجاز "باب الكلمات التي تستعمل لمعنى يختلف عما وضعت له في الحقيقة لوجود علاقة أو قرينة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي"⁽¹⁾

وكان علم البيان في الغرب يقوم على عدة محاور هي الاستعارة والمجاز المرسل ومجاز الكلية والسخرية، أم جاكسون فقد اعتبر المجاز الكلي نوعا من أنواع المجاز المرسل، حاصرا بذلك محاور اللغة والدراسة البلاغية في ثنائية الاستعارة والمجاز المرسل فقط وهذان المفهومان أصبحا عنده نظاميين أساسيين ليس فقط في الأسلوب الأدبي البلاغي بل وفي العملية اللغوية في حد ذاتها وهذا هو الجديد الذي أدخله جاكسون في التفكير اللساني حول الصور البيانية والبلاغية وهو بذلك قد فجر الإطار الضيق الذي كان الأدباء والبلاغيون يحصرونها ضمنه.

ولأن المجاز المرسل قريب من الأذهان وسهل الفهم ويتيح للمرسل أن تعبر عما في داخلها وتكشف عن معناها لذلك نجده يسيطر في النثر، ولأنه لا يسبب تناقضا بين نواته الدلالية والسياق الدلالي للعبارة التي يأتي فيها، ويظهر أيضا في الكلام العادي والصور التقريرية القريبة التناول فهو وسيلة أسلوبية نعبر فيها عن المسبب بالسبب وعن المحتوى عليه وعن الكل بواسطة الجزء والكناية نفس الشيء.

(1) فاطمة الطبال: النظرية الألسنية عند رومان جاكسون، ص 51.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

في حين تكون الاستعارة مهيمنة على الشعر لأنها برهان ودليل بين نبوغ وعبقرية الشاعر كما قال أرسطو "إن أعظم شيء أن تكون سيد الاستعارات، الاستعارة علامة العبقرية إنها لا يمكن أن تلقن إنها لا تمنح للآخرين"⁽¹⁾ لذلك اعتبرت كل من الرومنطقية والرمزية مذهبان استعاريان في حين أن المذهب الواقعي باتجاهه إلى التفاصيل وإسهابه في وصف المواقف المصاحبة لذلك اعتبر مذهب مجازي .

فأساس البلاغة بصفة عامة الاستعارة والمجاز المرسل والكناية و يمكننا إدراك ذلك عند كافة الناس .

وقد كان عبد القاهر الجرجاني حريصا على إثبات التفاوت بين صور المجاز، سواء على المستوى الدلالي أو الفني الجمالي يقول "اعلم أن من شأن هذه الأجناس -ويقصد الاستعارة والكناية والتمثيل- أن تجري فيها الفضيلة، وأن تتفاوت التفاوت الشديد"⁽²⁾

والمجاز بوصفه ظاهرة حتمية ترافق عملية التطور اللغوي، فيما يتعلق بالحقيقة أو المجاز، فاللغة المجازية تتطور بصورة مستمرة وبطريقة معقدة ، والمعاني الحقيقية (الوضعية) قد تكون في وقتٍ ما مجازية ثم تفقد مجازيتها وتوجه إلى الحقيقة والعكس حاصل .

(1) مصطفى ناصف: الصورة الأدبية، دار الأندلس، بيروت، لبنان، 1981، ص14.

(2) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص58.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

"والحقيقة متى قلّ استعمالها صارت مجازاً عرفاً، والمجاز متى كثر استعماله صار حقيقة عرفاً"⁽¹⁾، وقد تعامل الغربيون مع (المجاز) تعاملًا خاصاً، وذلك بسبب الخصائص التي تتمتع بها لغاتهم، فالعائلة اللغوية تؤثر في طبيعة النظر إلى المفاهيم الاصطلاحية المتعلقة بالنقد الإبداعي، وإن "حياة المصطلح الأدبي مرهونة برصيده الموجود في الحياة، ومن هنا فإن الترجمة ترتبط بالبنية الثقافية بأكملها"⁽²⁾، والمجاز عند الغربيين "صورة من الكلام يوصف بها شيء ما مقابل شيء آخر ويقع ضمنه التشبيه"⁽³⁾

وبالتالي فإن الكلام لا يعدو أن يكون واحداً من اثنين، إما حقيقة أو غير حقيقة فاللفظ إن استعمل في معناه الموضوع له فحقيقة، وإن استعمل في غيره لعلاقة مع قرينة إما مانعة من إيراد المعنى الأصلي فمجاز وإما غير مانعة فكناية وقد أولت البلاغة العربية المجاز عناية فائقة فاهتمت بالاستعارة في دراستها للنصوص وذلك لكثرة ورودها في الأدب العربي .

(1) أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، (الجزء الأول)، 1403 هـ - 1983م.

(2) حسن ناظم : مفاهيم الشعرية - مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم، ، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1994م.

(3) أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدى: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري، ، تح: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط2، 1392 هـ - 1972م.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

1- 2- أقسام المجاز:

1- 2- 1- المجاز اللغوي:

1- 2- 1- 1- المجاز المرسل:

عرف البلاغيون القدماء المجاز المرسل بأنه استعمال اللفظ في سياق يؤدي دلالة ليست مرتبطة به في أصل بنائه، وإنما هي دلالة يتطلبها السياق الذي يحيط باللفظ، وأما العلاقة بين هذين الطرفين الدلالة الأساسية للفظ والدلالة السياقية، فقد قسموها إلى مجموعة من العلاقات.

"وبتتبع مفهوم المجاز المرسل في كتب البلاغة القديمة، فإننا نلاحظ أن كثيراً من البلاغيين لم يسموا المجاز المرسل بهذا الاسم، وإنما تم الخلط بينه وبين أنواع المجاز الأخرى تارة، وبين الاستعارة والتشبيه تارة أخرى، فلم تظهر في كتبهم تعريفات واضحة لمفهوم المجاز المرسل، ولم يذكر باسمه في أغلب تلك الكتب، وقد سمي هذا الضرب من المجاز مرسلًا فينظر البلاغيين، لإرساله عن التقييد بعلاقة واحدة هي المشابهة"⁽¹⁾ وقد عرف البلاغيون القدماء المجاز بشكل عام، وأرادوا بتعريفاتهم تلك استعمال اللفظ على غير حقيقته، فجاء هذا المفهوم عامًا يشمل المجاز وضروريًا من البيان كالاستعارة والتشبيه، فالجرجاني مثلاً يقول: "المجاز أن يراد بالكلمة غير ما وضعت له في الأصل أو يزداد فيها، أو يوهم بشيء ليس من شأنها"⁽²⁾ وقد جاء مفهوم المجاز أكثر عمومية عند بعض البلاغيين كما هو الحال في

(1) البصير حسن كامل: بناء الصورة الفنية في الأدب العربي. ط، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ص 314

(2) الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، ص 363.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

تعريف ابن الأثير حيث يقول "المجاز ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة"⁽¹⁾ وهذا يشمل كلَّ كلامٍ فيه انزياح عما وضع له في أصل اللغة، بمعنى أنه يشمل اللغة الفنية القائمة على هذا الانزياح، وهذا التعريف لمفهوم المجاز أقرب إلى المعنى اللغوي، حيث يقول ابن الأثير "إن المجاز مأخوذ من جاز من هذا الموضوع إلى هذا الموضوع، إذا تخطاه إليه"⁽²⁾، ولعلَّ من أوضح تعريفات القدماء للمجاز المرسل، تعريف القزويني له بقوله "هو ما كانت العلاقة بينما استعمل فيه وما وضع له ملائمة غير التشبيه، كاليد إذا استعملت في النعمة لأن من شأنها أن تصدر عن الجارحة ومنها تصلُّ إلى المقصود بها"⁽³⁾، لكنَّه قسم المجاز إلى قسمين مرسل واستعارة، حيث يقول "إن العلاقة المصححة إن كانت تشبيه معناه بما هو موضوع له فهو استعارة وإلا فهو مرسل"⁽⁴⁾

كما ينبغي الإشارة إلى أن أول من وضع مصطلح المجاز المرسل هو (الجرجاني)، كما أشار إلى ذلك الدكتور مهدي المخزومي، فقد وجد أن الجرجاني قد وضع في أواخر كتابه "أسرار البلاغة" الذي حققه السيد محمد رشيد رضا فصلاً كاملاً تحت عنوان "هذا كلام في ذكر المجاز وفي بيان معناه وحقيقته وفيه بيان المنقول والمشارك والمجاز المرسل وعلاقته" حيث يشير هذا العنوان بوضوح إلى أن الإمام الجرجاني هو الذي وضع هذا المصطلح وقد

(1) ابن الأثير "ضياء الدين": المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلّق عليه أحمد الحويّ، بدوي طبانة، ط2، دار نهضة، القاهرة، مصر، د.ت، ص84.

(2) المرجع نفسه، ص233.

(3) القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن: الإيضاح في علوم البلاغة، د.ط، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1991، ص233.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

ظهر هذا المصطلح بصورة بارزة عند القزويني في "التلخيص والإيضاح"، وقد وجدت علاقات للمجاز المرسل قبل الجرجاني دون أن يطلق عليها هذا المصطلح، ويمكن أن نستشف هذه العلاقات من خلال تفسيرهم لبعض الآيات القرآنية.

كما تعود الجذور الأولى لمصطلح المجاز المرسل إلى شيخ النحويين (سيبويه ت 180 هـ) عندما تحدث عن بعض صور البيان، ومنها التوسع في الكلام، في كتابه "المجاز بالاتساع في الكلام"، فنجد في باب "استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لا تساعدهم في الكلام والإيجاز والاختصار" مجموعة من الأمثلة التي تدل على علاقات المجاز المختلفة، ونجد مثل هذه الإشارات أيضا مع أبي عبيدة في كتابه "مجاز القرآن" وذلك من خلال تفسيره لبعض الآيات القرآنية، وهو في تأويله لهذه الآيات يتحدث عن المجاز المرسل بعلاقاته المختلفة: الجزئية والمجاورة والمحلية، وإن لم يسمها بأسمائها؛ لأن وضع المصطلحات، وتحديد الفوارق بين هذا النوع، أو ذاك بشيء من الدقة لم يكن من طبيعة هذه المرحلة المتقدمة. ثم يأتي الفراء في كتابه (معاني القرآن) فيعطينا مجموعة من الإشارات السريعة للمجاز المرسل بعلاقاته المختلفة، إلا أنه لم يستعمل مصطلحات، ولم يطلق على هذه العلاقات المجازية أسماءها التي عرفت بها فيما بعد، وإنما كان يكتفي باللمحة الدالة والإشارة العابرة؛ لأن العلوم آنذاك كانت في طور الطفولة، فوضع المصطلحات لم يكن من سمات هذه المرحلة المتقدمة. ويعد الجاحظ (ت 255 هـ) من أوائل الذين تحدثوا عن المجاز بوضوح، وخرج به من دائرة التفسير إلى مجال البلاغة إلا أنه لم يشر إلى المجاز المرسل بصراحة فقد تحدث عن علاقته من علاقات المجاز المرسل، هما اعتبار ما يكون، والمجاورة، وإن لم يذكرهما بأسمائهما

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

الاصطلاحية التي عرفت بها عند المتأخرين، وفي القرن الرابع الهجري كثر الحديث عن المجاز في الآثار البلاغية والنقدية؛ فقد تحدث الأمدى في كتابه "الموازنة" عن علاقتي السببية والمجاورة، وإن لم يطلق عليها هذا الاسم أيضا.

وفي القرن الخامس الهجري عقد ابن رشيق (ت 456 هـ) في كتابه العمدة بابا للمجاز جاء فيه: "إنهم خصوا باسم المجاز بابا بعينه، وهو أن يسمى الشيء باسم ما قاربه، أو كان منه بسبب"⁽¹⁾ فالمقارنة هنا كلمة عامة تدخل فيها علاقة المشابهة، وعلاقة المجاورة والمحلية وغيرها، وأما السببية فهي علاقة قائمة بذاتها، ويمكن أن تندرج فيها علاقة الآلية، وقد رأى أن الاستعارة أفضل من المجاز، وأول أبواب البديع.

وقد أشار الخفاجي إلى المجاز في اللغة وفي آيات من القرآن الكريم، وتحدث بإسهاب عن الاستعارة التي تعدواهم أنواع المجاز، ومع ذلك لم يشير من قريب أو بعيد إلى المجاز المرسل أو علاقاته... وذكر الإمام الجرجاني "أمثلة لعلاقات المجاز المرسل، وهو يفرق بينما طريق نقله التشبيه، وما ليس كذلك من المجاز اللغوي، أي أنه لم يكن بصدد الإحصاء والاستقصاء لهذه العلاقات، وإنما كان يؤسس منها تنجها تتضح به المعالم، وتتمايز به الأنواع؛ لينقح البحث في هذه الأنواع، وفي علاقاتها بالأحكام إلى النصوص وتذوق أسرارها"⁽²⁾

(1) ابن رشيق: العمدة، ج 1، ص 266

(2) أبو العدوس يوسف: المجاز المرسل والكناية والأبعاد المعرفية والجمالية، ط 1، الأهلية للنشر، عمان، 1990، ص 32 .

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

لقد عني عبد القاهر الجرجاني بعلاقات المجاز المرسل من غير أن يسميها باسم خاص إذ أشار إلى وجودها في الاستعمال اللغوي حيث يقول "العرف الجاري بين الناس أن يجعلوا الشيء إذا كان سببا أو كالسبب في وجود الفعل من فاعله كأنه فاعل"⁽¹⁾

ومن أهم علاقات المجاز المرسل التي أوردتها النقاد في هذا المقام (الكلية، الجزئية، المحلية، الآلية، اعتبار ما كان، اعتبار ما يكون، السببية، المسببية، الزمانية، والمكانية...)

وهكذا فقد تباينت دراسة القدماء للمجاز المرسل بين الاكتفاء بإيراد الشواهد والأمثلة الدالة عليه، وبين التفصيل فيه وبيان علاقاته، ويلاحظ من خلال دراسة القدماء للمجاز المرسل تشابه الأمثلة والشواهد التي أشار إليها البلاغيون في كتبهم، كما أنهم كما أسلفت - لم يذكروا المجاز المرسل بالاسم، وإنما جاء مختلطاً بغيره من أنواع البيان في كثير من الأحيان. وعليه فالمجاز المرسل هو "الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب على وجه يصح مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي لعلاقة غير المشابهة كاليد للنعمة"⁽²⁾

من هنا يبدو لنا من استعراض ميسر لآراء الباحثين في مجال المجاز المرسل أن ثمة تشابه بين آرائهم في ذلك، في حين تبدو المفارقة بين آراء البلاغيين واللغويين في موضوع المجاز المرسل - كما ورد معنا - وهذا ما يفسر أن نظرة اللغوي قد تختلف عن نظرة البلاغي في موضوعات المجاز المختلفة. وسمي مرسلًا من الإطلاق وهو واقع في الألفاظ وهي التي تنتقل فيه من معناها اللغوي الحقيقي إلى معنى آخر مجازي وهو المراد.

⁽¹⁾ عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص365.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص407.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

والاهتمام بهذا اللون من ألوان الصنعة الشعرية كان واضحاً في شرح ابن الأنباري لأشعار

المفضليات وهذا ما نجده في شرحه لبيت تأبط شرا الذي يقول فيه :

إِنِّي زَعِيمٌ لئنْ لَمْ تَتْرُكُوا عَذْلِي أَنْ يَسْأَلَ الْحَيُّ عَنِّي أَهْلَ آفَاقٍ⁽¹⁾

"لم يقل فيه أبو عكرمة شيئاً وروى "أن تسألوا بي حيا أهل آفاق" وروى لئن لم تتركوا عذلي أن

تسألني بي حيا يقول إني كضيل بهذا القول لئن لم تتركوا لومي لأفارقنكم حتى تسألوا عني

أهل آفاق فلا يعطيكم أحد خبري"⁽²⁾

- ذكر ابن الأنباري روايات أخرى للبيت .

- بين أن المراد بالحي هو أهل الحي الذين محلهم ومكانهم الحي .

- العلاقة هنا محلية لأنه عبر بلفظ المحل وأراد الموجود فيه أو من حل به وإلا ما فائدة

السؤال لمن لا يرد عليه .

إِذَا نَزَلَ السَّحَابُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غِضَابًا⁽³⁾

"يصف الغيث الذي يكون عن السحاب والسحاب لا يرعى فقال السحاب لما كان النبت عن

السحاب ويقول رعيناه على كرههم لعزنا"⁽⁴⁾

(1) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات ، ص 18 .

(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(3) المصدر نفسه ، ص 703 .

(4) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

أشار ابن الأنباري إلى أن السحاب لا يرعى بل يرعى النبات الذي ينمو بفضل من الله عز وجل بنزول المطر فالمجاز هنا مجاز مرسل علاقته السببية إذ ذكر السبب وهو السحاب وأراد النبات كما نجد أن ابن الأنباري قد بين أن المراد من السحاب هو الغيث أو المطر، والمجاز المرسل هنا علاقته اعتبار ما كان فالسحاب لا ينزل إلا عندما يتحول إلى قطرات مطر.

وابن الأنباري تمكن من رصد ذلك بفضل خياله الخصب فهو "الذي يوحى إليه بترجمة المظاهر الطبيعية في صورة أشياء منظومة وترانيم حية وفعل الخيال إنما يظهر حقيقة في عملية الاختيار بين الأشياء التي يتجاوب معها والأحداث التي ينفعل بها والمظاهر التي يتأثر بها"⁽¹⁾

قصدت لهم بمخزية إذا ما أصاح القوم واستمع النقيير⁽²⁾

"قال الضبي المخزية الخلة التي تخزيهم ويروى قصدت لهم بموئبة ومعناه المخزية قال الراجز:

إذا أتاه خاطباً في أربعة أو أبه ورد من جاء معه

أي أخزاه ورده ويروى قصدت لهم بمندية أي بما عرقوا منه من الكلام والنقيير ههنا من النواقر وهي الدواهي ويروى النفير وهم القوم إذا نفرأ: رواها يعقوب بالفاء وقال أصاخوا استمعوا واستمع النفير أي نفرت عليهم أي غلبت"⁽³⁾

ابن الأنباري في شرحه لهذا البيت قام بما يلي:

(1) عبد الفتاح الديري: الخيال الحركي في الأدب النقدي، ط1، الهيئة المصرية للكتاب، 1990، ص19.

(2) ابن الأنباري: شرح ديوان المفضليات، ص834.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

- روى عن الضبي شرح كلمة "المخزية".
 - بين أن المراد من المخزية هي الخلة التي تخزيهم.
 - استشهد ببيت شعري "للراجز".
 - ذكر رواية أخرى للبيت والمراد منها .
 - شرح كلمة النقيير.
 - روى عن يعقوب.
 - شرح كلمة "أصاخوا" و"استمع النفير".
 - العلاقة هنا اعتبار ما سيكون .
- وهذا دليل على مقدار المساحة اللغوية الهائلة التي تعامل بها الشارح في شرحه، كذلك المقدار الكبير من حالات التجديد والتوليد التي يقوم بها من خلال المجاز المرسل باعتباره انعكاسا واضحا وكبيرا للتطور اللغوي، وتمثيلا للمقدرة اللغوية في الظهور على مستويين "الأول تلبية الحاجة الضرورية للإنسان والثاني أن تتشكل في معطى جمالي خاص له أشكاله التعبيرية المعينة ولكن هذه الإضافة الجمالية حينما تستكين في الأداء اللغوي فإنها تتبدل من الثاني إلى الأول أي من الجمالي إلى الشكل الحر في"⁽¹⁾

(1) رجاء عيد : فلسفة البلاغة بين التنقية والتطور، دط، منشأة المعارف، الإسكندرية، دت، ص110.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

هَرَقْنَ بِسَاحُوقٍ جَفَانًا كَثِيرَةً وَأَدَّيْنِ أُخْرَى مِنْ حَقِيْنٍ وَحَارِزٍ⁽¹⁾

"قوله هرقتن يعني الخيل أي قتلت أصحاب الجفان ومن كان يقري فيها ويحتلب فكأنها لما قتلت أصحابها هراقتها... قال أحمد هرقتن يعني الخيل هراقت الجفان التي كان يقري فيها اللحم والمرق: واللبن لا يقري في الجفان ولكن الجفان للحم والمرق وللبن العساس والأرصاد... جفان من قتلنا بقتلهم أصحابها وأخذهم إبلهم وغادرن أبقين عند أصحابهن ما غنمن ممن قتلنا فكأنهن ملأن جفان أصحابهن وكفأن جفان من قتلن هذا قول أحمد ويقال أرقت الإناء فهو مرقق وهرقته فهو مهراق ويا فلان هرق وأرق وأهرقته فهو مهراق وأنا مهريق ويا فلان أهرق"⁽²⁾

ومنهجية ابن الأنباري في شرح هذا البيت كانت كالتالي:

- شرح كلمة "هرقتن".

- بين أن الجفان هنا يعني بها أصحاب الخيل، وغالبا ما نتكلم عن شيء من جسم الإنسان بينما نعني الجسم كله أو بكامله أو الحديث عن خلقه بصفة عامة ونحن نورد شيء منه أو جزء فقط من باب ذكر الجزء للدلالة عن الكل، وهذه إحدى علاقات المجاز المرسل وهي علاقة الجزئية عندما يكون التعبير بالجزء ونريد الكل، فابن الأنباري هنا أشار إلى أن الشاعر كان يريد بالجفان الناس وليس الجفن نفسه.

(1) ابن الأنباري: شرح ديوان المفضليات، ص 39.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

فاسْتَثَبَّتْ الرُّوعُ فِي إِنْسَانٍ صَادِقَةٍ لَمْ تَجْرُ مِنْ رَمَدٍ فِيهَا الْمَلَامِيلُ⁽¹⁾

"أي لما نظر إلى الكلاب قد هاجت به ثبت الروع في عينه لما شاهده وعينه والصدق الصلب وقوله صادقة أي صلبة صحيحة النظر لا تكذبه والملاميل جمع ملمول، يريد أنه لم يكن بعينه رمد يجري له فيها ملمول أي لم يكن ثم رمد غيره أي استثبت الثور في إنسان عينه يريد أيقن حين رأى الكلاب أنها تطلبه."⁽²⁾

أشار الشارح إلى أن الشاعر جاء بلفظة إنسان غير أنه أراد العين فقط، فقد عبر عن الجزء بالكل وهذه أيضا هي إحدى علاقات المجاز المرسل وهي العلاقة الكلية .

فالملكة البيانية التي تتراءى في لغة المجاز المرسل، ملكة شديدة الميل إلى التركيز، قادرة على الملح بواسطة القرائن بارعة أحسن البراعة في الاختصار، وحذف زوائد الكلام والاكتفاء بأصوله المجملة، التي تطوي وراءها كثيراً من التفصيل والتفريع، وهذه فضيلة بلاغية للمجاز المرسل، إذ الإيجاز مقصد من مقاصد البلاغيين.

لقد شكّل المجاز المرسل بعلاقاته المختلفة نماذج أساسية لتغير المعاني، وابتكار معانٍ جديدة تلفت انتباه المتلقي، وتدفعه إلى الاستجابة لبلاغية الصورة والتلذُّذ بالانتقال بشكل عفوي، بين المستوى المباشر للغة، والمستوى الفني المعتمد على خرق قواعد اللغة المعيارية، وقواعد التصاحب المعجمي، حيث الأثر يبدو جلياً لاختلاف التركيب الجديد عما جرت عليه العادة في التعبير البسيط والشائع.

(1) المصدر السابق، ص 279.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

1- 2- 1- 2- الاستعارة عند ابن الأنباري:

إن أول ما نتوقف عنده من الأوجه البيانية هي الاستعارة التي تعد الوجه البلاغي الأهم لعلاقتها الوطيدة بالصور الشعرية، وسنعرض قبل كل شيء حدها اللغوي تقول العرب "أرى الدهر يستعيرني شبابي أي يأخذه مني"⁽¹⁾ فالاستعارة هنا جاءت بمعنى الأخذ قال الأزهري "وأما العارية والإعارة والاستعارة، فإن قول العرب فيها: هم يعاورون العواري ويتعورونها بالواو، كأنهم أرادوا تفرقة ما بين ما يتردد من ذات نفسه ومن بين ما يردد قال والعارية منسوبة إلى العارة وهو اسم من الإعارة، تقول أعرته الشيء أعيره إعارة، ويقال: استعرت منه عارية فأعارينها... واستعاره ثوبا وأعاره إياه ومنه قولهم كبير مستعار.

كما قال بشر بن أبي حازم كأن حفيف منخر إذا ما كتمن الربو كبير مستعار قيل في قوله (مستعار) قولان أحدهما: أنه استعير فأسرع العمل به مبادرة لارتجاع صاحب إياه والثاني أن تجعله من التعاور يقال: استعمرنا الشيء واعتورناه وتعاورناه بمعنى واحد وقيل: مستعار بمعنى متعاور: أي متداول"⁽²⁾

من خلال هذا التعريف اللغوي تبين لنا علاقة المعير والمستعير وهما طرفا الاستعارة ببعضهما البعض.

(1) الزمخشري: أساس البلاغة، تح عبد الرحيم محمود، دار المعارف، بيروت، لبنان 1982، ص 1439.

(2) ابن منظور: لسان العرب، ج 2، مادة عرا، ص 927.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

فالاستعارة صورة من صور التوسع في الكلام وهي من أوصاف الفصاحة والبلاغة العامة

التي ترجع إلى المعنى، فهي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المستعمل فيه مع قرينة مانعة من إيراد المعنى الأصلي.

كما أن الاستعارة عند النقاد القدماء ارتكزت على علاقة المشابهة بين الطرفين واعتبرت منذ أرسطو الذي عدها "شيء خاص واستثنائي في الاستعمال اللغوي أي أنها انحراف عن النمط الاعتيادي للاستعمال"⁽¹⁾ ذات طبيعة استبدالية يتم بمقتضاها الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى المجازي بواسطة آلية المشابهة لغاية أسلوبية جمالية فتصير بذلك الاستعارة "عنصرًا إضافيًا يحيل على معنى مقرر من قبل ويشير إليه بطريقة الإمتاع الذي يرتبط بالإخفاء أو المبالغة"⁽²⁾

وقد تبني هذه النظرية أغلب البلاغيين الغربيين منهم والعرب، إذ سيطرت في موروثنا البلاغي على مجمل الدراسات التي تناولت الاستعارة بدءًا بالجاحظ الذي اعتبرها "تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"⁽³⁾ إلى غيره من النقاد "كابن المعتز" و"الأمدي ولا يمكن أن نغفل في هذا المقام عن رأي عبد القاهر الجرجاني في الاستعارة الذي يقول "وإطلاقهم في الاستعارة أنها نقل للعبارة عما وضعت له من ذلك فلا يصح الأخذ به وذلك أنك إذا كنت لا تطلق اسم "الأسد" على "الرجل" إلا من بعد أن تدخله في جنس الأسود من الجهة التي بينا، لم تكن نقلت الاسم عما وضع له بالحقيقة لأنك إنما تكون ناقلًا إذا أنت أخرجت معناه

(1) مصطفى ناصف: اللغة بين البلاغة والأسلوبية، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط1، 1989 ص36.

(2) المرجع نفسه، ص86.

(3) الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص152.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

الأصلي من أن يكون مقصودك ونفصت به يدك، فأما أن تكون ناقلاً له عن معناه مع إرادة معناه فمحال / متناقض"⁽¹⁾

فالجرجاني هنا قد استبدل مفهوم النقل بمفهوم الادعاء فكان له السبق في إدراك العديد من مسائلها والفضل في تجلية الكثير من مستغلقاتها، وقد اندرج في هذا المنظور النقلي كثير من البلاغيين الغربيين والعرب القدامى.

وبالرغم من تطور الدراسات البلاغية واللغوية، إلا أن مفهوم الاستعارة بقي يدور في فلك استخدام اللفظ في غير ما وضع له لوجود علاقة هي المشابهة، مع توفر قرينة حالية أو لفظية تمنع من إيراد المعنى الأصلي، مع أن هذا المفهوم أخذ بالتوسع والانتقال إلى طور بيان الأثر الإبلاغي للتعبير الاستعاري.

وقد ذهبت الدراسات المتعلقة بالاستعارة - لاسيما الدراسات الحديثة - "إلى أن المسوغ الرئيس للمقاربة هو المشابهة، وتحقق الاستعارة عندما ننظر إلى موضوع من خلال موضوع آخر يقاسمه بعض السمات ويشبهه من بعض الجهات، وبناء على هذه السمات قد تكون الاستعارة مبتكرة، حيث يكون الشبه خافتاً غير جلي أو قد يكون الشبه قريباً مألوفاً فتكون الاستعارة مستهلكة عادية"⁽²⁾، ويمكن أن تكون الاستعارة متجددة وتحمل إحياءات ودلالات جديدة.

(1) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 435.

(2) سليم عبد الإله: بنيات المشابهة في اللغة العربية، دار توبال للنشر، ط 1، المغرب، 2001، ص 87.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

" إذا تفاعلت هذه الإيحاءات والدلالات مع السياق اللغوي الجديد الذي ستوضع فيه اللفظة المفردة لتحمل هذه الدلالات"⁽¹⁾ حيث إن الصورة الاستعارية في إطار الشعر، تعد تشكيلاً لغوياً خاصاً، فيه خرق لقانون اللغة، وهنا تكمن المهمة البلاغية لها، حيث تكتسب اللفظة شحنات بلاغية إضافية تتجاوز المعنى المعجمي الذي تعبر عنه خارج الإطار الضمني الذي تستخدم فيه، فالاستعارة وفق هذا التصور تشكيل لغوي خاص من شأنه أن ينقل اللفظة المفردة من بيئة لغوية معروفة إلى بيئة لغوية أخرى غير مألوفة، بحيث تتدخل موهبة الشاعر في أن تجعلنا أمام مفاجأة جديدة مذهشة تكونت من خلال السياق الجديد"⁽²⁾

لقد تنبّهت الدراسات الحديثة للاستعارة إلى بلاغة التعبير الاستعاري، وولفتت إلى قوة تأثير الاستعارة وقدرتها على إيصال المعنى بطريقة أعمق وأبلغ أثراً في نفس المتلقي؛ حيث تعد الاستعارة مثالا واضحا لتعدد المعاني"⁽³⁾، وقد ميزت الدراسات الحديثة بين نوعين من الاستعارة "فهناك الاستعارة الشعرية، وهي الاستعارة التي تعرف درجة كبيرة من الإبداعية، وتحتاج إلى تمرن كبير، وإلى استثمار ملكة المشابهة، للدخول إلى عوالم جديدة وبناء علاقات غير مسبوقة بين الموضوعات، وهناك استعارات جذرية، ويقصد بها الاستعارات العادية التي تظهر في لغة الناس بعيداً عن أي قصد إبداعي في عملية الإيصال"⁽⁴⁾، وتقل في هذا النوع من الاستعارة الطاقة البلاغية للغة، وتكون سطحية ومباشرة في إيصال المعنى إلى المتلقي. هذا وقد قسم

(1) الصايغ وجدان: الصور الاستعارية في الشعر العربي الحديث، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003 . ص87 .

(2) المرجع نفسه، ص30 .

(3) أبو العدوس يوسف: الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1997، ص222 .

(4) انظر . سليم عبد الإله: بينات المشابهة في اللغة العربية، ص64 .

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

بعض البلاغيين الحدائين الاستعارة إلى عادية وانفعالية،" فالاستعارة العادية هي التي ينتقل فيها اللفظ من المعنى المؤلف إلى آخر جديد، أما النوع الثاني فهو الاستعارة الانفعالية، والتي يكون فيها أساسا لتحويل أو الانتقال هو نوع من التشابه بين المشاعر التي يثيرها الموقف العادي الذي كانت تستعمل الكلمة له"⁽¹⁾

ويرى جان جاك لوسركل (J.J. Le Serecle) أن اللغة بطبيعتها ومن مبدئها استعارية، وما القواعد والأعراف إلا محاولات متأخرة للحد من وفرة التضاد"⁽²⁾ وهي في نظره أساس الإبداع فهي " ليست مجرد صورة بلاغية بقدر ما هي العملية الأساسية للإبداع في اللغة"⁽³⁾ وتكون المبالغة في الاستعارة برأي لوسركل كامنة في مدى استغلال موارد اللغة.

ولكن المحدثين وسعوا إطار هذه العلاقة وأضافوا إليها علاقات جديدة فقد تنوعت دلالتها – عندهم – فمثلا عند رومان جاكبسون تقوم على الانتقاء والمثابرة إنها تصوير الأشياء لا بما يرتبط بها مكانيا أو زمانيا بل بما يرمز إليه بعلاقة غالبا ما تكون تشبيهية أو ثقافية.

كما رفض ريتشاردز (Richards) أيضا النظرية التقليدية تلك التي تحصرها في استبدال بسيط للكلمات " في أنها في الأساس استعارات وعلاقات بين الأفكار إنها عملية تبادل بين نصوص الفكر الاستعاري وهو بواسطة المقارنة ومنها تنبثق الاستعارات في اللغة ولتطوير

(1) الصاوي أحمد : فن الاستعارة، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، د.ت، ص344

(2) لوسركل جان جاك: عنف اللغة، ترجمة محمد بدوي، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، 2005، ص314

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها..

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

نظرية الاستعارة لا بد أن نتذكر هذا، ونعير اهتماما أكيدا إلى المهارة الفكرية التي نمتلكها دون أن ننتبه إليها باستمرار⁽¹⁾.

جعل ريتشاردز من الاستعارة نمطا لغويا يتكون من وجود مشترك لفكرتين حيث لا تقصي أي واحدة منهما الأخرى بل تعمل كل واحدة عملها في الأخرى أي تتفاعلان معا لتشكيل معنى معين تشكيلا سياقيا ودلاليا ويبدأ التفاعل بملاحظة السمات المشتركة بين الفكرتين ثم يتم الانتقال إلى وحدة تشملهما معا ناتجة عن التفاعل لا الاستعمال، فهي ليست عملية إضافية بسيطة للطرفين إلى بعضهما .

أما التمييز بين الاستعارة الجيدة والقبيحة فأمر يرجع إلى الذوق المكتسب بالمران والنظر في أقوال الشعراء المجيدين أكثر مما يرجع إلى القواعد التي وضعها لذلك علماء البيان، وفي هذا يقول أبو الحسن علي بن عبد العزيز الشهير بالقاضي الجرجاني في كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه "أن الاستعارة أحد أعمدة الكلام وعليها المعمول في التوسع والتصريف وبها يتوصل إلى تزيين اللفظ وتحسين النظم والنثر"⁽²⁾.

والاهتمام بهذا اللون من ألوان الصنعة الشعرية كان واضحا في شرح ابن الأنباري لأشعار المفضليات فكثيرا ما نجده يشير للاستعارة ويذكرها باسمها مثلما فعل في شرحه لبیت سويد بن أبي كاهل الذي يقول فيه :

(1) ريتشاردز: فلسفة البلاغة، ص96.

(2) عبد العزيز القاضي الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد البجاوي، دار القلم، بيروت، لبنان، ط1، ص319-320.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

يَسْحَبُ اللَّيْلَ نُجُومًا ظُلْعًا فَتَوَالِيهَا بَطِيئَاتُ التَّبَعِ⁽¹⁾

"ظلعا من الظلوع ويرى طلعا جمع طالع والظلوع في الابل بمنزلة الغمزيقال ظلع يطلع ظلعا و ظلوعا ويعير ظالع:ولا يكون الظلوع في الحافر إلا استعارة: كقول الكحلبة:

فَأَدْرَكَ إِبْقَاءَ الْعَرَادَةِ ظَلْعَهَا وَقَدْ جَعَلْتَنِي مِنْ حَزِيمَةٍ إصْبَعًا

حزيمة رجل من بني تغلب وقد كان أغار عليهم ثم انهزم فطلبه الكحلبة على هذه الفرس هي العرادة وهي فرسه فيقول: فاتني حزيمة وما بيني وبينه إلا قدر إصبع وقال في أول الأبيات

إِنْ تَنْجُ مِنْهَا ياحزيمَ بنَ طَارِقِ فَقَدْ تَرَكْتُ مَا خَلَفَ ظَهْرَكَ بَلْقَعًا

والتوالي الأواخر ويقال بقيت لي حوائج فأنا اتتلاها أي أتتبعها وأقضيها وقال غيره ظلعا مثل أي كأنها من شدة إبطائها إبل بها ظلع فليست تكاد تغرب:وغنا يصف طول الليل وتواليها ما خيرها"⁽²⁾

ذكر ابن الأنباري شرح كلمة الظلوع وأشار إلى أن الظلوع لا يكون في الحافر إلا استعارة واستشهد على ذلك بقول الكحلبة، وشرح بعدها كلمة "التوالي" ثم عاد مجددا إلى كلمة "ظلعا" الذي اعتبرها بعضهم مثلا.و لكن مهما كان تأكيد القدماء على أهمية الوضوح والقرب في علاقة المشبه بالمشبه به، لا يعني ذلك عدم الإتيان باستعارات جديدة ومبتكرة ، فالجرجاني مثلاً حين تحدث عن الاستعارة القريبة لم يكن إدراكه مبنيًا على كثرة

(1) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات ،ص385.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

استعمال الكلمة الذي يخفف من انطباع الدهشة والغرابة عند سماعها، وإنما كان مبنياً على اتحاد الجنس بين المستعار و المستعار له، فالتقارب بينهما قائم من الأصل وليس ناجماً عن كثرة الاستعمال⁽¹⁾

إن البناء الاستعاري الذي يهتم بعملية الخلق الجديد، يؤدي إلى استمرار شباب اللغة ونضارتها، فهو الذي يجعل الخلق القديم ميتاً إذا تجمدت الاستعارات في إطار محدد ولم تكتسب بخلق جديد حياة جديدة.

ونلاحظ هنا مقدرة ابن الأنباري على تمييز الاستعارات وهذا إن دل على شيء إنما يدل على خبرة عميقة، وإطلاع واسع، حتى صارت المادة اللغوية بين أنامله وعقله مرنة طيعة، يستخرج منها كل كنوزها .

زُرْقًا أَسْنَتْهَا حُمْرًا مُتَّقِفَةً أَطْرَافُهُنَّ مَقِيلٌ لِلْيَعَاسِيْبِ⁽²⁾

"لم يروي هذا البيت الرستمي عن يعقوب ورواه أبو بكرمة وعرفه أحمد . قال أبو بكرمة: جعل أسنتها زرقاً لشدة صفائها وإذا اشتد الصفاء خالطته شكلة واليعاسيب الرؤساء يريد أنهم يأسرون ويقتلون الرؤساء ويرفعون رؤوسهم على أسنتهم ويقال إن لليعاسيب جمع يعسوب وهو هنا الطائر المعروف يقع على الأسنة لأنه لا يجد أرفع منها قال أحمد بن عبيد قوله مقيل

(1) السيد شفيح : التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية دار العلوم، القاهرة، ط2، 1982، ص90.

(2) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات: ص239.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

لليعاسب أي لا يقبل بها إلا الرؤساء: يقال هو يعسوب الجيش أي رئيسهم ويعسوب الدين ويعسوب النحل"⁽¹⁾

الاستعارة التصريحية واضحة في شرح ابن الأنباري حيث جعل رفع رؤوس الرؤساء على أطراف الأسنة من باب التكريم لهم، وهو بصد ذلك فهو تهكم وسخرية وتشهير بهم ثم جعله من باب المقييل لأن الرؤساء يعتنى بهم وتهيؤ لهم الأمكنة الحسنة يقيلون فيها وهو على الضد من ذلك ففيه تعريض رؤوسهم لحرارة الشمس كل ذلك تهكم وسخرية بهم، وفي كلمة يعسوب "استعارة أخرى حيث شبه الرؤساء برؤساء النحل وهي كثيرا ما تقع على أطراف الأسنة لارتفاعها ولأثار الدم الموجودة عليها فهو مكان لا يصله إلا الرؤساء ولا يقبل فيه إلا هم على سبيل التهكم لا سيما وأن الاستعارة "تبرز البيان أبدا في صورة مستجدة تزيد قدره نبلا وتوجب له بعد الفضل فضلا وأنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد، حتى تراها مكررة في مواضع ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد وشرف منفرد"⁽²⁾

وتكمن بلاغتها ودلالاتها هنا - الاستعارة- أن فيها إبرازا للمعنى المراد إثباته وتقريره وإيضاحه ، فقد أبرز ابن الأنباري هذه المعاني المعقولة الخفية وأظهرها في صورة محسوسة حية متحركة من خلال هذا الشرح لإيصالها للمتلقي في أوضح صورة.

واعصُوا الَّذِي يُزْجِي النَّمَائِمَ بَيْنَكُمْ مُتَنَصِّحًا ذَاكَ السَّمَامُ الْمُنْقَعُ⁽³⁾

(1) المصدر السابق، ص 239 .

(2) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص 33.

(3) ابن الأنباري: شرح ديوان المفضليات، ص 297.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

"يزجي يسوق والنمائم جمع نميمة وهو ما يبلغ الناس بعضهم عن بعض يحرض به

بعضهم على بعض عن طريق التنصح والسماح جمع سم ويرى واعصوا الذي يسدي ويروى وهو

السماح ويروي إن الذي يسدي"⁽¹⁾

شرح ابن الأنباري كلمتي "يزجي والنمائم" والأصل في هذه الاستعارة على حد تعبير

ابن الأنباري أن النمام كالراعي يسوق ابله أو غنمه ورعيته، شبهها بالعقارب لتقبيح صورتها

وبيان خطرهما لكون النمام كلما وجد فرصة بث نميمه والاستعارة هنا هي استعارة تصريحية.

فمن خلال الاستعارة نرى "الجماد حيا ناطقا، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس مبينة،

والمعاني الخفية بادية جلية، وتجد التشبيهات على الجملة غير معجبة ما لم تكنها وإن شئت

أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون وإن شئت

لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلا الظنون، وهذه إشارات وتلويحات في

بدائعها"⁽²⁾

لِيَنْتَزِمْنَ أَرْمَاحَنَا فَأَزَالَهُ أَبُو حَنْشٍ عَلَى ظَهْرِ شَقَاءِ صِلْدِمٍ⁽³⁾

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص33.

(3) ابن الأنباري: شرح ديوان المفضليات، ص441.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

"ويروى فاستزله ويروى فأزله أبو حنش عن ظهر والشقاء الطويلة من الخيل يقال للطويل من الخيل أشق أمق خبق وهو في الناس استعارة والصلدم الصلبة"⁽¹⁾

روى ابن الأنباري رواية أخرى للبيت، ثم شرح كلمة "الشقاء" التي رأى بأنها الطويلة من الخيل وأشار إلى أنها هنا استعارة فالشاعر استعار هذه الصفة التي هي للخيل واستعملها لنعته أبو حنش الذي هو عصم ابن النعمان بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم وهي هنا استعارة مكنية "فاللغة في الجوهر استعارية أي إنها تميز العلاقات غير المدركة قبلا للأشياء وتعمل على إدامة هذا الإدراك أو الفهم . وبمجرد الوقت تصبح الكلمات التي تمثلها مجرد علامات لأنماط من التفكير بدلا من كونها صوراً، من هنا إذا لم يأت شعراء جدد يخلقون مرة ثانية الارتباطات المتخللة، فستصبح اللغة ميتة"⁽²⁾

مُتَقَارِبِ الثُّفْنَاتِ ضَيْقِ زُورِهِ رَحْبِ اللَّبَانِ شَدِيدِ طِي ضَرِيْسِ⁽³⁾

"الثفنيات مواصل الذراعين في العضدين والساقين في الفخذين: إنما الثفنيات للبعير وهو ههنا مستعار والمعنى انه يقول إن مرفقيه أحدهما قريب من الآخر ويقال إن الفرس إذا دق جَوْجُوهُ وتقارب مرفقاه كان أشد لجره ورحب واسع واللبان الصدر وقوله طي ضريس يقول شديد طي الفقار ويقال للصلب شديد الفقار ضرس ضرسا واصل ذلك في البئر إذا طويت بحجارة

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها .

(2) رجاء عبيد: فلسفة البلاغة ، بين التنقية والتطور، دط، منشأة المعارف، الإسكندرية، دت ص 157 .

(3) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات ، ص 191 .

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

قيل ضرست تضرس ضرسا وضرستها أضرستها⁽¹⁾.

إن المستعار هنا على حد تعبير ابن الأنباري هو الثفنات والمستعار منه هو البعير وهو المشبه

به ولما كان المحذوف المشبه به كانت هذه الاستعارة استعارة مكنية في شرح هذا البيت.

والبلاغة العربية تنظر إلى الاستعارة المكنية ك(صورة) مع تغيير المعنى وهو من قبيل الضمني

من حيث أنه ينبني على تقابل مابين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي الذي هو استنباط

المتلفظ المشارك وأن أهم ما في الاستعارة يكمن في أنه تحت سياق بعينه⁽²⁾

وهذا ما نجده في شرح ابن الأنباري وتوضيحه للاستعارة المكنية في بيت سلامة بن جندل

السعدي :

وَكُرُّنَا خَيْلَنَا أَذْرَاجَهَا رُجْعًا كُسُّ السِّنَابِكِ مِنْ بَدءٍ وَتَعْقِيبِ⁽³⁾

"السنايك طرف الحافر الأيس المتثلث الذي كسره طول السير هو مأخوذ من قولهم رجل

أيس وامرأة كساء وهما اللذان تحاتت أسنانهما وقصرت...واصل الكسس في الأسنان

فاستعاره في السنايك والسنايك مقادير الحوافر واحدها سنيك وقوله من بدء وتعقيب

(1) المصدر السابق، ص191.

(2) دومينيك مانغو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترمحمد يحياتن، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2008، ص72.

(3) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات، ص228.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

فالبداء الغزو الأول والتعقيب الغزو الثاني فيقول أذهب سنابكها وحتها مداركتنا الغزو عليها مرة بعد أخرى⁽¹⁾

وتكمن الاستعارة على حد تعبير ابن الأنباري في "كس السنابك" فالمعروف أن السنابك ليس لها كسس، ولكن الذي له كس هي الأسنان فهذه الاستعارة حذف منها "المشبه به" الركن الثاني وبقيت صفة من صفاته ترمز إليه فالمحذوف هو "المشبه به" والأصل في هذه الاستعارة أن السنابك كالأسنان ولكن الأسنان لم تذكر وإنما ذكر ما يدل عليها وهو قوله "كسس" فالدليل على أنه استعارة أن السنابك ليس لها كسس. فالشارح نفذ إلى معناه من خلال كلمة "استعار" إذ فيها إشارة إلى معنى الاستعارة.

والواقع "أن اشتراك التشبيه والاستعارة في ركن يتمثل في علاقة التشابه قد يجعل من الاستعارة مجرد تشبيه حذف أحد طرفيه"⁽²⁾ فالاستعارة وإن كانت من التشبيه إلا أنها أبلغ منه، وقد أكد العلماء أن "المجاز أبلغ من الحقيقة، وأن الاستعارة أبلغ من التشبيه"⁽³⁾ وذلك لأن التشبيه فيها منسي وقد حذف أحد طرفيه الأساسيين وهما المشبه أو المشبه به، وفيها ادعاء أن المشبه هو عين المشبه به، ولهذا فقد كان لها دور كبير في تأدية المعاني، وقد وقفنا فيما مضى على نماذج منها في شعر المفضلين، وفي ذلك إشارة تدل على أن ابن الأنباري قادر على فهم المعاني العميقة وسبر غورها، والربط بين الصور المحسوسة أو المشاهدة فجعل منهم أداة اعتمد عليها في شرحه للمعاني.

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) الأخصر الجمعي: نظرية الشعر عند الفلاسفة الإسلاميين، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 167.

(3) القزويني: التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي، دط، دار الكتاب العربي، بيروت، دت، ص 337.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

لقد صارت شروحه أشبه بمعاجم لغوية صغيرة فرواية الشعر ورواية اللغة -عنده-

متلازمان يسعى للغة من أجل الشعر ويسعى إلى الشعر في سبيل اللغة.

وقد أحالت البلاغة العربية هذه الرؤية إلى طريقة من طرق القياس حين تشبثت بالطرفين في الصورة الشعرية، تشبيها كانت أو استعارة وجعلت الغاية منها إيضاح المعنى القائم في المشبه وبيئته والأمر على خلاف ذلك فالشارح يحطم الحقيقة ويقوم بدلا منها حقيقة أعلى منها، وأكمل فيسمي الأشياء بغير أسمائها والعمل هنا قائم على التخيل أي العقل، فالملابسة عقلية خيالية وليست مادية حسية واجتماع المادي بالمعنوي جزء من عقل العرب ومنهج التوسط الجامع بين اللفظة والمعنى يدخل الشرح فيما يسمى بالنقد التطبيقي.

1- 2- 2- الإسناد المجازي عند ابن الأنباري:

الإسناد المجازي ضرب من ضروب المجاز الذي هو من أهم الموضوعات التي ظفرت بعناية العديد من العلماء وهو "إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأول"⁽¹⁾ وبذا يكون الفرق بين الإسناد الحقيقي والإسناد المجازي أنه في الحقيقي إسناد الفعل إلى ما هو له، وفي المجازي إسناده إلى ملابس له. وعند إسناد الفعل إلى الملابس لا بد أن يكون هذا الإسناد بتأول. وقوله بتأول يخرج نحو قول الجاهل "شفى الطبيب المريض". فإن إسناد الشفاء إلى الطبيب ليس بتأول. وحقيقة هذا الإسناد هو بناء الجملة أو ضم الكلمة إلى الكلمة ليتألف من ذلك كلام مفيد، وهذا الإسناد لا يأتي على أسلوب الحقيقة دائما، فقد ينحوا المتكلمون إلى إسناد

(1) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط5

1983، ج1، ص98.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

الأحداث والأفعال لغير فاعليها الحقيقيين ، وذلك حينما يتوسعون ويتجاوزون بإجراء الإسناد على غير الطريقة المألوفة ولا علاقة له بعملية الاستبدال الشعري، ويرى طه حسين أن عبد القاهر الجرجاني هو أول من اكتشف هذا النوع من المجاز حيث يقول : " أما المجاز العقلي فهو من ابتكار عبد القاهر ، ويصح أن نسميه المجاز الكلامي لأنك إذا قلت مع عبد القاهر " أنبت الربيع البقل " فهذا مجاز ، لأن الربيع لا ينبت البقل ، ولكن الذي ينبتة هو الله تعالى " ⁽¹⁾ لكننا نجد عددا من العلماء الأوائل قد سبقوه إلى أمثلة من هذا النوع من المجاز، وإن لم يقترحوا له اسما ، ولم يتوسعوا فيه كما فعل عبد القاهر الجرجاني من بعدهم ، ومن أولئك العلماء : سيبويه ، الفراء ، المبرد ، ابن فارس ، ابن جني ... وهذه النماذج التي ذكرناها تدل بوضوح على أن هذا اللون من الإسناد المجازي عرف قبل عبد القاهر وأنه لم يكن من ابتكاره كما ذهب إلى ذلك طه حسين . مع تسليمنا لعبد القاهر بفضل التحليل وعرض الشواهد وتفصيل القول ووضع تسمية (المجاز الحكمي) وتوضيح الفرق بينه وبين المجاز اللغوي باستفاضة، وإظهار ما فيه من روعة واعتباره كنزا من كنوز البلاغة وعلى ذلك تابعه الجهابذة من أهل هذه الصناعة .

أما السكاكي في كتابه " مفتاح العلوم " فالمجاز العقلي عنده هو "الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأويل إفادة للخلاف لا بواسطة وضع وفي قوله لضرب من التأويل ليحترز به عن الكذب، فإنه لا يسمى مجازا كونه كلاما مفيدا خلاف ما عند المتكلم، وفي قوله إفادة للخلاف لا بواسطة وضع، ليحترز به عن المجاز

(1) قدامة بن جعفر : نقد النثر، دط، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، 1980، ص29.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

اللغوي"⁽¹⁾ والمقصود من قول السكاكي من كلمة "التأويل" أي بقرينة صارفة عن إرادة الظاهر

وهذه القرينة لم يذكرها الجرحاني سابقا ولكنها موجودة ضمنا في تعريفه.

ولا وجود له عند الغربيين، لارتباطه بالفلسفة الإسلامية والاختلاف العقدي واتسع مفهومه

فشمل إسناد الفعل أو ما يشبهه (اسم الفاعل، اسم المفعول) إلى غير ما هو له.

أسماؤه: تدور في كتب البلاغة عدة أسماء لهذا اللون من الاستعمال، منها:

1- المجاز العقلي: وهو أشهر أسمائه، ووجه هذه التسمية كما وضح ابن يعقوب المغربي "لأن

حصوله بالتصرف العقلي، لأننا حين نقول: "أنت الربيع البقل" لا نكون متجاوزين في كلمة

أنت لأنها مستعملة في معناها الحقيقي ولا نكون متجاوزين في كلمة الربيع، وإنما تجوزنا في

إسناد الإنبات إلى الربيع وهذا تصرف المتكلم وعقله"⁽²⁾. وهذه التسمية - المجاز العقلي -

مفهومة من كلام عبد القاهر أيضا في أكثر من موضع فمن ذلك قوله: "كل جملة

أخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه في العقل لضرب من التأويل"⁽³⁾

2- المجاز التركيبي: لأن موضوعه التعلقات التي هي أساس التراكيب، وسماه بهذا الاسم

السبكي⁽⁴⁾.

(1) السكاكي: مفتاح العلوم، تح نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت ص399.

(2) ابن يعقوب المغربي: مواهب الفتاح، ج1، تح فرج الله ذكي، مطبعة السعادة، بمصر، الطبعة الثانية 1343هـ. ص231.

(3) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص344.

(4) البهاء السبكي: عروس الأفراح، تح فرج الله ذكي، ط2، مطبعة السعادة، بمصر، دت، ص230-231.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

3- المجاز النسبي: وذلك لوقوعه في النسبة لا على ذوات الكلم المفرد كما أشار إليه

ابن الزمكاني⁽¹⁾

4- المجاز الحكمي : ولعلها أول تسمية له وسماه بذلك عبد القاهر في أكثر من موضع

ووجه التسمية " لوقوعه في الحكم بالمسند على المسند إليه"⁽²⁾

5- المجاز في الإثبات : أو في الجملة كما أطلق عليه الرازي، وهذه التسمية لا تمنع وقوعه في

النفى لأن "السلب حقيقته ومجازه تابع لما يحق في الإثبات"⁽³⁾

ولعل أنسب هذه التسميات هي الإسناد المجازي، لوضوح هذه التسمية ودلالاتها على

حقيقة هذا اللون الذي يهتم بناحية الإسناد من جهة، ومجازية الاستعمال من ناحية الفاعل

من جهة أخرى، بخلاف التسميات الأخرى التي لا تخلو من غموض أو عدم دلالة واضحة على

هاتين الناحيتين.

فالإسناد المجازي ضرب من المجاز، يجري بكثرة في الشعر العربي فلذا كان التعبير به حسنا

مألوفاً ولم يغفل ابن الأنباري عن الإشارة إليه في شرحه ومثال ذلك شرحه لهذا البيت:

(1) ابن الزمكاني: التبيان في علم البيان، تح أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، ط1، بغداد، دت، ص106.

(2) ابن يعقوب المغربي: مواهب الفتح، تح فرج الله ذكي، ط2، مطبعة السعادة، مصر، 1343هـ، ج 1 ص 231.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

شَرَوَى شَبِيهَيْنِ مَكْرُوبًا كَعُوبُهُمَا فِي الْجَنْبَتَيْنِ وَفِي الْأَطْرَافِ تَأْسِيلٌ⁽¹⁾

"شروى الشيء مثله وقوله شبيهين يعني القرنين شبههما بالرمحين ، المكروب الشديد القتل

وأصل ذلك في الحبل ثم قيل لكل ممتلئ شديد مكروب قال الشاعر:

فازجرُ حماركَ لا يَرْتَعُ بِرَوْضَتِنَا إِذَا يُرْدُ وَقَيْدُ الْعَيْرِ مَكْرُوبُ

أي شديد القتل وهذا مثل أي ترجع وأنت مشدد عليك مضيق فجعل الحمار مجازا والمعنى

للرجل وأراد بالجنتين الجنبين والتأسيل استواء وطول مأخوذ من قولهم خذ أسيل إذا كان

سهلا سبطا غيره قال الأصمعي أعطه شراوه أي مثله وتأسيل تحديد وقد أسل خده أسالة...⁽²⁾

شرح ابن الأنباري "شروى، شبيهين، مكروبا " واستشهد ببيت شعري وأشار إلى أن لفظه

الحمار قد استعملها الشاعر استعمالا مجازيا ، فالملابسة هنا قائمة بين الفعل "زجر" وفاعله

الذي أسند إليه "الحمار" غير أن هذا الزجر لصاحبه على سبيل الإسناد المجازي، فعند إسناد

الفعل أو ما في معناه إلى غير فاعله الحقيقي لملابسته له يفيد ذلك قيام الفاعل المجازي الذي

أسند إليه الفعل بدور رئيس في الجملة، وقد يكون هو الركن الأساسي الذي لا يتم العمل دونه

كما يلاحظ أيضا أن هناك صلة وارتباطا بين الفاعل المجازي "الحمار" والفاعل الحقيقي

"الرجل" لأن أصل العبارة انقبض عن التعرض لنا والدخول في حرمتنا ورعي روضتنا فهو قد

جعل إرسال الحمار إلى حماهم مجازا عن هذا الرجل الذي تحكك بهم وتعرض لهم بالإساءة .

فابن الأنباري ذكر بأن الشاعر قد أسند فعل الإساءة إلى الحمار غير أن المقصود هنا هو إساءة

(1) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات ،ص280.

(2) المصدر نفسه ،ص280.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

الرجل ولهذا أشار إليه بكلمة "مجاز" وهو من باب المجاز العقلي إلا أن ابن الأنباري لم يذكر نوع المجاز.

يشوي لنا الوحد المدل بحضره بشريح بين الشد والإيراد⁽¹⁾

يقول " الوحد الثور أو الحمار الذي ليس مثله شيء من حسنه قد فاق قرناءه: أي هذا الفرس من شدة عدوه يلحق أشد الوحش عدواً وقوله يشوي لنا أي كأنه لما صاده هو شواه والمدل المفتخر المباهي والحضر العدو: يقال أحضر إحضاراً إذا عدا والشريح الخليط والإيراد أشد الشد وروي أبو جعفر وغيره يشوي بضم الياء وقال بشريح يخلط بين الشد الشديد وبين الرفق لا يجهد نفسه والإيراد أراد الإرواد ويروي فيصيدنا العير ويروي الإرواد قال والمدل بحضره الوثائق بأنه لا يدرك إذا أحضر والإرواد أن لا يعطي الفرس عنانه كله أي يمنعه راكبه أن يستفرغ جريه ومنه قوله تعالى "أ مهلمم رويدا" - الآية 17 من سورة طارق- وأصله من الرفق والسكون والمعنى أنه يشوي أصحابه الحمار أي يطعمهم لحمه شواء يجري بين هذين الجريين الشديد والضعيف"⁽²⁾

ذكر ابن الأنباري أن بلاغة المجاز في هذا البيت تكمن في قوة الفرس وسرعته وثقته به، حيث استخدم الصورة المجازية بنظره البعيد إلى ما سيؤول إليه أمر هذا المصيد من صرع الفرس له بعد الملاحقة وذبحه وطبخه وإطعام رفاقه منه ، فتحويل الإسناد إلى غير ما هو له يحدث انحرافاً ذهنياً عن المسار المألوف للعقل ، وذلك مما يثير انتباه العقل والتفاته إلى المسار

⁽¹⁾ المصدر السابق، ص 456.

⁽²⁾ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

الذي كان يجب أن يسلك في مثل هذا الأسلوب ، مما يجعل العقل يبحث عن الغاية التي لا بد أن يكون بسببها قد حدث التجوز في الإسناد ،ومن هنا فإن فيها تحولا عما تقتضيه العقول ، وذلك مما يثير الانتباه ويحرك الشعور ويلفت النظر إلى علاقة ما أسندت إليه بما كان حقها أن تسند إليه فيصل بذلك سامعها إلى الغاية التي يبتغيها المتكلم من وراء هذا التحول في الإسناد.

كما أشار ابن الأنباري إلى دلالات الصور المفعمة والاختصار الظاهر في هذا البيت. فهو لم ينظر إلى المعنى المباشر للبيت وإنما اهتم بمعنى اللفظ الذي يحيله إلى معنى آخر. فالعبارة اللغوية لا يمكن أن تفهم دائما على الحقيقة أي أن المعنى الظاهر الذي يدل عليه اللفظ ليس دائما هو المعنى الوارد.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

2- الكناية عند ابن الأنباري:

تحتل الكناية مكانة مميزة في الكلام العربي، لما تتمتع به من طاقاتٍ بلاغية كبيرة، تقوم على الإيجاز والتلميح الذي وسم فن القول، فكثير من العبارات الدارجة على ألسنة الناس تتخذ من الكناية قيمة بلاغية تضي على العبارة نوعاً من التأنق في اللفظ وجمالية التعبير، الأمر الذي دفع النقاد العرب إلى التعبير عن إعجابهم بها، وتفضيلهم للتلميح على التصريح؛ لأن ذلك أبلغ وأكثر وقعاً في النفس، فالكناية بهذا تثير بإبلاغيتها إعجاب المتلقي، وتدفعه إلى ربط المعاني ببعضها فتحقق لديه اللذة، والاستجابة النفسية السريعة حيث تقدم الكناية الحقيقة مصحوبة بدليلها، وهذا يثبت المعنى في النفس بسهولة ويسر، إضافة إلى أن الكناية تتيح للمبدع القدرة على تجنب الكلام البذيء الذي قد يولد في النفس انفعالات غير مرغوبة. والكناية كما جاء في لسان العرب "أن تتكلم في شيء وتريد غيره، وكنى عن الأمر بغيره كناية يعني: إذا تكلم بغير مما يستدل عليه وتكنى: تستتر من كنى عنه إذا ورى: أو من الكنية"⁽¹⁾ فالكناية مرتبطة بمعناها اللغوي وهو الستر والخفاء.

وتكمن القيمة البلاغية للكناية فيما تحويه من دلالات تنقل المستمع من معنى إلى معنى آخر، وهو ما عرف بمعنى المعنى وهذا ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني في تعريفه للكناية بقوله "هي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى ما هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ إليه ويجعله دليلاً عليه مثال ذلك قولهم: هو طويل النجاد ويريدون طويل القامة، وكثير رماد القدر يعنون كثير القرى... فقد أرادوا

(1) ابن منظور: لسان العرب، مادة كنى، ج15، ص233.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

في هذا كله ترى معنى ثم لم يذكره بلفظه الخاص به ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود"⁽¹⁾

فقد بين الجرجاني قيمة الإيماء في التدليل على المعنى المراد، وأوضح القيمة الجمالية للكناية التي جعلها كما ذكر في تعريفه لها في إثبات المعنى.

وقد تحدث عنها السكاكي في كتابه مفتاح العلوم فقال معرفا إياها "هي ترك التصريح لذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه من المذكور إلى المتروك كما تقول: زيد طويل النجاد فينتقل به إلى ما هو ملزومه وهو طول القامة"⁽²⁾

وبرغم ما يهتم به السكاكي عند البلاغيين من قرابته الفلسفية للمصطلحات البلاغية إلا أننا نرى أنه أسهم إسهاما كبيرا في محاولة تحديده لمعنى الكناية .

أما مفهوم الكناية في البلاغة الغربية "فهي شكل بلاغي تبدل الكلمة الأصلية في المحيط الزمني... المكاني... السببي... المنطقي أو من خلال الخبرة"⁽³⁾ فعنصر الكناية يظهر من خلال علاقة الكلمة الأصلية بالكلمة المستبدلة، وهذه العلاقة ترتبط بها من خلال الزمان والمكان، السبب والخبرة .

(1) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 66.

(2) السكاكي: مفتاح العلوم، ص 402.

(3) وداد نوفل محمد : الكناية دراسة في القيمة البلاغية والجمالية، رسالة دكتوراه، جامعة الإسكندرية، مصر، 1992، ص 28.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

يغلب على الصور الكنائية البساطة في التركيب حيث إن تركيبها لا يحتاج جهداً ذهنياً من الشاعر، وربما تكون هذه البساطة هي السبب في كون الكناية أكثر طرق البيان استخداماً في الأدب بل حتى في طرائق التعبير بين العوام.

نجد الكناية في الشرح اللغوي لابن الأنباري مقتضبة نوعاً ما مقارنة بالاستعارة حيث أنه نادراً ما يشير إليها ويذكرها باسمها مثلما حدث في شرحه لبیت عبد الله بن سلمة الغامدي:

عَلَى مَا أَتَّهَا هَزَيْتُ وَقَالَتْ هُنُونٌ أَجْنٌ مَنَشَأُ ذَا قَرِيبٍ⁽¹⁾

"قال أحمد هنون جمع هن وهو كناية عن انسان كما قال العجاج كم قد قطعنا من

هن وهنت والمعنى أنها قالت يارجال أجن هذا. قال الأصمعي أجن، قال ثعلب وكذاك رواها

ابن الأعرابي أي قالت أجن أي وقع في مجنة أي هلكت هزئت منه ثم رأت من كبره كما قال

عبيد الله بن قيس الرقيات قالت ابن قيس ذا ولون الشيب يعجبها أي يصره إلى العجب وهنون

جمع هن وقوله منشأ ذا قريب أي حديث السن هو لا عقل له"⁽²⁾

روى ابن الأنباري عن أحمد ثم بين بعدها أن كلمة "هنون" هي كناية عن رجل وهي كناية

عن موصوف ثم روى بعدها عن الأصمعي وثلعب .

ونجد الكناية عن صفة في قول ابن الأنباري عند شرحه لبیت المزرد بن ضرار الذي يقول فيه :

(1) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات ، ص 183 .

(2) المصدر نفسه ، ص 183 .

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

عَلَى حِينٍ أَنْ جُرِّتُ وَاشْتَدَّ جَانِبِي وَأُنْبَحَ مِنِّي رَهْبَةً مِنْ أَنْضِلٍ⁽¹⁾

"يقول طمعوا في على مدارستي الأمور وعلمي بها والمناضلة المراماة وهو ههنا مثل غيره أنبح

مني أي صيرته إلى أن ينبح ويروى وملئ مني رهبة ويروى على حين".⁽²⁾

ففي هذا البيت ثلاث كنايات :

- الأولى : "أن جاريت" كناية عن طول العمر .

- الثانية : "اشتد جانبي" عن اكتمال القوى العقلية

- الثالثة : "أنبح مني رهبة من أناضل" كناية عن سداد الحجة

فهذه الكثافة المجازية تحت طياتها دلالات عدة فالكناية الأولى تدل على أن الشاعر صاحب

مكانة وشرف، والثانية تدل على اكتساب الحنكة كثمرة لبلوغه درجة النضج، ومن ثم يتعسر

على أعدائه غلبته، والثالثة عن خوف أعدائه منه لسداد حجته وحسن دفاعه عن حقوقه، وهذه

الكنائيات هي كنايات عن صفة وابن الأنباري هنا ذكر هذه الكنايات بالإشارة إليها بالمثل .

وَمُطَرِّدٌ لُدُنُ الْكُعُوبِ كَأَنَّمَا تَغَشَّاهُ مُنْبَاعٌ مِنَ الزَّيْتِ سَائِلٌ

أَصُمُّ إِذَا مَا هَزُّ مَارَتْ سَرَاتُهُ كَمَا مَارَ تُعْبَانُ الرِّمَالِ الْمَوَائِلِ⁽³⁾

(1) المصدر السابق، ص 178.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، ص 176.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

"يعني رمحا والمطرده المضطرب والمضطرب للينه واللدن الين يقال قد لدن لدانة ولدونا والمنباع السائل المتتابع السيلان غيره قال مطرد متتابع ليس فيه اختلاف يقال اطرد القول تتابع... قوله أصم أي ليس بأجوف ومارت جاءت به وذهبت وسراته أعلاه وشبه اضطرابه إذا هز باضطراب حية في عدوه والثعبان الحية والجمع ثعابين وإنما جعله ثعبان الرمل لأنه في الرمل أسرع للين الرمل الموائل المحاذر الذي يلتمس الملجأ يقال في مثل لا وألت إن وألت أي لا نجوت إن نجوت أحمد ثعبان العريم الموائل وروى مارت كعوبه وقال سراته وسطه قال والموائل الذي يطلبه النجاة"⁽¹⁾

ومن هذا الشرح يتضح لنا أن ابن الأنباري قام بما يلي:

- توضيح معنى المطرد .
- تبين أن كلمة "المطرده" تكنى عن صفة خفة وحسن عوده وفيه إشارة إلى طوله لأن الرمح كلما كان طويلا كان أشد وهو مما يحمد فيه.
- شرح كلمتي "اللدن والمنباع" .
- ذكر رواية ثانية .
- نجد الكناية عن صفة في قول ابن الأنباري "إطرد القول" .
- شرح "أصم، مارت، الثعبان والموائل" .
- روى عن أحمد وغيره.

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

- نجد الكناية عن صفة في قول ابن الأنباري "ليس بأجوف" تكنى عن صلابته وقوته .
- جملة لدن الكعوب تكنى عن لين استواء كعوبه، وحسن عوده حسب سياقها في البيت الشعري.

ونجد الكناية عن موصوف من خلال شرحه لبيت ذي الأصبع العدواني:

إمَّا تَرَى شِكَّتِي رُمِيحَ أَبِي سَعْدٍ فَقَدْ أَحْمَلُ السَّلَاحَ مَعًا⁽¹⁾

- "الشكة السلاح وأبو سعد لقيم بن لقمان كبر حتى مشى على العصا فيقول إن كنت كبرت حتى مشيت على عصا فصار رميح أبي سعد شكتي فقد كنت أحمل السلاح كله وروى أحمد بن عبيد: رميح أبي زيد يعني الدهر وقال: رجل شاك السلاح وشاكي السلاح وشاك السلاح"⁽²⁾
- ومنهجية ابن الأنباري في شرح هذا البيت كالتالي :

- ذكر الموصوف المنفرد بالوصف "أبو سعد لقيم بن لقمان الحكيم" الذي كان شجاعا قويا، ضعف لما كبر حتى استعان بالعصا عن رماحه وسلاحه فسميت عصاه رميح أبي سعد .
- نجد الكناية عن موصوف في قول ابن الأنباري رميح أبي سعد وهي كناية عن العصا وقد ارتبطت بهذه الحكاية الشعبية.

(1) المصدر السابق، ص314.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

فالأسلوب الكنائي "ما هو إلا تغليف للمعنى المقصود بستار شفاف ليكشف عن الذهن الواعي بفضل التأمل لسر من الأسرار النفسية التي ينبغي توضيحها"⁽¹⁾.

فابن الأنباري هنا قام بتفجير الطاقات اللغوية الكامنة غير المرئية التي تجعل اللغة قادرة على تصوير المعنويات، وخلق وجود جديد للعبارات وذلك لا يكون إلا بفضل استعمال علاقات جديدة بين الألفاظ عبر الصور الكنائية.

أَقِيسُ بِنَ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ أُمُوفٍ بِأَذْرَاعِ ابْنِ طَيِّبَةَ أُمِّ تُذْمَ

بِذَمِّ يُغْشِي الْمَرْءَ حَزْبًا وَرَهْطَةً لَدَى السَّرْحَةِ الْعِشَاءِ فِي ظِلِّهَا الْأَدَمِ⁽²⁾

"لم يرو هذا البيت الضبي ورواه أحمد بن عبيد وقال السرحة الشجرة والعشاء الدقيقة قال وهذه السرحة كانت بعكاظ يجتمع الناس إليها"⁽³⁾

روى ابن الأنباري عن أحمد بن عبيد، ثم شرح كلمة "السرحة" وبين أنها تكنى على سوق عكاظ واجتماع الناس فيه .

ولأن الكناية هي - بالدرجة الأولى - علاقة قبل أي شيء آخر، هذا الجانب فيها (أي كونها علاقة) هو الذي يهمننا هنا، لأننا نسعى إلى استجلاء دور هذه العلاقة في توليد المعنى من ناحية وفي تحديد دور طرفيها في عمليتي الإبداع والتلقي من ناحية أخرى. ولأن الكناية وغيرها من الصيغ المجازية المختلفة هي أولا وقبل أي شيء علاقات تهتم بعملية التفاعل بين طرفيها

(1) حنفي محمد: التصوير البياني، دط، دار النهضة، مصر، 1970، ص377.

(2) ابن الأنباري: شرح ديوان المفضليات، ص613.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

أكثر من اهتمامها بمادتها ولذلك اهتم بها كثير من نقاد الأدب والفلسفة وعلماء... وغيرها من الدراسات الإنسانية.

تَحُلُّ بِمَنْجَاةٍ مِنَ اللُّومِ بَيْتَهَا إِذَا مَا الْبُيُوتُ بِالْمَذْمَةِ حُلَّتْ⁽¹⁾

"المنجاة المفعلة من النجوة وهي الارتفاع: يريد أنها لا تذم لإيثارها الناس على نفسها فالذم لا يلحقها والنجاة هنا مثل ويروى يحل بمنجاة من اللوم بيتها ويروى من اللوم"⁽²⁾

ذكر ابن الأنباري شرح كلمة "المنجاة" وذكر الكناية بالإشارة إليها بالمثل وهي هنا كناية عن نسبة.

ومن هنا يتبين لنا أن ابن الأنباري قد اعتمد على الكناية في سرد معانيه، ومن ثم الوصول إلى معان أخرى غير مباشرة استوحاها بالإشارة. وبهذه الطريقة التعبيرية يصل إلى المعنى الذي أرادته بطريقة لا تزعم عواطف المتلقي، ولا تؤذي ذوقه بل تكتسي جمالا يتجلى في الصورة التي تبعثها الكناية .

وهي مظهرا من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه وصفت قريحته، والسر في بلاغتها أنها في صور كثيرة تعطي كالحقيقة مصحوبة بدليلها، والقضية وفي طيها برهانها.

(1) المصدر السابق، ص 201.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

3- التشبيه عند ابن الأنباري:

التشبيه في اللغة من "الشبه الشبَّهَ الشبيه: المثل، وأشبه الشيء الشيء: ماثله ويقال شبهت هذا بهذا وأشبه فلان فلانا والشبَّه والشبَّه، النحاس يصبغ فيصفر، وسمي النحاس به لأنه إذا فعل به أشبه الذهب بلونه والتشبيه مصدر من شبَّه⁽¹⁾ هذا المعنى اللغوي للتشبيه يشير إلى وجود طرفين بينهما وجه شبه واحد أو أكثر يثير حواس المتلقي ليعقد مقارنة بينهما، والتشبيه على هذا الوصف يقتضي عدم تشبيه الشيء بنفسه، ولا بغيره من كل الجهات لاسيما وأن الشيطان إذا تشابه من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تباين البتة، اتحدا فصار الاثنان واحد.

الصورة التشبيهية قائمة على اشتراك طرفيها في بعض الصفات، وكلما كانت هذه الصفات أكثر كانت الصورة أفضل على ألا يكون التشابه والاشتراك بينهما تاما، وفي جميع الجهات، لأن الشيء إذا طابق الشيء في جميع الجهات كان هو كما "أنه من الأمور المعلومة أن الشيء لا يشبه الشيء ولا بغيره من كل الجهات، إذ كان الشيطان إذا تشابه من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تباين البتة اتحدا، فصارا الاثنان واحداً، فبقي أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معانٍ تعمهما ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها، وإذا كان الأمر كذلك، فأحسن التشبيه هو ما وقع بين

(1) ابن منظور: لسان العرب، مادة شبه، ج13، ص505.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها، حتى يدنى بهما إلى حال الاتحاد⁽¹⁾.

يشير قدامة إلى أن هناك صفات مشتركة ومختلفة بين المشبه والمشبه به، وهذا يعني أن لكل طرف صفات ودلالات خاصة مشتركة بين الاثنين وكلما كان الجمع بين طرفين تكون الصفات المشتركة كثيرة، كان حسن التشبيه، وهذا لا يعني بأن دلالات طرفي التشبيه تكون كلها نفس الدلالات تماما، وإنما هناك دلالات منفردة ودلالات مشتركة، لأنهما لو تطابقا في جميع الدلالات يكون الطرفين نفس بعضهما، وهذا لا يجوز. وقد كان تعبير قدامه في غاية الدقة حين صرح بأن المطلوب ليس الاتحاد الكامل، فذلك لا يمكن تحقيقه في أي صورة تشبيهيه في حين ذهب ابن رشيق إلى أن "التشبيه: صفة الشيء بما قاربه وشاكله، ومن جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه، ألا ترى أن قولهم "خد كالورد" إنما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها، لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه وخضرة كمائمه، وكذلك قولهم "فلان كالبحر، أو كالليث" إنما يريدون كالبحر سماحة وعلما، وكالليث شجاعة وقدماء، وليس يريدون ملوحة البحر وزعوقته، ولا شتامة الليث وزهوقته⁽²⁾ يشير ابن رشيق إلى أن كل كلمة لها دلالاتها المتعددة. وقد اختلف العلماء في التشبيه أمجاز هو أم حقيقة فقد ذهبت طائفة منهم إلى أنه ليس مجازا ولعل عبد القاهر الجرجاني من أوائل الذين ذهبوا هذا المذهب إذ قال "إن كل متعاط لتشبيهه صريح لا يكون نقل اللفظ من شأنه ولا من مقتضى عرضه فإذا قلت "زيد كالأسد" و"هذا الخبر كالشمس

(1) قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1987، ص 124.

(2) ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر ونقده، ج 1، ص 194.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

في الشهرة "وله رأي كالسيف في المضاء" لم يكن منك نقل للفظ عن موضوعه ولو كان الأمر على خلاف ذلك لوجب أن لا يكون في الدنيا تشبيه معنى من المعاني وله حروف وأسماء تدل عليه فإذا صرح بذلك ما هو موضوع للدلالة عليه كان الكلام حقيقة كالحكم في سائر المعاني فاعرفه⁽¹⁾

وتبعه في هذا الرأي الرازي، والمطرزي، والسكاكي وابن الزملاكي، والحلبي، والنويري.... وغيرهم.

وقد توسط الشيخ عز الدين ذلك فقال: "إن كان بحرف فهو حقيقة أو بحذفه فهو مجاز بناء على أن الحذف من باب المجاز"⁽²⁾

في حين ذهب فريق آخر إلى أن التشبيه مجازا وإلى ذلك أشار ابن رشيق القيرواني فقال "وأما كون التشبيه داخلا تحت المجاز فلأن المتشابهين في أكثر الأشياء إنما يتشابهان بالمقارنة على المسامحة والاصطلاح لا الحقيقة"⁽³⁾

من خلال هذا العرض لكون التشبيه مجازا أو غير مجاز يبدو أنه ليس بوسعنا أن نصدر حكما عاما على التشبيه من حيث كونه حقيقة أم مجازا، إذ للتشبيه أركان من حيث اكتمال أركانه وعدم اكتمالها فمما لا ريب فيه أن التشبيه التام حقيقة وليس مجازا،

(1) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص221.

(2) ابن وهب: البرهان في علوم القرآن، تح أحمد مطلوب وخديجة الحديني مطبعة العاني، بغداد 1967، ج2، ص415.

(3) ابن رشيق: العمدة، ج1، ص268.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

وذلك حين يقول "زيد كالأسد في الشجاعة" فكل لفظ هنا دال على معناه في الحقيقة، ولا يدل على معنى آخر خلف هذه الصياغة.

أما الجرجاني في نفيه أن يكون التشبيه مجازاً أوضح ذلك بمثالين التشبيه في كل منهما مكتمل الأركان وهما (هذا الخبر كالشمس في الشهرة) و(وله رأي كالسيف في المضاء) فكل لفظ في هذين المثالين دال على معناه الحقيقي أم "زيد كالأسد" و"وزيد أسد" فإنهما يدخلان في المجاز على نحو ما في قولنا "زيد كالأسد" ليس المقصود هو تشبيه زيد بالأسد وإنما المقصد من هذه الصياغة الدلالة على شجاعته، وذلك يرجع إلى العرف الذي جعل الأسد رمزاً للشجاعة، ومن هنا كان زيد كالأسد ليس حقيقة وإنما هو مجاز عند من يرى ذلك لأن زيدا لا يشبه الأسد في شيء إذا تقيدنا بما يدل عليه ظاهر اللفظ وبهذا يكون كلا الفريقين محق فيما ذهب إليه لأن كل منهما نظر إلى التشبيه من جانب ولعل هذا ما أورده عبد القاهر الجرجاني بقوله "ولو كان الأمر على خلاف ذلك لوجب أن لا يكون في الدنيا تشبيه إلا وهو مجاز" وللتشبيه أركان أربعة هي:

"المشبه، والمشبه به، ويسميان طرفي التشبيه، وأداة التشبيه ووجه الشبه، ويجب أن يكون أقوى وأظهر في المشبه به منه في المشبه"⁽¹⁾

وفيما يلي ننظر في بعض الأبيات الشعرية التي استعان ابن الأنباري في شرحها وتوضيح معناها بأسلوب التشبيه، والحقيقة إن هذا التشبيه قد يكون في الأصل ذكر من قبل الشاعر ولكن الشارح كان يوضح الصورة التشبيهية بشرح أسلوبها وتحديد أطرافها، وإذا تتبعنا شرح

(1) علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، (المعاني، البيان والبديع) دار المعارف، مصر، ط 20، ص 20.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

المفضليات وجدناه كثير الاهتمام بشرح هذا النوع - التشبيه - مقارنة بالأنواع السابقة

كقوله في شرح بيت سلامة بن جندل السعدي:

كَأَنَّهَا بِأَكْفِ الْقَوْمِ إِذَا لَحِقُوا مَوَاتِحُ الْبُئْرِ أَوْ أَشْطَانُ مَطْلُوبٍ⁽¹⁾

"أبو عكرمة كأنها يعني الرماح ومواتح البئر حبال يمتح بها والأشطان الحبال الطوال

لطولهن قال الأصمعي وأحسن ما قالت العرب في طول الرماح قول القطامي:

قَوَارِشُ بِالرَّمَا حِ كَأَنَّ فِيهَا شَوَاطِنَ يُنْتَزَعْنَ بِهَا انْتِزَاعًا

وقال الرستمي قال يعقوب واحد الأشطان شطن وهي حبال البكرة مطلوب ماء معروف ويقال

إنها بئر بين مكة والشام فيقول هذه الرماح كأنه في طولها حبال البئر أو أشطان مطلوب أي

شيء يطلب قال أحمد المواتح الأكل تمتح بالحبال قال وقد تجعل البكرات أيضا مواتح إن

كان وإن كان يمتح عليها وأصل المتح رفع اليد وجذبها يقال منه متحه مائة سوط وقال

الأشطان من الحبال التي يمد بها في شق فإذا مد بها على الاستواء فليست بأشطان"⁽²⁾

روى ابن الأنباري عن أبي عكرمة وبين أن المشبه هنا هي الرماح، ثم روى عن الأصمعي بيت

شعري للقطامي وروى بعد ذلك للرستمي عن يعقوب، موضحا سبب تشبيه الشاعر الرماح

بهذه الأشطان التي هي حبال البئر الطوال ووجه الشبه بينهما هو الطول فهو -الشاعر- أراد

أن يقول أن الرماح كأنها أشطان لطولها فجلى الشارح المعنى بقوله "كأن" فجعل بذلك

للتشبيه مكانا في شرحه فهو هنا كان حريصا على توضيح هذا التشبيه لتقريب دلالة الصورة

(1) ابن الأنباري: شرح ديوان المفضليات، ص 239.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

للمتلقي بتجسيدها تجسيدها حيا، مانحا إياها الوضوح وإنما يتم هذا من خلال القدرة اللغوية للشارح معتمدا بذلك على الواقع المعاش وتجاربه الخاصة .

وقممت إلى البرك الهواجر فائقته مقاحيد كوم كالمجادل روق⁽¹⁾

"البرك إبل الحي كلهم والهواج النيام والهواج من الأضداد يكون النائم ويكون المتيقظ بالليل المتهدج بالقراءة وقوله فائقته أي جعلتها بيني وبينها ويقال اتقاه بحقه إذا جعله بينه وبينه قال أوس بن حجر :

تقأك بكعب واحد فتلذذه يداك إذا ما هز بالكف يغسل

والمقاحيد الإبل العظام الأسمنة يقال ناقة مقحاد إذا كانت عظيمة السمام والكوم كذلك يقال ناقة كوماء وجمل أكوم والمجادل القصور شباها الإبل بها لعظمها وسمنها وواحد المجادل مجدل...⁽²⁾

ومنهجية ابن الأنباري في الشرح هنا كالتالي :

- شرح كلمتي "البرك والهواج"
- استشهد ببيت شعري لأوس بن حجر .
- شرح كلمة " المقاحيد والكوم، والمجادل " .
- بين المشبه "الإبل"

(1) المصدر السابق، ص 250.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

- بين المشبه به "القصور"

- بين وجه الشبه بينهم "العظمة والسمنة"

وابن الأنباري بفعل سليقته التي تربت في محيط بدوي، ونمى ذوقها على مألوف عاداتهم وتدرجت على طرائقهم في التعبير عن أنفسهم وأحاسيسهم تمكن من توضيح هذه التشبيهات التي اعتمد فيها شعراؤها على الحس ثم الخيال، وهذا شأن عام في الشعر العربي القديم فقد نزع العربي القديم إلى النزعة الحسية في فهم الجمال وتصويره وذلك "أن الشاعر كثيرا ما يندفع وراء الصور الحسية التي تبدو له غاية في الجمال ويتغافل عما يمكن أن يكون بين الشعور والمعنى الذي كان ينبغي عليها أن تنقله إلى القارئ"⁽¹⁾

فقد نص الشارح هنا صراحة على التشبيه بقوله (شبه) إيمانا منه بأن في التشبيه تقريبا للصورة وتوضيحا للمعنى.

ومقدرة ابن الأنباري اللغوية مكنته من تمييز التشبيه البليغ أيضا كشرحه لبيت ثعلبة بن صعير الذي يقول فيه :

يُبْرِي لِرَائِحَةِ يُسَاقِطُ رِيَشَهَا مُرَّ النَّجَاءِ سِقَاطَ لَيْفِ الْأَبْرِ⁽²⁾

"يبري يعارض وإذا عارضها الظليم كان أشد لعدوها والرائحة النعامة تروح إلى بيضها فهي لا تأو من العدو والنجاء السرعة وهو يمد ويقصر وقوله يساقط ريشها من شدة عدوها والأبر

(1) محمد مندور: الأدب وفنونه، دط، دار النهضة للطباعة، القاهرة، مصر، دت، 117.

(2) ابن الأنباري: شرح ديوان المفضليات، ص 257.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

المصلح للنخلة الملقح لها فإذا صعدها رمى بالليف عنها فشبها الريش إذا سقط عن النعامة بهذا الليف⁽¹⁾

شرح ابن الأنباري كلمتي "يبري والرائحة" ثم شرح بعدها جملة "يساقط ريشها" وكلمة "الآبر"، كما وضع الشارح أن المشبه هنا هو ظليما يساقط ريشه والمشبه به هو "الليف" الذي يسقطه الآبر (مصلح النخلة) وذلك عند تصلح النخل فالتشبيه هنا هو تشبيه بليغ حذف أداة التشبيه فيه وحذفها يوحي بتساوي الطرفين في القوة، وللتشبيه البليغ نوع من المبالغة والإغراق وذلك في نسبة ادعاء أن المشبه هو نفسه المشبه به. وهذه الصورة لا تخلو من الجدة عبرت عن سعة خيال الشارح وقدرته على التقاط صور قد تتميز بالفردية وهذه الصورة اتسمت بالواقعية والحيوية وهنا تتجلى براعة التشبيه من خلال تقريب البعيد حتى يصير بينهما اشتراك.

وَرْدًا وَأَشْقَرَ لَمْ يُنْهَيْهِ طَابِخُهُ مَا غَيْرَ الْغَلِي مِنْهُ فَهُوَ مَا كُؤِلُ⁽²⁾

"قوله ورداً وأشقر، شبه ما أخذ فيه النضج من اللحم بالورد وما لم ينضج بالأشقر، وقوله لم ينهئه أي لم ينضجه، يقال أنهأت اللحم إنهاءً إذا أنضجته ولحم منها، غيره يقول: قد فارت المراحل بورد من اللحم وأشقر، فبعضه قد كاد ينضج وبعضه حين وضع أشقر، أراد لون اللحم، لم ينهئه لم يتركه ينضج، أنهأت اللحم أي جئت به لم ينضج وأنهأت قدرك مثله،

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه، ص 285.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: وصف البيان في شرح ابن الأنباري

ومثل من الأمثال: ما أبالي ما نهى من ضبك مما نضح، وأنهاته أنضجته وأنات اللحم جئت به نيئاً، وقد نيؤ اللحم نيئاً ونيوءاً⁽¹⁾.

أشار ابن الأنباري إلى أن الشاعر أراد بقوله "ورد" تشبيه ما نضح من اللحم به في حين أراد بقوله "أشقر" تشبيه ما لم ينضح من اللحم، وهو هنا تشبيه بليغ لعدم وجود أداة لأن بلاغة التشبيه مبنية على ادعاء أن المشبه عين المشبه به ووجود الأداة ووجه الشبه معاً يحولان دون هذا الادعاء فإذا حذفنا الأداة وحدها أو وجه الشبه وحده، ارتفعت درجة التشبيه في البلاغة قليلاً، لأن حذف أحد هذين يقوي اتحاد المشبه والمشبه به بعض التقوية أما أبلغ أنواع التشبيه هو التشبيه البليغ لأنه مبني على ادعاء أن المشبه والمشبه به شيء واحد، تكمن بلاغة التشبيه هنا من أنه ينتقل بك من الشيء نفسه إلى شيء طريف يشبهه أو صورة بارعة تمثله وكلما كان هذا الانتقال بعيداً قليلاً الخطورة بالبال، أو ممتزجاً بقليل أو كثير من الخيال، كان أروع للنفس وادعى إلى إعجابها واهتزازها.

وتأليف الشاعر لألفاظه وابتكاره مشبه بعيد عن الأذهان لا يجول إلا في نفس وهب الله لها استعداداً سليماً في التعرف على وجوه الشبه الدقيقة بين الأشياء، وأودعه قدرة على ربط المعاني وتوليد بعضها من بعض إلى مدى بعيد لا يكاد ينتهي وهذا هو ما يتمتع به

ابن الأنباري العالم اللغوي الكبير.

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

المبحث الثاني

ثنائية الاستعارة

والمجاز المرسل

في النص الواصف

1- ثنائية الاستعارة والمجاز المرسل عند جاكبسون.

2- ثنائية الاستعارة والمجاز المرسل عند ابن الأنباري.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الثاني: ثنائية الاستعارة والمجاز المرسل في النص الواصف

1- ثنائية الاستعارة والمجاز المرسل عند جاكبسون :

طور جاكبسون ما كان قد لاحظته سوسير من أن التعبير يقوم على محورين وهما: محور المجاورة ومحور الاستبدال أو التداعي، فالكلمات تتجاور فيما بينها بعلاقات تتتابع بموجبها الواحدة تلو الأخرى لاستحالة لفظ عنصرين في آن معا. فهما يتخذان في البداية ترتيبا أفقيا ثم يكتسب كل عنصر منهما معناه بالنظر إلى ما يستدعيه من عناصر أخرى لدى القارئ أو السامع وهذان المحوران هما اللذان يتحكمان في تنظيم الكلام ويتيحان للغة أن تؤدي وظيفتها في التعبير.

وقد أطلقت على هذين المحورين تسميات عدة بحسب الدارسين فجاكبسون أطلق عليهما في بحث نشره سنة 1956 التوافق والانتقاء، والحق أن الكلام على هذين المحورين أغنى الدراسة القائمة على تأمل النظام اللغوي وطرقه التعبيرية في الأداء، ولهذا فإن البنيويين وجدوا في هذين المحورين والكلام عليهما مادة تستدعي الدراسة، وقد عزم قسم من هؤلاء النقاد القول بهذين المحورين إلى سوسير نفسه، وهذا شيء طبيعي مادام أنه تحدث عن العلاقات الضدية التي تنظم عمل اللغة من خلال الكلام .

والواقع أن عبقرية جاكبسون هذه- في الاستعارة والمجاز المرسل- بدأت منذ أن كتب مقاله الذي حمل عنوان "ظاهرتان لغويتان وحالتان من الحبسة" في سنة (1953) فهو قد انطلق في دراسة الاستعارة والمجاز المرسل من خلال دراسات قام بها على حالات من الحبسة واستنتج أن "لغة الإنسان تقوم على دعامتين رئيسيتين الاستعارة وهي إسقاط علاقة

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني: ثنائية الاستعارة والمجاز المرسل في النص الواصف
استبدالية على المحور اللفظي والمجاز المرسل⁽¹⁾ ورأى بأن الحبسة هي إما عدم مقدرة الفرد على انتقاء الكلمات أو استبدال كلمة بكلمة أخرى أو عدم مقدرته على التنسيق بين الكلمات في وحدات معنوية، فالمجاز عنده يقوم على الدمج والمجاورة والاستعارة على الاستبدال والمشابهة فهو قد قام بدراسة الاستعارة والمجاز المرسل على المصابين بالحبسة وبعد ذلك قام بتعميم أشمل وهو وجود هذين القطبين في الكلام عامة فالمرء حسب جاكبسون "يكشف عن أسلوبه الخاص وميوله واستعمالاته اللغوية المفضلة بالطريقة التي يعالج بها هذين النموذجين من الربط (التمثال والتجاور) في ظاهرتيهما الموضوعية والدلالية وذلك بالانتقاء والتنسيق والترتيب"⁽²⁾

فمحور الاستبدال يمثل الاستعارة مما كان له الأثر البعيد في البحث الأسلوبي والبلاغي وتنظيم الأشياء وفقا لمبدأ الانتقاء، وعلى استعمالاتها تتوقف طبيعة الأسلوب الشخصي لدى كل كاتب وبواسطتها يمكن دراسة الأسلوب الأدبي فالشعر الغنائي الروسي مثلا شعر استعاري وهذا "لأن اللغة لم تعد اليوم انعكاسا في الذاكرة الإنسانية لشكل خارجي بل صارت أداة للتعبير عن تجربة حسية للإنسان يعيشها بنفسه، بمعنى أنها تعبیر مباشر عن موقف عملي تجاه أفكار المتكلمين ومشاعرهم ومن خلالهم عن المشاعر الاجتماعية"⁽³⁾ وهذا لأن الاستعارة تتعلق بنسق البناء في اللغة .

(1) المصدر السابق، ص53.

(2) رومان جاكبسون: الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة علي حاكم وحسن ناظم، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص89.

(3) فرحان بدري الحربي: الأسلوبية في النقد العربي الحديث، دراسة في تحليل الخطاب، ص26.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الثاني: ثنائية الاستعارة والمجاز المرسل في النص الواصف

أما محور المجاورة فيمثل المجاز المرسل وجزء منها وهو الكناية الذي ينطبق عليها كل ما ينطبق على المجاز المرسل إلا أن الرباط الاقتراني فيه أكثر عضوية من غيره أين نجدهما في الإفصاح عن الأشياء والحالات المعنوية غير المجسدة بصياغات مادية ملموسة ومجردة كالإشارة إلى القلب مثلا بدلا من العواطف والأحاسيس والانفعالات التي تشتبك فيه فتقوم الكناية مثلا بتعويض ذكرها بالوعاء الذي يحتويه . "وإذا أردنا مثالا عن ذلك فنلاحظ أن الكناية بمعناها العام تتضمن انتقالا من عنصر إلى آخر في السياق نفسه أو تضع عنصرا في سياق آخر تماما كما يحدث حين نطلب "كوبا" من شيء ما ونحن نقصد مضمون الكوب، وليس الكوب نفسه أو نشير إلى المضمار ونحن نقصد السياق أو إلى أسطول من مائة شرع ونحن نقصد مائة سفينة فالكناية -أساسا- تتطلب سياقاً لعملها ومن هنا يصل جاكبسون بينها وبين الواقعية فالواقعية تتحدث عن موضوعها بأن تعرض على القارئ جوانب وأجزاء وتفاصيل سياقية تستحضر الكل بواسطة الجزء"⁽¹⁾

فالمجاز المرسل يعتمد على تنضيد الأشياء في سلسلة ضمن محور المجاورة والاستعارة، تنظم هذه الأشياء وفقا لمبدأ الانتقاء وعلى استعمالهما تتوقف طبيعة الأسلوب الشخصي لدى كل شارح . وهذا يعني أن استعمال التماثل أو الاستبدال والمجاورة وهما محورا الكلام عند الإنسان حسب ثنائيات دي سوسير يرجع إلى أسلوب كل شخص يتميز بقدرته على الاختيار والمبالغة في إبراز المعنى الموهوم إلى الصورة المشاهدة، وتجسيم الأمور المعنوية وذلك

(1) رامان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، ص 140.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الثاني: ثنائية الاستعارة والمجاز المرسل في النص الواصف

بإبرازها للعيان في صورة شخوص وكائنات حية، يصدر عنها كل ما يصدر عن الكائنات الحية الأخرى من حركات وأعمال .

وهكذا يتبين لنا أن الاستعارة مجرد إسقاط علاقة استبدالية على المحور اللفظي، والمجاز المرسل إسقاط علاقة نظامية على محور تجاوز الكلمات لأنه يقوم على تنسيقها ودمجها ومجاورتها، في حين تقوم الاستعارة على انتقاء واستبدال ومشابهة لذلك تعتبر غريبة عن الجملة في منظومتها الدلالية ولا تظهر كثيرا في الكلام العادي عند المصابين بالحبسة لأنها تصبح غير ممكنة في "اضطراب التماثل" لعدم مقدرتهم على انتقاء الكلمات أو استبدال كلمة بكلمة أخرى "و حين تصاب المقدرة على بناء الجمل، أو إقامة العلاقات الداخلية التي تربط الكلمات فيما بينها، يظهر نوع آخر من الحبسة نسميه اضطراب التجاور"⁽¹⁾ وفيه تتحول الجملة إلى كومة من الكلمات لغياب القواعد النحوية التي تنظمها .

والحالة الوحيدة التي يمكننا فيها أن ندافع عن وجهة نظر جاكبسون هي تلك التي يتم فيها استعمال الاستعارة خرقا لطبيعة الأشياء للتعبير عن معان مجردة .

والحقيقة أن جاكبسون بهذه الفكرة عمق تأثيره بالدرس الأسلوبي والبلاغي مع أن نظريته في المجاز المرسل والاستعارة ربما أعطيت فوق ما كان يظن أنها تستحق من التقدير والبحث، حتى قيل أن هذه النظرية أخرجت البلاغة التقليدية من الجمود الذي ران عليه لعدة قرون وأن جاكبسون هو الذي أعاد إلى البلاغة علاقتها بعلمي المنطق واللسان .

(1) فاطمة الطبال: النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، ص54.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الثاني: ثنائية الاستعارة والمجاز المرسل في النص الواصف

2- ثنائية الاستعارة والمجاز المرسل عند ابن الأنباري :

أما عن ورود الاستعارة والمجاز المرسل في شرح أشعار المفضلين فقد اتسم بالكثرة نوعا ما في تناولها من طرف ابن الأنباري وقد اجتهدنا ومن الله التوفيق في إظهار البعض منها في محاولة لاستنطاق النص بقراءة شاعرة على نحو يضمن لنا تطبيق نظرية جاكبسون على النص الشارح ويعيد إلى الأذهان إمكانية وصول الإنسان إلى إتقان فن الكلام .

فابن الأنباري على الرغم من كثرة الشروح اللغوية فهو لم يكن ليغفل الجانب الجمالي في الشروح الشعرية ومن هنا يتضح أن الصور البيانية موجودة في شرحه لهذا الشعر:

فَالْعَيْنُ بَعْدَهُمْ كَأَنَّ حِدَاقَهَا سُمِلَتْ بِشَوْكٍ فَهِيَ عَوْرٌ تَدْمَعُ⁽¹⁾

"قال الضبي أراد بالعين العينين جميعا لأنه إذا كانت اثنتان لا تفترقان من خلق أو غيره أجزئ من ذكرهما ذكر أحدهما مثل العين يقال كحلت عيني وعين مكحولة وكحيل يريد العينين من ذلك قول عمرو بن الأحمر :

تَسَاءَلُ بَابِنِ أَحْمَرَ مَنْ رَأَهُ أَعَارَتْ عَيْنُهُ أَمْ لَمْ تَعَارَا

ويداي قويتان ويدي قوية وقال امرؤ القيس :

وَعَيْنٌ لَهَا حَدْرَةٌ بَدْرَةٌ شُقَّتْ مَاقِيهَا مِنْ أُخْرٍ

(1) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضلين ، ص 856.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الثاني: ثنائية الاستعارة والمجاز المرسل في النص الواصف

فهذا أحد القولين في هذا البيت ومثل العينين المنخران والرجلان والخفان والنعلان ويقال

لبست خفي وخفي ونعلي ونعلي والحداق جمع حدقة فجمعها بما حولها وهذا مطرد في كلام

العرب مثل قول الأسود بن أبي يعسر:

وَلَقَدْ أَرُوحُ إِلَى النَّجَارِ مُرَجَّلاً مَنزلاً بِمَالِي لَيْتَنَا أَجْيَادِي

وإنما له جيد ومثله قول ذي الرمة:

بِرَاقَةِ الْجَيْدِ وَاللَّبَّاتِ وَاضِحَةً كَأَنَّهَا ظَبِيَّةٌ أَفْضَى بِهَا لَبَبُ

وقال زهير:

وَعَالِينَ أَنْمَاطًا عِتَاقًا وَكِلَّةً وَرَادَ الْحَوَاشِي لَوْنُهَا لَوْنُ عَنَدَمِ

وإنما لها حاشيتان ومه قولهم رجل ذو مناكب وجمل غليظ المشافر وامرأة عظيمة

الماك...⁽¹⁾

فابن الأنباري في هذا المثال قام بما يلي:

- تكلم عن الكل للدلالة عن الجزء من باب التجوز بالكل عن الجزء .
- نفس الشيء في رجل ذو مناكب وجمل ذو مشافر فكما هو معروف أن الرجل له منكبين فقط والجمل له مشفرين فقط أيضا .

(1) المصدر السابق، ص 856.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الثاني: ثنائية الاستعارة والمجاز المرسل في النص الواصف

كما أن ابن الأنباري يقف عند الاستخدام المجازي للمفردات ويفسرهما فالمفردة في الاستخدام المجازي تدل على معنى يختلف عن المعنى المعجمي فكلمة "سملت" هنا لا تدل على معناها المعجمي ولكنها تعني شيئاً آخر وهو أن فقد الأبناء كفقدهم العينين .

إننا في استخدام المجاز المرسل، أمام تشكيل جديد للغة، حين يعمد الشارح إليها ليخترق المعتاد من الصيغ والتراكيب، ويحدث تبادلاً جديداً بين معطيات اللغة، بحيث تتغير الدلالة في التركيب الجديد بعيداً عن عرف اللغة واصطلاحها، فهي تراكيب جديدة تأتي على وجهٍ مخصوص غير التراكيب العادية، فالمستوى الجديد تمخّض عن أناةٍ وابتكار حمل زمامها الشارح ليفرز لنا ذلك المستوى الفني الراقى من الاستخدام اللغوي

فالتفسير المجازي هو البحث عن معنى المعنى أو المعنى الذي يريده المتكلم وقد يختلف عن المعنى المعجمي للمفردة.

تَقُولُ إِذَا دَرَأَتْ لَهَا وَضِيئِي أَهَذَا دَيْنُهُ أَبَدًا وَدِينِي

أَكَلُ الدَّهْرَ حَلًّا وَارْتِحَالًا أَمَا يُبْقِي عَلَيَّ وَمَا يَبْقِينِي⁽¹⁾

"درأته أزلته عن موضعه ودرأت الشيء نحيته ودفعته والدين الدأب والعادة والحال هذا كلام الضبي وقال أحمد بن عبيد درأته مددته وشدت به رحلها قال وقال أبو عبيدة دخلت على فلان

(1) المصدر السابق، ص 586.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الثاني: ثنائية الاستعارة والمجاز المرسل في النص الواصف

فقال ياجارية أدري لأبي عبدة الوسادة أي أبسطيها وقال الطوسي فيه كقول الضبي ومعناه أنه لا يدعني أستريح ويقال ما زال ذلك دينه ودأبه وديده وديدهونه⁽¹⁾

شرح ابن الأنباري "درأته والدين" رواية عن الضبي ثم روى بعدها عن أحمد بن عبيد

وأبو عبدة والطوسي والاستعارة هنا مكنية تخيلية جعلت فيها الناقة إنسانا يفهم فعندما يمد ركبها الوضين (وهو بمنزلة الحزام) ليشد الرجل تقول أن هذا ديدنه أبدا لا يمل ولا يتعب من ذلك فترى في مساءلته ما عساه يخفف من وطأة تعب الحل والترحال .

فابن الأنباري هنا لشرحه لغريب الألفاظ يذكر جميع المعاني الواردة المعروفة حول اللفظة التي يفسرها ليس معناها فقط كما ورد في البيت الذي هو بصدد شرحه، لأنه يعتمد على الرواية في الرواية وتفسير الغريب وشرح المعاني أيضا ولذا اعتبرت الاستعارة هنا غريبة ولا داعي لذكرها أو التعرض لها لأنها غير ممكنة في اضطراب التماثل كما قال جاكبسون، فالجملة في منظومتها العادية الدلالية لا يمكننا أن نحملها مالا تطيق وهي هنا تشبه قولنا "طار الخبر" فالخبر لا يطير وإنما الطائر، فالجملة العادية لا يمكننا أن نحملها دلالات لا تستطيع حملها، إلا إذا تجردت من ثوبها الواقعي إلى آخر تدخل به متاهات المجاز ودهاليزه المتشابكة .

"ولعل حدة الصراع المتناهي واللامتناهي هو ما يحدث الهزة العميقة، في الذات المبدعة بوصفها الأكثر حساسية والأقرب إلى حس الفجيعة، في قطبها السلبي لذلك نجدتها تعلو على الحقائق الثابتة، لاقتحام عالم المثل في مجابهة الواقع المزيف والهروب إلى نشدان الحلم

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الثاني: ثنائية الاستعارة والمجاز المرسل في النص الواصف

الفضل عله يظفر بشيء ذي بال في حريته الإبداعية التي تأتي انعكاساً لهذا الصراع في صورته الإنسانية وجوهه النبيل⁽¹⁾

وبهذا أصبح المجاز أحلى ما في الأدب وأمتعته لأنه يحمل الإنسان على عوالم خفية لا يمكن تصورها أو تخيلها إلا به .

فالمجاز يحدث لدى المتلقي من خلال وسائله الأسلوبية المختلفة هزة ولذة عارمة حيث يحفز المتلقي كذلك على الكشف والتأويل والتفسير لدقائق العمل الفني وإيحاءاته وصوره. وهو مرتبط عند ابن الأنباري بالتغيير، وهذا هو جوهر العمل الإبداعي، فبدون المجاز وضروره لا يمكن أن تتشكل اللغة الإبداعية التي تدهش المتلقي بحيلها وتمويهاتها الفنية، فهو الذي يجعل من القول قولاً شعرياً، ومن العمل الإبداعي عملاً إبداعياً، لأنه يعتمد على تجاوز المؤلف من خلال استخدام الصور المبنية على الاستعارة والكناية والمجاز المرسل والتشبيه. وقد كان ابن الأنباري يهدف من خلاله إثبات الغرض المقصود في نفس السامع أو القارئ بالتخييل والتصوير، حتى يكاد ينظر إليه عياناً.

من خلال ما سبق نلاحظ مدى اهتمام ابن الأنباري بالبنية البلاغية في شرحه لاسيما الاستعارة التي ذكرها باسمها مرات عديدة وأشار إليها في جميع مواضعها، بعكس الكناية التي ذكرها باسمها في بعض الأحيان وفي البعض الآخر أشار إليها بكلمة "مثل" أما بالنسبة إلى المجاز المرسل والإسناد المجازي فقد قام بشرحهما لتوضيحهما وتقريبهما إلى المتلقي غير أنه لم يذكرهما باسمهما ربما لأن هذين المصطلحين لم يظهرهما في الدراسات المتقدمة، وهذا

(1) لطفي عبد البديع: الشعر واللغة، ص79.

الفصل الثالث: وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الثاني: ثنائية الاستعارة والمجاز المرسل في النص الواصف

يعني أن ابن الأنباري قد أدرك بشكل واضح أن هناك مستويين للغة: المستوى العادي الذي لا تخرج فيه الألفاظ عن دلالتها ومعانيها المحددة، والمستوى المجازي الذي تخرج فيه الألفاظ عن دلالتها المحددة إلى دلالات أخرى يقتضيها السياق أو التركيب، وفي نماذجه التي تناولناها دليل على ذلك لاسيما وأن المجاز يتمكن به وبواسطته إظهار المعنى الواحد بأوجه وطرق متعددة، ويجعل اللغة تتداول بين المتخاطبين بكفاءة ومهارة، وهذا في الوقت الذي تمارس فيه الدلالة الحقيقية حضوراً أكيدا، إلا أن هذا الحضور تزاممه الاستعمالات المجازية للكلمات في صلب اللغة الواحدة وهذه المجازات التي تشحن بها بعض كلمات اللغة تكون أقدر على حمل الشحنة العاطفية التي يريد المتكلم أن يوصلها إلى السامع لكي يتفاعل معه بواسطة نفس كلمات اللغة، وألفاظها التي يعرفها كل منهما، ويعود سبب ذلك إلى طابع المجازات الذي يعلم حالها ومآلها من تكلم بها وطرحها. كما أن اللجوء إلى استعمال المجاز بأصريه المختلفة من استعارة ومجاز مرسل وعقلي وكناية وتشبيه نوعا من استعمال الكلام لخلق معنى جديدة وربط دلالات لألفاظ اللغة لم تكن معروفة سلفا في إطار استعمالات الدلالات الحقيقية .

الفصل الرابع:

وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: النقد الانطباعي:

المبحث الثاني: النقد اللغوي:

المبحث الثالث: السرقات الشعرية في النص الواصف:

المبحث الرابع: المفاضلات والموازنات:

المبحث الخامس: نقد أغاليط الشعراء:

المبحث السادس: نقد الرواية والرواة:

تمهيد

إنّ النقد هو صنوُ الأدب من حيث الاشتقاقُ منه والتسلطُ عليه، ومن حيث كونهما فنّين يهتمانِ بدنيا الذوقِ والجمالِ والتأثيرِ والانفعالِ متلازمانِ ولا بدّ ، لا ينفك أحدهما عن الآخر... بل يسيران معاً في تفاعل عام وتكامل تام... كالتوأمين أو كالرجل وظلّه ... وإذا كان الأدبُ قد نال حظّه الوافر من الجمع والتحليل والدراسة والشرح والتأريخ... فإنّ النقد أقلّ حظاً منه إذ لم ينل من الدراسة والاهتمام ما ناله الأدب، ربّما لأنّ جلّ الدارسين إنّما يعتبرونه تابعا للأدب، ولا ينبغي للتابع أن يسوى بالمتبوع... وربّما لأنّ في النقد ودراسة النقد شيئاً من الصناعة العقلية، والاجتهادات الفكرية التي لا يستطيعها إلاّ حذاق الأدب، فضلاً عن عامة النّاس والقراء... أو لأنّ المشتغلين بالأدب والمتأثرين به والمحبين والمتذوقين له بكلّ بساطة أعظم وأكثر...

ولهذا نجد في شرح ديوان المفضليات لابن الأنباري آراء ونظرات نقدية لها قيمتها الأدبية تدل على مقدرته وعمق نظرتة النقدية في تقويم هذا الأدب من خلالها، وهذه الآراء والنظرات في موضوعات نقدية مهمة، هي من أساسيات النقد القديم فمنها ما يعود إلى الألفاظ واللغة، ومنها ما يعود إلى المضمون كالمعاني والموازنات بين الشعراء، والسرققة وبناء القصيدة، وبعضها كان نقدا ذاتياً، ونحن نعرف أن النقد القديم موجود في الكتب النقدية الخالصة مثل الموازنة، والوساطة، ونقد الشعر والشعراء وغيرها، إلا أن ذلك لا يلغي قيمة ما يرد في غير هذه الكتب، من نظرات وآراء هي في النهاية تخوض في المسائل نفسها التي خاضت فيها كتب النقد . لاسيما وأن أساس النقد هو نظرات وآراء الأدباء والعلماء والشعراء فحيث ما وجد الأدب وجد

الفصل الرابع: وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

معناه النقد. وهدف الشارح هنا هو الفهم أولاً ثم إيفهام المتلقي ثانياً مستنداً في ذلك على آرائه وتصوراتهِ. وابن الأنباري ينشد من خلال عملية الشرح إيصال أفكاره وتصوراتهِ وتثبيتها في ذهن المتلقي حتى تثبت بالصورة التي يراها "إذ نجد في الأديب قارئاً ومتلقياً، وظيفته الشرح والتفسير والنقد حتى يألف القراء التعامل مع النصوص ولكي لا يسيئوا فهمها إذا كانوا لم يرتقوا بعد إلى مرتبة القارئ الممتاز، وهذا ما نلمسه... أو في الكتابات التي تهتم بشرح الشعر وتفسيره"⁽¹⁾

وبالتالي فإن عملية الشرح هي الوسيلة التي يستطيع بها الشارح نشر آرائه وتصوراتهِ، وذلك انطلاقاً من المفاهيم التي رفعت الستار عن رؤيته وتصوراتهِ التي يسعى لتحقيقها وهذا "يقتضي البحث في مقام التلفظ من جهة، وفي الغاية أو المقصدية التي تسعى إلى تحقيقها المتلفظ من خلال عملية تلفظه"⁽²⁾

(1) حميد سمير: النص وتفاعل المتلقي في الخطاب الأدبي، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2005، ص15.

(2) عبد الواسع الحميري: ما الخطاب وكيف نحلله، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2009، ص18-19.

المبحث الأول

النقد الانطباعي

1- نقد الألفاظ:

2- نقد المعنى:

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول : النقد الانطباعي

- النقد الانطباعي:

إنّ الإنسان ناقد بطبعه متذوق بفطرته، يطالب دائما بالأحسن والأجمل والأجود والأمثل في شؤون حياته كلّها، ولن يميل الشعر والأدب عن هذا المبدأ... إنّ قراءة الشعر وسماعه تقتضي ولا بدّ من تذوقه ونقده، وخاصة إذا كان ذلك من عارف بالشعر كالشاعر نفسه، أو راويته ولهذا ابتداء النقد بذكر الانطباع الذي يتركه الأثر الأدبي في النفس بالاستحسان أو الاستهجان اعتمادا " على الشعور والإحساس فالحكم مرتبط بهذا الإحساس قوة وضعفا والعربي يحس أثر الشعر إحساسا فطريا لا تعقيد فيه ، وبنزوعه جبلّة وطبعا وعماده في الحكم على ذوقه وسليقته ، فهما اللذان يهديانه إلى الجيد من فنون القول ، وإلى المبرّز من الشعراء"⁽¹⁾

والحقيقة أن هذا النقد الانطباعي لم يختص بالبدايات الأولى للنقد التي لا تقدم مبررات وقواعد للحكم النقدي، والتي على أساسها يكون الجيد والردّيء، وإنما كان هذا مصاحبا للعملية الأدبية حتى بعد أن وضعت أصول النقد، فكان الأديب ما يزال يستحسن الأدب الجيد ويستهجّن الردّيء ويصدر أحكاما " انطباعية" عنه بما يقتضيه الإحساس والشعور، وفي هذا يقول قصي حسين : "ولا شكّ أنّ العربي كان يحسّ بأثر الشعر إحساسا فطريا وعضويا بعيدا كلّ البعد عن التعقيدات وأنواع التعليل والتبرير، إنّه يتذوقه جبلّة وطبعا ، أما حكمه على

⁽¹⁾ طه أحمد إبراهيم: تاريخ النقد الأدبي ، من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ، دط، دار الحكمة، بيروت، لبنان، دت، ص23 .

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول : النقد الانطباعي

الشعر فهو يستند إلى ذائقتة الأدبية وحسن سليقته، وبالاعتماد على ذلك يتم الحكم على

الشعر والشعراء...⁽¹⁾ وقد وجدنا مثل هذه الأحكام النقدية في شرح ديوان المفضليات

لابن الأنباري بالرغم من أنه هناك مواضع كثيرة تستحق مثل هذا الاهتمام إلا أن

ابن الأنباري لم يصرح بها .

1- نقد الألفاظ:

تعد اللفظة أولى لبنات البناء الداخلي للنص، فهي أساس التركيب ومحور حساسيته

وخطورته لأنها "تحتل موضعاً تبت من خلاله إشعاعها في اتجاهات عديدة، وتستقبل في الوقت

ذاته إشعاعات تلك الاتجاهات المختلفة"⁽²⁾ وغاية الشاعر الدقة في اختيارها، ووضعها في

مواضعها اللائقة حتى تؤدي المعنى الذي يجول في نفسه، فقد تتقارب الكلمات من حيث

المعنى، لكن بعضها أدل على إحساس الشاعر من بعض، والشاعر الموفق هو الذي يهتدي إلى

الكلمة التي تكون شديدة الإبانة عما يريد .

إن مصطلح اللفظ "استخدم مفرداً وجمعاً للدلالة على الصياغة والتأليف والبنية الشكلية

القائمة على التصور الفني والمجازي"⁽³⁾ فألفاظ الشعر ذات مواصفات قد تكون إيجابية جيدة،

وقد تكون سلبية رديئة، فأما الألفاظ الجيدة في نظر النقاد هي تلك التي لا تخرج عن

مقاييس اللغة، وتتسم بالفصاحة والانسجام الصوتي والوضوح الدلالي، حتى يستطيع الشاعر

(1) قصي الحسين: النقد الأدبي عند العرب واليونان معاملة وأعلامه، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2003،

ص29-30.

(2) صلاح رزق: أدبية النص، محاولة لتأسيس منهج نقدي عربي، دار غريب، القاهرة، 2002، ص217.

(3) المرجع نفسه، ص86.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول : النقد الانطباعي

أن يعبر عن الصورة أو المعنى الذي يريد إيصاله بكل وضوح وبيان، وأما الألفاظ الرديئة في نظرهم فهي التي تتنافر حروفها وتتسم بالغرابة والابتدال، فتؤدي إلى غموض المعنى وبعده عن الفصاحة والبلاغة، "وحتى تكون اللفظة مستحسنة وفصيحة بعيدة عن التنافر يجب أن تتألف من حروف متباعدة المخارج"⁽¹⁾ ومن ثم فالتباعد سمة من سمات جودة اللفظة، ولذلك رفض النقاد القدماء واستقبحوا كل تركيب تقاربت مخارج حروفه، ومثلما استنكر النقاد القدماء التنافر الصوتي بين الألفاظ وعدوه عيباً في الشعر ولغته، نراهم يحرصون على خلو لغة الشعر من الألفاظ الوحشية الغريبة، والألفاظ العمية المبتذلة، وذلك بوضع اللفظ في موضعه اللائق به، لأن اللفظة التي لا توضع في مكانها المناسب فإنها تعد وحشية، وأما إذا وضعت في موضعها الذي يقتضيه الاستعمال، فإن ذلك يؤدي إلى جودة المعنى المعبر عنه .

إذن فكلمة كانت الألفاظ المستعملة في إطارها المعجمي وفق ما تقتضيه اللغة، كلما كانت هذه الألفاظ فصيحة، وعلى عكس ذلك فاستعمال الشعراء للألفاظ المتنافرة المبتذلة ووضعها في غير مواضعها يؤدي إلى اختلال الصورة الفنية، ومن ثم إلى فساد المعنى، وذلك "لأن الوظيفة الأساسية للصورة - في حقيقة الأمر - راجعة إلى أنها المحرك الرئيسي لدلالات النص، أو بالأحرى إنها نشاط لغوي خالق للمعنى، فهي لذلك جسر المبدع نحو عالم جديد يخلقه هو بواسطة اللغة"⁽²⁾

(1) محمد بن سنان الخفاجي : سر الفصاحة، تح عبد المتعال الصعيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص54.

(2) المرجع نفسه، ص92.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول : النقد الانطباعي

وكان أبو هلال العسكري من النقاد الذين اهتموا بالشعر وما يعتريه من عيوب، وفي نقده كان شديد الحرص على أن لا يستعمل الألفاظ الوحشية في الشعر، لأن ذلك يؤدي إلى غموض المعنى وإبهامه، حيث أن الشاعر إذا ذهب هذا المذهب في شعره دل ذلك على عجزه وقصوره "فأما من أراد الإبانة في مديح أو غزل، أو صفة شيء، فأتى بإغلاق دل ذلك على عجزه على الإبانة وقصور عن الإفصاح"⁽¹⁾.

ولكن ليس معنى هذا أن نصف أو نحكم على الشاعر الذي نهج هذا السبيل بالعجز، وعدم القدرة عن الإبانة من خلال البيت أو بضعة أبيات غامضة المعنى .

ومثلما نظر النقاد في حديثهم عن خصائص اللفظة المفردة إلى الخاصية الصوتية، وتحدثوا عن انسجام الحروف داخل اللفظة الواحدة، نراهم يراعون نفس المقياس في حديثهم عن جودة تأليف الألفاظ داخل البيت الشعري، وهو مقياس مهم اعتمده النقاد في نقدهم اللغوي والبلاغي .

فالجاحظ يرى أن الألفاظ عندما تدخل مستوى التأليف قد لا تكون منسجمة مع بعضها فنذكر أن "من ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر، وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلا ببعض الاستكراه"⁽²⁾.

إن عدم الانسجام الصوتي بين ألفاظ البيت الشعري يسبب استثقاله، ويجعل العلاقة بين الألفاظ علاقة تنافر، وإذا "كان الشعر مستكراها، وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها

(1) أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص45.

(2) عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص65.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول : النقد الانطباعي

مماثلا لبعض ،كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلات ،وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مرضيا موافقا ،كان على اللسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة⁽¹⁾

يظهر لنا جليا مما سبق أن مراعاة سلامة ألفاظ البيت الشعري من التنافر، و الانسجام والمماثلة بين الألفاظ من مقاييس جودته، ذلك أن الكلمة إذا كان موقعها غير مناسب لأختها المجاورة لها شكلت معها ثقلا في النطق بها، وكلفت اللسان مؤونة، فكلما كان الانسجام الصوتي بين ألفاظ البيت الشعري كان الشعر سلسا عذبا ،وكلما كان التنافر بينهما أدى ذلك إلى استكراهها واستثقالها "وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر، متفقة ملساء ولينة المعاطف سهلة ،وتراها مختلفة متباينة ومتنافرة مستكرهة تشق على اللسان وتكده ،والأخرى تراها سلسلة لينة ورطبة مواتية سلسلة النظام ،خفيفة على اللسان حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة ،وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد"⁽²⁾

وهكذا يجمع معظم النقاد القدماء على أهمية الانسجام الصوتي بين ألفاظ البيت الشعري، ويعتبرون الإخلال به عيبا من عيوبه ،ونستنتج من خلال ما سبق أيضا أن مقياس التلاؤم الصوتي بين الألفاظ يعتبر مقياسا موضوعيا،يظهر أثره في الصوت كما تظهر الصورة أو المنظر للعين .وهذا ما نلاحظه من خلال شرح ابن الأنباري للمفضليات:

جَلالٌ ما أُرُ الضَّبَّعَيْنِ يَخْدي عَلى يَسْرَاتِ مَلْزُوزِ سُرَاعِ⁽³⁾

(1) المرجع السابق،ص66- 67.

(2) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات ،ص67.

(3) المصدر نفسه، ص377.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول : النقد الانطباعي

"كذا رواه أبو عكرمة وقال:الجلال الضخم وقوله مائر الضبعين يريد سعة جلده وأنه يمور أي يذهب ويجيء ويخدي من الوخد وهو ضرب من السير هو الوخد والوخذان وأراد باليسرات القوائم أي أنها خفيفة سراع وسراع نعت لليسرات ويروى سراع بضم السين فيكون حينئذ نعت للجلال ولا يكون الشاعر أقوى هذا تفسير أبي عكرمة وقال أبو جعفر وأنكر هذه الرواية وروى تخدي به يسرات ملزوز سراع فمن روى رواية أبي عكرمة لم يختر على الضم في سراع ولم يكسرها وقال يخدي من الوخد وهذا باطل إنما يقال وخذ يخذ ولا يقال وخذ يخدي إنما يقال من هذه اللغة خدى يخدي خديا وخديانا وسراع كما تقول كبير وكبار، ومائر الضبعين قال أبو جعفر يعني أفتل ويسرات قوائمه وملزوز وثق والمعنى على قوائم بغير ملزوز مجتمع لز جمع" (1)

نقل ابن الأنباري رواية أبي عكرمة ثم شرح بعدها "الجلال ومائر الضبعين، ويخدي"، ثم روى عن أبي جعفر الذي قال بأنه أنكر رواية أبي عكرمة وإنما وخذ من يخذ وليست من يخدي ورأى بأن هذا باطل ولا يجوز ذلك أبدا وإنما كلمة يخدي من خدى وأعطى مثال لذلك لإقناع القارئ بنقده هذا.

وبالكف زوراء جرّمية من القضب تعقب عرّفا نئيماً (2)

(1) المصدر السابق، ص377.

(2) المصدر نفسه، ص358.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول : النقد الانطباعي

"ويروى زوراء حرمية رفع الزوراء القوس والحرمية منسوبة إلى الحرم وقوله القضب يريد أنها عملت من قضيب والعزف صوتها مأخوذ من عزيز الجن والنثيم أيضا الصوت وهو دون الزئير وروى أحمد من القضب بالفتح وقال هو أجود"⁽¹⁾

روى ابن الأنباري رواية أخرى للبيت ثم شرح كلمتي "القضيب والنثيم" ونقل بعدها رواية أحمد وذكر نقده لكلمة "القضب" التي رأى بأنها بالفتح أجود منها بالكسر .

مَنْ مَبْلُغٌ سَعْدَ بِنِ النَّعْمَانَ مَأْكَأَ وَسَعْدَ بِنِ دُبْيَانَ الَّذِي قَدْ تَخْتَمًا⁽²⁾

"قال أحمد تختم لبس العمامة وتكبر وتعظم بمنزلة الملك الذي تختم لبس العمامة ومألكا من الألوك وهي الرسالة ويروى قد تخيما أي أقام وقال أبو عبيدة يقال مألك ومألك بالهمز قبل اللام يريد الرسالة قال وقال عدي بن زيد:

أَبْلِغِ النَّعْمَانَ عَنِّي مَأْكَأَ أَنَّهُ قَدْ طَالَ حَبْسِي وَانْتِظَارِي

أراد مألكا فموضع الهمزة قبل اللام فأخرها عدي بعد اللام وقدم اللام فجعلها قبل الهمزة وجمعت على هذا اللفظ مائلك الهمزة مؤخرة وسبيلها أن تكون الهمزة أولا والجمع ألائك مآلك ثم حذفوا همزها لما جعلوها فعلا كقول النابغة

أَلَكْنِي يَا عَيْنِينَ إِلَيْكَ قَوْلًا سَتَحْمَلُهُ الرُّوَاةُ إِلَيْكَ عَنِّي

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه، ص624.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول : النقد الانطباعي

أراد الهمزة فجعله من تقدير أقلني كأنه ألكني هذا كلام يعقوب ولو حملت ألكني على

أصله لقلت ألكني ثم تحذف همزة الأصل وهي ساكنة فصار ألكني قال لبيد

وَعُلَامٍ أَرْسَلْتُهُ أُمَّهُ بِالْوَكِّ فَبَدَّلْنَا مَا سَأَلَ

خرجت هذه الهمزة عن الأصل⁽¹⁾

ذكر ابن الأنباري رواية أحمد ثم شرح كلمة "مألك" ، وأورد بعدها شرح أبي عبيدة للكلمة

السابقة، واستشهد على ذلك بقول عدي بن زيد الذي قال "مألكا" وأراد مألكا فأخر الهمزة

بعد اللام وجعل جمعها ألكك وحذفوا همزها عندما جعلوها فعلا، لأن أصلها "ألكني"

واستشهد على ذلك بقول النابغة وبعدها بقول لبيد، ولهذا نقد ابن الأنباري هذه الكلمة

ورأى أن هذه الهمزة قد خرجت على الأصل.

إن قدرة الشاعر على اختيار الألفاظ وحسن التعامل معها دون خرق القواعد اللغوية

المتعارف عليها، هو المعيار الذي حدده النقاد القدماء للحكم على الشعر بالجودة، لأن سلامة

اللغة من حيث الألفاظ والصيغ والتراكيب هو الذي يصل بالنص إلى مستوى من الفصاحة

والبلاغة. وهذا هو المعيار الذي اعتمد عليه ابن الأنباري في نقده للألفاظ .

2- نقد المعنى:

المقصود بالمعاني دلالات الألفاظ سواء على ما وضعت له حقيقة أو نقلا (المجازات)، لأن

الكلام يشتمل على معان تدل عليها، ويعبر عنها، فيحتاج صاحبه إلى إصابة المعنى وتحسين

(1) المصدر السابق، ص625.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول : النقد الانطباعي

اللفظ ، ولكي تكون هذه المعاني سليمة في حس الناقد العربي البسيط ينبغي أن تكون مطابقة لذاته وأحاسيسه ، معبرة عن قيمه ومثله ، عاكسة لواقعه وبيئته من حوله فإن كانت كذلك فهي جميلة مستحسنة في ذوقه وأحكامه، وإن خالفت ذلك فهي مستهجنة قبيحة يسارع إلى انتقادها بأسلوبه البسيط، المتماشي مع طبيعة بيئته لذلك فقد "استخدم مصطلح المعنى كثيرا للدلالة على الفكرة المجردة التي يتم تحديدها لدى الناقد بعيدا عن النص"⁽¹⁾

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا دَمْنَةٌ وَمَنَازِلٌ كَمَا وَدَّ فِي خَطِّ الدَّوَا قَمِدَادُهَا⁽²⁾

"يصف الدار ودروسها كما قال لبيد كما ضمن الوحي سلامها والوحي جمع وحي والسلام الصخور وكما قال الشماخ بن ضرار التغلبي

كَمَا خَطَّ عِبْرَانِيَّةً بِيَمِينِهِ بَتَيْمَاءَ حَبْرٌ ثُمَّ عَرَضَ أَسْطُرًا

وقال مرار بن سعيد القفيسي:

عَفَتِ الْمَنَازِلُ غَيْرَ مِثْلِ الْأَنْقُسِ بَعْدَ الزُّمَانِ عَرَفْتُهُ بِالْقَرَطُسِ

يعني الكتاب بالأنقس ويعني جمع نقس مثل قدح وأقدح شبه آثار المنازل بالكتاب وإن شئت الرسم والقرطس يعني قرطاسا وأراد غير مثل الأنقس بالقرطس أي أنه بين وشبهه ما سودوا ودمنوا بالرماد وغير ذلك بسواد المداد وأما قول عدي ابن الرقاع العاملي:

تَرْجِي أَعْنَ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادُهَا

⁽¹⁾ حسن طبل: المعنى الشعري في التراث النقدي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1998، ص223.

⁽²⁾ ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات، ص743.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول : النقد الانطباعي

فإنه شبه سواد القرن عند طلوعه بسواد المداد وهذا البيت يستحسن في معناه جدا...⁽¹⁾

ذكر ابن الأنباري معنى البيت الشعري الذي أراد الشاعر من ورائه وصف الدار ودروسها، واستشهد بقول لبيد والشماخ بن ضرار التغلبي ومرار بن سعيد القفحسي، ثم أشار بعدها إلى أن الشاعر أراد بالأنقس الكتاب أو الرسم والقرطس فقد شبه ما سودوا ودمنوا بالرماد وأعطى مثالا لذلك بقول عدي ابن الرقاع العاملي الذي شبه فيه سواد القرن عند طلوعه بسواد المداد، وقال بأنه أحسن في معناه بكثير من الأبيات السابقة.

لَوْ يَيْسِرُونَ بِخَيْلٍ قَدْ يَسَّرْتُ بِهَا وَكَلَّمَا يَسَّرُ الْأَقْوَامُ مَغْرُومٌ⁽²⁾

"قال الضبي يقول أنما يكون الميسر بالإبل وإنما يأخذ في الميسر كبارهم يقول فلو صاروا إلى أن ييسروا بالخيل ليسرت بها قال أبو عكرمة وأخبرني من سمع الأصمعي يقول هذا البيت بعد صفة الفرس وذلك أنه وصفه بما وصف ثم قال لو ييسرون بالخيل ليسرت بهذه الفرس التي حالها على ما وصفت لم ينكر أن يكون في هذا الموضع غير أنه قال سمعناه في ذلك الموضع وهو أجود المعنيين...⁽³⁾

نقل ابن الأنباري معنى البيت الشعري عن الضبي، ثم روى عن أبي عكرمة ما سمعه عن الأصمعي فيما يخص معنى البيت أيضا، وهو الذي قال عنه ابن الأنباري بأنه أجود المعنيين، وأحسنهما وأقربهما .

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه، ص818.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول : النقد الانطباعي

كما أن الاختلاف في مستويات المعنى للنص الواحد راجع إلى اختلاف القراءات ولقد أشار بعض النقاد قديما وحديثا إلى هذه القضية بمن فيهم عبد القاهر الجرجاني الذي علق على المعنى، ومعنى المعنى في النص الشعري فقال "وهي أن نقول المعنى ومعنى المعنى نعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن نعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر"⁽¹⁾ وذلك يتم في حركة تتيح توالد المعاني وتناسل الدلالات جراء تحول المدلول حين القراءة إلى دال آخر.

ولا فَضْحُ الْفُضُوحِ وَلَا شُبَيْمٌ ولا سَلْمَاكُمُ صَمِّي صَمَامٍ⁽²⁾

"...ومثله قول الآخر

كَأَنِّي إِذْ دَعَوْتُ بَنِي تَمِيمٍ دَعَوْتُ بِدَعَوْتِي لَهُمُ الْجِبَالَ

يكون هذا البيت مدحا من هذا المعنى الذي مضى من سرعة إجابة الصدى إن قال لا قال لا وإن قال نعم قال نعم، متصلا بكلامه ليس بينهما فترة ويكون ذما شبههم بتناقلهم عن إجابتهم بالجبال التي لا تتحرك من مواضعها يقول كأن دعوتي بدعوتي إياهم الجبال يريد أنهم في تناقلهم عن إجابته وإبطائهم كالجبال التي لا تتحرك عن مواضعها هذين المعنيين يحتملها هذا البيت جميعا"⁽³⁾

(1) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص171.

(2) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضلين، ص761.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول : النقد الانطباعي

ذكر ابن الأنباري معنيين لهذا البيت فمن خلال المعنى الأول اعتبر البيت مدحا ومن خلال المعنى الثاني اعتبره ذما ،"فقد يكون للمعنى عبارتان أو أكثر واحدة تلزم فيها الضرورة إلا أنها مطابقة لمقتضى الحال ولا شك أنهم في هذه الحال يرجعون إلى الضرورة لأن اعتنائهم بالمعنى أشد من اعتنائهم باللفظ"⁽¹⁾

⁽¹⁾ عبد القادر البغدادي :خزانة الآداب ،دط،القاهرة ،1979،ج1،ص34.

المبحث الثاني

النقد اللغوي

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني : النقد اللغوي

النقد اللغوي:

1- مفهوم النقد اللغوي:

يعالج النقد اللغوي قضية من قضايا اللغة، فهو جزء من النقد والعلاقة بينهما علاقة الجزء بالكل، وفي النقد القديم لا يمكن أن نميز بين ما هو لغة وبين ما هو أدب، فالنقد الأدبي هو نقد لغوي لأن الشاعر كان لغوياً وشعره مصدر من مصادر اللغة، والعرب في العصر الجاهلي كانوا يتكلمون على سليقتهم ولم يكن اللحن موجوداً في الجاهلية. وفي عصر صدر الإسلام وبعد اتساع رقعة الإسلام واتصال العرب بغيرهم من جرّاء الفتوح ودخول أعداد كبيرة في الإسلام، كل ذلك كان له تأثير كبير في فصاحة اللغة وسلامتها، فقد بدأ التحريف يتطرق إلى اللغة، كما بدأ الداخلون في الإسلام من أبناء الشعوب الأخرى يتعلمون العربية ويعالجون التفاهم بها مع العرب، فلقيت على ألسنتهم صنوفاً من التغيير وضروباً من الانحراف والفساد في أصوات كلماتها وأوزانها وفي نحوها وأساليب تركيبها، ومن خلال هذا كله كانت هناك رقابة صارمة تنظر بعين نافذة إلى ملايين البشر في مجتمع مترامي الأطراف واسع الأرض فتسجل في إحصاءات متعاقبة مقادير اللحن ونماذج الأخطاء الدائرة على الألسن بعد أن وضع النحو وصارت العربية صناعة ودربة. فكانت تلك الحركة تنظر إلى العامة أول الأمر وهم يرسلون أحاديثهم بغير التزام أو إعراب فوجدتهم ينحرفون عن السنن لأكثر مما يصيبون، وسجلت لهم ذلك دون ملال أو كلال لكنها رأت أن تنصرف إلى مراقبة الخاصة من العلماء والأدباء لتنبه على أخطائهم وتشير إلى وجه الفصاحة والصواب فكانت حصيلة هذا عشرات من المصنفات اللغوية العاملة على تنقية اللغة العربية من كل شائبة أو

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الثاني : النقد اللغوي

تحريف وتلك هي حركة التصحيح اللغوي المبتدئة بأول تنبيه على أقدم لحن عربي، "إلا أن اللغويين الذين تصدوا لتثقيف الألسن وتقويم اعوجاجها لم يتفوقوا على مقياس محدود على أساسه الحكم بالصحة أو الخطأ ، فمنهم من سلك مسلكاً متشدداً بالوقوف عندما سمع وعدم الاعتراف إلا بالأفصح وما عداه فهو خطأ"⁽¹⁾ ومنهم من ذهب "إلى التساهل وتجويز النطق بالنادر والرديء ما دام ذلك وارداً في لهجة من لهجات العرب"⁽²⁾ .

لقد عدّ اللغويون المتشددون كل كلام مخالف لكلام القبائل الفصيحة خطأ ولحنًا، وكان الأصمعي على رأس المتشددين، ومنهم الفراء (ت 207 هـ) في كتابه (البهاء فيما تلحن فيه العامة) ، وثعلب (ت 291) في كتابه (الفصح) ، و ابن قتيبة (ت 276 هـ) في كتابه (أدب الكاتب) ...والذي يجمع بين هذه الكتب هو الأفصح والفصح والعامي (المولد) الذي يساوي الخطأ ،أو الخروج على الفصح والأفصح . أما اللغويون المتساهلون فأغلبهم من المتأخرين ويمثلهم ابن مكي الصقلي (ت 501 هـ) في كتابه (تثقيف اللسان وتلقيح الجنان)، وابن السيد البطليوسي (ت 521 هـ) في كتابه (الاقتضاب في شرح أدب الكاتب) وهو شرح لكتاب (أدب الكاتب) لابن قتيبة...

فباللغويين القدامى عرضوا للخطأ اللغوي وجدوا في مقاومته إلا أنهم كانوا فريقين ، الأول متشدد يقف عند الأفصح ويمنع عداه . والثاني متساهل يرفض ما لم تتكلم به العرب ، ويجيز كل ما تكلمت به ، ويساوي بين القبائل في الفصاحة والبيان ، فهم من جانب تشددوا في

(1) عبد العزيز مطر: لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، دط، القاهرة: 1966، ص 47 .

(2) نعمه رحيم العزاوي :مناهج التصويب اللغوي دار الحرية للطباعة، بغداد، العدد 1، 1977 ، ص 13 .

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني : النقد اللغوي

قياسهم اللغوي وطبقوا معيارية صارخة ، ومن جهة ثانية كشفوا الألفاظ التي تكلم بها المولدون سواء ما ورد على لسان العامة أو الخاصة ، "والخاصة تعنى الشعراء المحدثين الذين كشف النقد اللغوي سمات التجديد اللغوي والفني في شعرهم من خلال مقارنة استعمالاتهم في استعمالات القديم"⁽¹⁾

ولهذا وجه النحويون واللغويون نقدهم للغة، لاسيما عند الأوائل منهم، فكان الشيء الذي يثير اهتمامهم هو اللغة والنحو، وذلك وفقا لمجال عملهم فلم يمر عليهم شعر فيه أخطاء نحوية أو لغوية، إلا ونقدوها، فقد كان هؤلاء النحاة واللغويين يتتبعون كلام العرب ليستنبطوا منه قاعدة ما، وهذا الاستنباط يجبرهم بالضرورة إلى نقد الشعر لا من حيث عدويته أو رفته أو جماله الفني ، بل من حيث مخالفته للأصول التي هداهم استقراؤهم إليها من إعراب أو وزن أو قافية . فأظهروا بعض ما وقع فيه شعراء الجاهلية من الخطأ في الصياغة اللغوية .

وقد أشار ابن الأنباري إلى مثل هذه الأخطاء اللغوية في مواضع كثيرة من شرحه نورد بعض الأمثلة منها :

وَعِنْدِي إِذَا الْحَرْبُ الْعَوَانُ تَلَقَّحَتْ وَأَبْدَتْ هَوَادِيهَا الْخَطُوبُ الزَّلَازِلُ⁽²⁾

(1) محمد ضاري حمادي : حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث دط، منشورات وزارة الثقافة والأعلام ، 1980 ،

ص 36 .

(2) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات ، ص 164 .

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الثاني : النقد اللغوي

"الحرب العوان التي قوتل فيها مرة بعد مرة وهو أشد لها لتذكرهم للأوتار التي تقدمت فيها وقوله تلقحت أي تلقحت بالقتال أي حملته واستقلت به وهذا مثل والخطوب الأمور الواحد خطب والزلازل الأمور التي تصيب الناس منها كالزلزلة لشدتها وموضع هواديهما نصب فسكن الياء وكان يجب فتحها وإنما فعل ذلك كراهية لكثرة الحركات كقول الأسدي :

كُنَّا نُرْقِعُهَا فَقَدْ مُزِقَتْ وَأَتَّسَعَ الْخَرْقُ عَلَى الرَّاقِعِ

وكان ينبغي أن يقول نرقعها فسكن العين لكثرة الحركات وكقول الحطامي:

تَأَبَى قَضَاعَةٌ أَنْ تُعْرِفَ لَكُمْ نَسَبًا وَابْنَا نِزَارَ فَأَنْتُمْ بَيْضَةُ الْبَلَدِ

كان الواجب أن يفتح الفاء من تعرف بيضة البلد في الخير والشر مدح وذم وهوادي كل شيء أوائله ...⁽¹⁾

شرح ابن الأنباري "الحرب العوان، تلقحت، والخطوب" وأشار إلى أن موضع "هواديهما" النصب، إلا أن الشاعر سكن الياء وقد برر الشارح هنا خطأ الشاعر وأرجع ذلك لكثرة الحركات ولهذا كان الشاعر ملزما لتسكين الياء واستشهد بقول الأسدي الذي كان ينبغي أيضا أن يرفع العين في "نرقعها" إلا أنه سكن العين لكثرة الحركات أيضا، ونفس الشيء بالنسبة إلى "تعرف" في بيت الحطامي الذي استشهد به الشارح لتأكيد المعنى وتقويته.

فقد جوز النحويون للشاعر في الشعر ما لم يجزله في الكلام العادي، لكون الشعر موضعا قد أنفت فيه الضرائر، ولكون الشاعر ملزما بإقامة الوزن فقد يضطر إلى مخالفة المؤلف فيما

⁽¹⁾ المصدر السابق، الصفحة نفسها.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني : النقد اللغوي

جاء من قواعد اللغة وهذا ما أشار عليه ابن الأنباري بقوله "كان ينبغي أن يقول نرقعها فسكن العين لكثرة الحركات" ومثله أيضا:

تُحْفُهُ هِقْلَةٌ سَطْعَاءُ خَاضِعَةٌ تُجِيبُهُ بِزِمَارٍ فِيهِ تَرْنِيمٌ⁽¹⁾

"سطعاء طويلة العنق والمزمار صوت الأنثى والعرار صوت الذكر يقال عار الظليم النعامة والترنيم تطريب في الصوت قال الرستمي تحفه الهاء للظليم والفعل للنعامة أي تأتيه من حافته وتحيط به وحافته جوانبه وجوانب كل شيء حافته الواحدة حافة والهقلة النعامة والذكر هقل وهي الهيقة والذكر هيق وهي الصعونة والصعون الذكر والظليم والظليمة الهجف والهجفة الجافيان والزأجل ماء الظليم والرئال فراخه قال الشاعر:

فَمَا بِيضَاتُ ذِي لِبَدٍ هِجْفٍ شَرِينٌ بِرَأْجَلٍ حَتَّى رَوِينَا

وواحد الرئال رأل قال امرؤ القيس "كأن مكان الردف منه على الرال" لايجوز همزه في البيت لأن الألف ردف ولو همزت لفسد البناء..."⁽²⁾

شرح ابن الأنباري "سطعاء، الزمار، والترنيم" ثم نقل رواية الرستمي وشرح بعدها "جوانبه، والهقلة" واستشهد ببيت شعري وذكر بعدها واحد "الرئال" الذي هو "رأل" واستشهد بقول امرؤ القيس وقال ابن الأنباري أنه لا يمكن همز الألف في هذه الكلمة ولو همزت أفسدت المعنى.

(1) المصدر السابق، ص 809.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني : النقد اللغوي

وروايات ابن الأنباري النقدية تبين كيف أنه يبحث في الكلمة المفردة ومدى صحتها وخطئها وملاءمتها لمكانها، واستعمالها الأدبي كذلك ويبحث في التركيب ومدى ما فيه من تلاؤم وتناسب ومن هنات و تنافر واضطراب، يحول بينه وبين إشعاعه الفني، ومع رحابة فكرهم كان غالب نقدهم جزئياً مقتصرأ على جواب عن سؤال، أو تفسير لخبر، أو شرح للفظ غريب، وقد يكون ذلك لأن ما سبقه من نقد لم يكن مقصودا بمعناه الاصطلاحي بل كان نابعاً من الاهتمام برواية الشعر والغريب والاستشهاد به.

وقد أصاحبُ فتياناً طَعَامُهُمْ خُضْرُ الْمَزَادِ وَلَحْمٌ فِيهِ تَنْشِيمٌ⁽¹⁾

"قال الضبي خضر المزاد يعني المزاد المطحلبة التي قد اخضرت مما يحمل فيها الماء وقال بعضهم بل كروش كانوا يحملون فيها الماء والتنشيم بدء تغير الريح يقال قد نشم اللحم إذا بدأ فيه التغير وقد نشم الرجل في الحاجة إذا بدأ فيها ومنه الحديث (لما نشم الناس في عثمان رحمه الله تعالى) أي ابتدؤوا في الطعن عليه ويقال قد نشم فلان في فعل سوء والمعنى إذا غزو كان هذا طعامهم قال الأصمعي كان ينبغي أن يقول شرابهم خضر المزاد فجمع اللحم والشرب كقول العجاج:

قَرُقُورٌ سَاجٌ سَاجُهُ مُطْلِيٌّ بِالْقَيْرِ وَالضَّبَابِ زَنْبَرِيٌّ...⁽²⁾

(1) المصدر السابق، ص818.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني : النقد اللغوي

نقل ابن الأنباري عن الضبي شرح "خضر المزاد، والتنشيم" واستشهد على ذلك بحديث نبوي شريف وذكر بعدها المعنى العام للبيت الشعري، ونقد الأصمعي لـ"طعامهم" وقال أنه ينبغي أن يقول شرابهم حتى يتم المعنى اللغوي المراد واستشهد على ذلك ببيت العجاج.

ومن النقد اللغوي الذي ورد في شرح ابن الأنباري للمفضليات إشارته إلى التصحيفات الواردة في أشعار الديوان .

2- التصحيف:

التصحيف أمر شغل العديد من العلماء والمفكرين قديما، وحديثا لما له من كبير الأثر، وعظيم الخطر، في عالم الأدب والفكر والدين، وهو في لسان العرب "الخطأ في الصحيفة، والمصحف والمصحفي الذي يروي الخطأ عن قراءة الصحف وأصل التصحيف رواية الخطأ عن قراءة الصحف باشتباه الحروف"⁽¹⁾ وقد عرفه الأصفهاني بقوله: "هو أن يُقرأ الشيء بخلاف ما أرادَه كاتبُه، وعلى غير ما اصطلح عليه في تسميته"⁽²⁾.

ويقول ابن سيده في المحكم "والمصحف والمصحفي: الذي يروي الخطأ عن قراءة الصحف باشتباه الحروف"⁽³⁾

(1) ابن منظور: لسان العرب، مادة صحف، ج9، ص189.

(2) الأصفهاني، حمزة بن الحسن، التنبيه على حدوث التصحيف، حققه: محمد أسعد طلس راجعه: أسماء الحمصي وعبد المعين الملوحي، الطبعة 2، دار صادر بيروت، 1992، ص26.

(3) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دمشق، دار القلم، 1986م، مادة: صحف، ص462.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني : النقد اللغوي

فالتصحيف على رأي العلماء أخذ العلم عن طريق الصحف دون لقاء الأساتذة العلماء والأخذ عن مجالس علمهم، لذلك سمو هذه الفئة من الناس بالمصحفين اشتقاقاً من التصحيف وأصله "أن يأخذ الرجل اللفظ من قراءة في صحيفة ولم يكن سمعه من الرجال فيغيره عن الصواب"⁽¹⁾

وقال الخليل "إن الصحفي الذي يروي الخطأ من قراءة الصحف بأشباه الحروف، وأصل هذا أن قوما كانوا قد أخذوا العلم عن الصحف من غير أن يلقوا فيه العلماء، فكان يقع فيما يروونه التغيير فيقال قد صحفوا أي رددوه عن الصحف وهم مصحفون والمصدر التصحيف"⁽²⁾ وبعبارة أخرى يكون التصحيف خاصاً بتغيير نقط أو حركة الحرف دون تغيير صورته. لذلك كانت محاربة التصحيف والتحريف من أبرز الصعوبات التي واجهت القائمين على اللغة، فقد أحس العلماء أن اللغة العربية كانت تتعرض أثناء كتابتها وقراءتها إلى عوامل عدة متشابكة تؤدي إلى التصحيف، فاتخذوا الوسائل اللازمة من أجل حماية اللغة ومحاربة اللحن .

ومن العوامل المهمة التي ساعدت على التصحيف في اللغة هي مخالطة العرب لغيرهم من الأعاجم، وبالتالي البعد عن السليقة العربية البدوية، أضف إلى ذلك أن العلماء حينما ساحوا لجمع اللغة من القبائل الفصيحة كان هم كل واحد أن يسجل ما تلتقطه أذنه من

(1) السيوطي: المزهج، ج2، ص222.

(2) أبو أحمد العسكري: ما يقع فيه التصحيف والتحريف، تح عبد العزيز أحمد، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1963، ص13.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني : النقد اللغوي

أفواه الرواة شفاهها، كما أن العلماء يروون عن رواة مختلفين ويسجلون من مصادر مختلفة فيأتي هذا الاختلاف.

2- 1- أنواع التصحيف :

التصحيف نوعان تصحيف بصر وتصحيف سمع:

2- 1- 1- تصحيف البصر: وينشأ عن اختلاط نقط الحروف المتشابهة ويترتب عنه كلمة جديدة قد تكون صحيحة لغة ومعنى ولكنها غير الكلمة التي قصدتها المؤلف حين كتب مؤلفه أو أملاه وفي ذلك يقول حمزة الأصفهاني "أجاب أهل المعاني في معنى التصحيف فقالوا: أن يقرأ الشيخ بخلاف ما أراد كاتبه وعلى ما اصطاح عليه في تسميته"⁽¹⁾

2- 1- 2- تصحيف السمع: فأكثر ما يقع في الأحرف المتقاربة صفة أو مخرجا وهي غالبا لا تتشابه رسما عند إهمال نقطها:

كالهمزة والهاء، والباء والميم، والتاء والطاء، والثاء والفاء والسين، والجيم والشين، والذال والضاد، والذال والزاي والطاء، والسين والصاد، والقاف والكاف"⁽²⁾

والاحتراس من التصحيف لا يُدرَك إلا بعلم غزير، ورواية كثيرة، وفهم كبير، وبمعرفة مُقدِّمات الكلام، وما يصلح أن يأتي بعدها مما يُشاكلها، وما يستحيل مُضامته لها ومقارنته

⁽¹⁾ عبد المجيد دياب: تحقيق التراث العربي، منهجه وتطوره، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1993، ص166.

⁽²⁾ صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين بيروت - لبنان، ط4، أكتوبر 2000 م، ص237

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني : النقد اللغوي

بها، ويمتنع من وقوعه بعدها. وتمييز هذا مستصعب عسير إلا على أهله، الحاملين لثقله، والمستعذبين لمرارته.

خُدَارِيَّةٌ سَفْعَاءُ لِبَدِّ رِيَشِهَا مِنْ الطَّلِّ يَوْمٌ ذُو أَهَاضِيْبٍ مَا طُرٌّ⁽¹⁾

"السفعاء مأخوذة من السفعة وهو سواد يضرب إلى الحمرة ومنه قيل للأثافي سفع لأن النار تلوحها ويروى خدارية صقعاء وهي التي في ذنبها بياض والطل الندى والأهاضيب جمع هضبة وهي دفعة من المطر والخدارية التي يضرب لونها إلى السواد وأصل الخدر تكاثف ظلمة الغيم ويروى لثق ريشها بطخفة يوم ويروى من الدجن يوم ويروى أحمد صقعاء لبياض في ريشها وأنكر سفعاء وقال هو تصحيف"⁽²⁾

شرح ابن الأنباري كلمة "سفعاء" ثم ذكر بعدها رواية أخرى للبيت التي هي "خدارية صقعاء" وشرح "صقعاء والأهاضيب والخدارية" ثم ذكر رواية أحمد الذي أنكر من خلالها الرواية الأولى، وأشار إلى أن كلمة "سفعاء" تصحيف وهي هنا تصحيف السمع لتقارب حريف "السين والصاد" وحريف "الفاء والقاف" وابن الأنباري هنا يفضل "صقعاء" على "سفعاء"

فِدَى بِبُرَاخَةَ أَهْلِي لَهُمْ إِذَا مَلَأُوا بِالْجُمُوعِ الْحَرِيْمَا⁽³⁾

"قال أحمد بن عبيد الحزيم بالزاي معجمة أي الحزم من الأرض وهو الصلب مثل الحزن يقال

(1) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات ،ص328.

(2) المصدر نفسه ،الصفحة نفسها .

(3) المصدر نفسه ،ص361.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني : النقد اللغوي

حزم وحزوم والراء تصحيف وبزاخة موضع⁽¹⁾

نقل ابن الأنباري رواية أحمد التي هي "الحزيماء" بدلا من "الحريما" واعتبر ابن الأنباري هذه الثانية تصحيف وهو تصحيف بصر، فتغيير نقط حروف الكلمات أنتج كلمات تخالف معنى النص الأصلي.

إن معرفة التصحيف وتعليل أسبابه وشرحه موهبة لم تكن متوفرة عند كل العلماء، فلم يتصدى له إلا من حذق أمورا وتفنن في علوم واشتمل على ميزات، حتى يكون جديرا بالأستاذية في خضم هذا العلم، فعلاوة على معرفته الواسعة باللغة وتصاريضها ونحوها، وحفظه الواسع لأشعار العرب لأبد وأن يكون "مفتنا في العلوم، ولقي العلماء والرواة المتقدمين في صناعتهم، المتقنين لما حفظوه، وأخذ من أفواه الرجال، ولم يعول على الكتب الصحفية، واستقبح لذة الراحة والتقليد على تعب البحث والتنقيب، فوضحت له الدراية والرواية، بكفاء الطلب والعناية، واحترس من الخطأ، احتراسه من أقبح العيوب وأعين ببعض الذكاء والفتنة"⁽²⁾

وشرح ابن الأنباري للتصحيف كان صورة من الصور العلمية للمحافظة على اللغة العربية والتي استهدفت بالضرورة تصويب لغة الشعر وتحقيق روايته ثم تقديمه إلى الناس صحيحا مدلا دون لبس أو غموض، اعتمادا على لقاء العلماء وسعة الاطلاع ووفرة المحصول الشعري على أن نشاطه لم يتوقف عند تحديد التصحيف وتحقيق الدقة في الرواية وشرح صحته

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) أحمد العمري : شروح الشعر الجاهلي، ص143.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الثاني : النقد اللغوي

فحسب، بل لقد استدرك على بعضهم تصحيقاتهم في رواياتهم وكان ذلك بدع أو سنة في أن يحاول كل منهم إثبات صحة بيت أو لفظة وتحديد معناها...إلخ

غير أن التأليف فيما يتصل بالتصحيح، لم يكن منتشرا أو معروفا كفن مستقل لقلّة الذين أهلتهم ظروفهم وثقافتهم للنهوض بعبد هذا العمل أو الإبداع فيه، فلم يكن يثير اهتمام العالم إلا أن يذكر ملاحظاته حول صحة اللفظ أو رواية البيت ويعلل ذلك، وقد يشرح حالاته المختلفة أو تأويلاته المحتملة، وقد لا يشرح، ولكن دون أن يفرد لذلك كتابا خاصا لذلك تأخر التأليف في مجال التصحيح عن الفنون الأخرى التي تتصل باللغة والأدب.

ويتمثل دور ابن الأنباري في جمع ما رصده اللغويون على الشعراء من أخطاء بعد تأمل منهم للشعر من حيث ضبطه وتنقيته وتصفيته من شوائب اللحن والتصحيح والتحريف، وإخضاع كلام الشعراء في صياغته وبنائه اللغوي والنحوي إلى ما يجب أن يلتزم به من قواعد نحوية وصرفية، كانت فاعليتها في أداء المعنى ماثلة في ذهنه بوصفها جزءاً من حيوية اللغة وقدرتها على أداء دورها على أكمل وجه. وقد بذل من سبقه ما بوسعهم من أجل إبراز ذلك، فنظام الكلمات ووجود الترابط وعكسه بين العبارات، والتفاوت في أداء الكلمات كل ذلك مجال خصب لكشف إمكانيات النظام النحوي، واللغوي وفاعليته في أداء المعنى وكثافته، ومدى الانفعال به "فالانفعالية في اللغة تعبر عن نفسها على وجه العموم بصورتين: اختيار

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثاني : النقد اللغوي

الكلمات، وبالمكان الذي يخصص لها في الجملة يعني أن معني اللغة الانفعالية الأساسيين

هما المفردات والتنظيم"⁽¹⁾

⁽¹⁾ فنديس :اللغة ،ترعبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ،بط، دار الانجلو المصرية ،1990، ص186.

المبحث الثالث

السرققات الشعرية

- 1- مفهوم السرقة:
- 2- أنواع السرقات:
- 3- السرقات عند ابن الأنباري:

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث : السرقات الشعرية

- السرقات الشعرية:

وكما أن من يسطو على المال يسمى سارقا فكذلك من يسطو على الأفكار والنتاج الأدبي يسمى سارقا ومن هنا ظهر مصطلح السرقات الأدبية على وجه العموم، والسرقات الشعرية على وجه الخصوص.

1- مفهوم السرقة :

أ- اللغة :

جاء عن ابن منظور في لسان العرب عن لفظ السرقة قوله "استرق السمع أي استرق مستخفيا ومنه الحديث تسترق الجن السمع، هو تفتعل من السرقة أي أنها تسمعه مختفية كما يفعل السارق... والاستراق الختل سرا كالذي يستمع.. والمسارقة والاستراق والتسرق: اختلاس النظر والسمع.. وسرق الشيء سرقا "خفي"⁽¹⁾

ثم يضيف تسميات جديدة توصيفا لحالات السرقة المختلفة حين تخالف حالة السرية المعهودة بها، والخفية المألوفة فيها وتغدو أخذا معلنا، وسطوا منكرًا فيقول "السارق عند العرب من جاء مستترا إلى حرز فأخذ منه ما ليس له فإن أخذ من ظاهر فهو مختلس ومستلب ومنتهب ومحترس فإن منع مما في يديه فهو غاصب"⁽²⁾

(1) لسان العرب: ابن منظور، ج7، مادة سرق، ص174.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث : السرقات الشعرية

ب- اصطلاحاً:

من ينظر في كتب نقادنا القدامى ببصر وبصيرة، يلح ويجلاء أن القلة منهم من تطرق لمفهومها وقدم تعريفا لها بينما الكثرة الكثيرة منهم وقفوا عليها من خلال صور إبداعية لشعراء أخذوا معاني بعضهم البعض، ووظفوها في أشعارهم سواء على وجه خفي، أو سرقة واضحة مغتصبة ومن بين القلة القليلة التي حوت مؤلفاتهم تعريفا للسرقة، سواء أكان مقصودا لذاته أو جاء عرضيا في ثنايا حديثه أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ حين قال "ولا يعلم في الأرض شاعر تقم في تشبيه مصيب تام، وفي معنى غريب عجيب، أو في معنى شريف كريم، أو في بديع مخترع، إلا وكل من جاء من الشعراء من بعده أو معه، إن هو لم يعد على لفظه فيسرق بعضه أو يدعيه بأسره، فإنه لا يدع أن يستعين بالمعنى، ويجعل نفسه شريكا فيه، كالمعنى الذي تتنازعه الشعراء فتختلف ألفاظهم، وأعاريض أشعارهم، ولا يكون أحد منهم أحق بذلك المعنى من صاحبه" (1)

وتعريف الجاحظ للسرقة وحصرها في معان معينة دون أخرى، وتحديد طريقة أخذها مع نفيها عن أخرى إمكانية أخذها، في حين عرف الأمدى السرقة بقوله "إنما هي في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر، لا في المعاني المشتركة بين الناس التي هي جارية في عاداتهم،

(1) الجاحظ: الحيوان ج3، ص311-312.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث : السرقات الشعرية

ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم، مما ترتفع الظنة فيه عن الذي يورده أن يقال إنه أخذه من غيره⁽¹⁾

وعندما تقرأ هذا التعريف عند الأمدى مقارنا بما قاله الجاحظ لا تجد سوى تحويرا في كلام الجاحظ، واستنباطا منه وبترا لجزء فيه حين لم يتحدث عن وجود معان يعسر أخذها مما أسماه الجاحظ بالمعاني العقم.

هذا وقد تطور مصطلح السرقات تطورا كبيرا، فنرى عددا من النقاد والبلاغيين يستخدمون مصطلحات جديدة، لم تكن مألوفا ولا معروفة، ثم اتفق عليها النقاد ومن هذه المدلولات الخاصة بالسرقات والتي أصبحت بعد ذلك من المصطلحات المتفق عليها ما استخدمه "ابن سلام الجمحي" في كتابه (طبقات فحول الشعراء) ومن هذه المصطلحات الاجتلاب والإغارة، ونرى الزبير بن بكار القرشي المتوفي سنة (256هـ) استخدم لفظ الإغارة في كتابه "إغارة كثير على الشعراء" أما ابن قتيبة فهو وإن لم يستخدم لفظ السرقة بصورة واضحة، إلا أنه استخدم مدلولات لا تظهر حياده... ومن المصطلحات التي استخدمها

ابن قتيبة السلخ والإتباع والأخذ... أما بعض النقاد الرفقاء فإنهم يتلطفون في تلك الألقاب

(1) الأمدى أبو القاسم الحسن بن بشر: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري، بتح أحمد صقر، دار المعارف القاهرة، مصر، ط5، 2006، ج1، ص346.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث : السرقات الشعرية

تحرزا عن وإحسانا للظن، فيطلقون عليها اقتباسا وتضمينا، واستشهادا، وعقدا وحلا، إلى غير ذلك من الألفاظ الرقيقة المهذبة"⁽¹⁾

فالسرقعة كما قال القاضي الجرجاني "داء قديم وعيب عتيق"⁽²⁾ وهناك الكثير من المصطلحات التي لا تدخل في السرقعة. ومما يُشترط فيها أن تكون في اللفظ والمعنى معا وأن تكون من المعاني الخاصة ويجب التأكد من أن هذا البيت أو هذه الأبيات ليست من خلط وغلط الرواة، وأنه لم يوردها على سبيل التمثيل والاستشهاد، وأخيراً يبقى احتمال توارد الخواطر واردة، عند ذلك يمكن إطلاق الحكم وبحذر شديد.

2- أنواع السرقات الشعرية :

قسم " ابن الأثير " السرقعة الشعرية إلى سلخ ومسح ونسخ، فالسلخ هو أخذ بعض المعنى تشبيهاً بسلخ الجلد، والمسح هو تقصير الآخذ عن المأخوذ منه تشبيهاً بمسح الأدميين قرده، وأما النسخ فهو أخذ المعنى واللفظ معا دون زيادة تشبيهاً بنسخ الكتاب ، وهذه الأنواع الثلاثة تتفرع وتتوزع، وقد أضاف نوعين آخرين هما :أخذ المعنى مع الزيادة عليه، وعكس المعنى إلى ضده فكانت في مجملها خمسة أنواع"⁽³⁾

⁽¹⁾ عبد اللطيف محمد السيد الحديدي :السرقات الشعرية بين الأمدي والجرجاني في ضوء النقد العربي القديم والحديث، ط1، دار السعادة للطباعة، 1995، مصر، ص25.

⁽²⁾ القاضي الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه ونقد شعره، تح محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2006، ص185.

⁽³⁾ ينظر: ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تح : أحمد الحوفي وبيدوي طبانة ، دار نهضة مصر - القاهرة - ط2، دت، ج4، ص3- 4.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث : السرقات الشعرية

والخطيب القزويني "قسم الأخذ والسرقة إلى نوعين، ظاهر وغير ظاهر؛ أما الظاهر فهو أخذ المعنى كله وذلك مع اللفظ كله أو بعضه، وإما وحده فإذا كان المأخوذ كله دون تغيير نظمه فهو مذموم وهو سرقة محضة، ويسمى نسخاً وانتحالاً، وإن تم تغيير النظم أو أخذ بعض اللفظ فهو إغارة ونسخ . أما غير الظاهر فهو أن يتشابه معنى الأول ومعنى الثاني ومنه النقل والقلب، وقد ضُم إلى هذا النوع الاقتباسُ والتضمينُ والعقدُ والحلُّ والتلميح"⁽¹⁾ والسرقة تنقسم إلى "أسلوبية أو لفظية، ومعنوية"⁽²⁾ فالمعنوية تمتاز بالخفاء ويصعب اكتشافها وتتمثل في : الاختلاس، الإلمام، النظر و الملاحظة، المجدود، كشف المعنى، الالتقاط والتلفيق وهذه المصطلحات ذكرها " الحاتمي " في كتابه " حلية المحاضرة " أما السرقة اللفظية فتتمثل في: الاصطراف (الاجتلاب و الاستلحاق) الانتحال، الغصب وهذا النوع سماه " ابن الأثير " النسخ والانتحال وفصلَ أحد الباحثين السرقة الأسلوبية عن اللفظية فرأى أن الأسلوبية تتمثل في العكس والوزن والقافية، وأضاف نوعاً رابعاً سماه " الموارد والمساعدة " ضمه إلى أنواع السرقة ويتمثل في: الموارد، الإجازة، التمليط، المرادة"⁽³⁾ ولكن هذا النوع بعيد عن السرقات فإذا تواردت خواطر شاعرين أو ساعد شاعر شاعراً آخر فبأي صورة تدخل ضمن السرقات؟.

(1) ينظر: الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة : وضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان، ط1، 2003، ص301.

(2) ينظر: داود غطاشة وحسين راضي : قضايا النقد العربي قديماً وحديثاً، الدار العلمية الدولية و دار الثقافة- عمان - الأردن، ط1، 2000، ص64.

(3) ينظر ريوقي عبد الحليم: مقال: السرقات الأدبية و توارد الخواطر : مجلة دراسات أدبية، ع5، دورية فصلية محكمة ت صدر عن مركز البصيرة، دار الخلدونية - القبة، الجزائر، فيفري 2010، ص59.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الثالث : السرقات الشعرية

وقد بالغ القدماء في السرقات وضموا إليها أنواعا كثيرة ليست منها و تبعهم كثير من المحدثين إن لم يكن كلهم فكانت السرقة مدخلا سهلا ولج منه الحساد والحاقدون للانتقاص من الخصم. وقسمها " أحمد مزدور " إلى نوعين: مذموم ومحمود -...ورأى أن المذموم تنضوي تحته ستة أنواع هي : السرقة , الغصب والإغارة, الاضطراب , الاهتدام الالتقاط والتلفيق , المرافدة وأما المحمود فتتنضوي تحته - حسب رأيه - تسعة أنواع ولكن إذا عدتها وجدتها عشرة وهي : الاجتلاب والاستلحاق , المجدود , النقل (ويسمى الاختلاس أو عكس المعنى) النظر والملاحظة، الإلمام، الاحتذاء، المواردة، القلب أو العكس، التناسب، نظم المنثور"⁽¹⁾

وهكذا يكون قد بالغ في السرقة، فمصطلحات مثل :المرافدة والمواردة بعيدة عن السرقة ومصطلح " المجدود " الذي وضعه " الحاتمي " وتبعه " ابن رشيق " ما هو إلا صفة للشعر ولا يعدّ نوعا من أنواع السرقة، وقد تكون هذه الصفة موجودة في أي نوع من أنواع السرقات ويجب ألا يطلق مصطلح "السرقة " بهتانا وظلما دون تروية.

وهناك من حاول وضع مصطلحات تكون أوسع أفقا وأكثر شمولية كما فعل " محمد مندور" حيث "صنفها إلى:

1 - الاستيحاء : وهو أن يأتي الشاعر أو الكاتب بمعانٍ جديدة تستدعيها مطالعته فيما

كتب الغير.

⁽¹⁾ ينظر: أحمد مزدور : معايير النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري , مكتبة الآداب , القاهرة - مصر , ط1، 2009، ص171.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الثالث : السرقات الشعرية

2- استعارة الهياكل: كأن يأخذ الشاعر أو الكاتب موضوع قصيدته عن أسطورة شعبية أو

خبر تاريخي وينفذ الحياة في هذا الهيكل حتى ليكاد يخلقه من العدم.

3- التأثر : وهو أن يأخذ شاعر أو كاتب بمذهب غيره في الفن أو الأسلوب، وقد يكون هذا

التأثر تلمذا، كما قد يكون عن غير وعي، وإنما النقد هو الذي يكشف عنه.

4- وأخيرا هناك السرقات التي لا تطلق اليوم إلا على أخذ جمل وأفكار أصلية وانتحالها

بنصها دون الإشارة إلى مأخذها، وهذا قليل الحدوث في العصر الحديث وبخاصة في البلاد

المستنيرة⁽¹⁾

وبهذا يكون " محمد مندور " قد سعى واجتهد لوضع مصطلحات عامة تشمل مصطلحات

السرقات ولو أنه وزع مصطلحات السرقات التراثية العربية على هذه المصطلحات لتضحت

هذه المفاهيم أكثر.

وحاول " محمد مفتاح " أيضا وضع مصطلحات عامة بعيدة عن التجريح وتوضّح تعالق

النص وقد ذكر خمسة أنواع هي:

1- التتابق: يعني به تطابق نص مع نص آخر شكلا و مضمونا و لا يتحقق ذلك إلا في

الاستنساخ.

(1) محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في اللغة والأدب، دار نهضة - مصر، دط، 2003، ص359.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الثالث : السرقات الشعرية

2- **التحاذي:** ومعنى هذا أن المستنسخات يجب أن تكون مستقلة عما استنسخت منه، فإذا

كان هناك أي اتصال بينها وبين النص المستنسخ منه فإنها تمنح مفهوماً آخر وهذا هو

التحاذي وقد يكون في الأول أو في الوسط أو في الآخر.

3- **التداخل:** هو تداخل النصوص والتقاؤها مع النص الأصل وقد تأخذ حيزاً معيناً في

النص أو تكون موجودة في النص كله.

4- **التفاعل:** هو نوع من أنواع التداخل ولكن في أقصى صورته بحيث تندمج مع النصوص

لتشكل نصاً واحداً، وقد يكون التفاعل بين نصين أو متعدداً أي بين نص وعدة نصوص.

5- **القلب:** يقصد به انقلاب الأوضاع وتبادل الأحوال⁽¹⁾

إن الشعر أو أي عمل أدبي إما أن يكون مخترعاً أو سرقة أو موهوباً مستعاناً به أو يكون مأخوذاً

والمأخوذ يتفرع إلى ممدوح ومذموم، وعلى هذا التقسيم سيتم ذكر مصطلحات الأخذ

والسرقة.

كما أن هناك قضية أخرى قلما تشير إليها المراجع والمصادر، وهي أن بعض الشعراء والكتاب

يكيّدون لبعضهم بالسرقة وهي ليست بسرقة، بل هي من باب الحط من قيمة الطرف الآخر أو

الفوز بجائزة أو حاجة في أنفسهم.

(1) محمد مفتاح: المفاهيم مع المنح وتأويل واقعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط2، 2010، ص192.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث : السرقات الشعرية

وحتى نحكم بالسرقة أو الابتكار لأبد من سعة في المعرفة والاطلاع الواسع على التراث الأدبي عبر العصور الطوال وحفظ الكثير منه، حتى يسهل ربط المتقدم بالتأخر ويعرف السابق من اللاحق، لأن السرقة تعود للنصوص السابقة سواء من زمن متقدم أو متأخر.

لذا لا يمكن لنا الحكم بالسرقة إن لم نكن على دراية بالنصوص السابقة، ونحفظ الكثير منها بحيث يكون الحديث عن السرقات اجتهادا مبنيا على العلم واسع المدى، حتى نحيط ببعض هاته النصوص الكثيرة التي أهمل بعضها.

3- السرقات عند ابن الأنباري:—

أشار ابن الأنباري من خلال شرحه للمفضليات إلى السرقات المعنوية لأن السرقات الأدبية في جانب المعنى هي الأكثر تناولا عند النقاد المتقدمين، وأكثرها شيوعا عند السارقين، لأن أخذ الألفاظ والمعاني معا هي الأسهل اكتشافا، لكن أخذ المعنى وطمس معالمه، يصعب من عملية الاكتشاف بل حتى أن السارق يعتمد لإخفاء مسروقه، فكذلك السارق الأدبي يعتمد لإخفاء مسروقه بأخذ المعنى فقط، وتغييره، حتى لا يكشف أمره، وأنواع السرقات المعنوية أكثر من السرقات اللفظية والأسلوبية، وهي أخطر أنواع السرقات عموما.

وأبو هلال العسكري عندما يتكلم عن حسن الأخذ، وتناول المعاني يقول: "ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصبّ على قوالب من سبقهم، ولكن عليهم إذا أخذوها أن يكسوها ألفاظا من عندهم، ويبرزوها في معارض من تأليفهم، ويوردوها في

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث : السرقات الشعرية

غير حلّتها الأولى، ويزيدوها في حسن تأليفها، وجودة تراكيبها، وكمال حلّيتها، ومعرضها فإذا فعلوا ذلك فهم أحقّ بها ممّن سبق إليها"⁽¹⁾

والمعاني بدورها يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام، ولكل قسم حكمه الخاص به المختلف عن غيره وهذه الأقسام هي:

القسم الأول: ويشمل المعاني المتداولة بين الناس، والتي لا أخذ فيها ولا سرقة ولا أحقية لأحد بالاختصاص بها دون الآخر "وإنما يتفاضلون فيها على قدر ما تخرج فيه من حلة، وما تلبس من صياغة، وكثيرا ما يطلقون عليها "المماثلة والمشابهة أحياناً.. أو يحترسون بالنتبيه على تعاور المعنى وتداوله لإقصاء الحكم بالأخذ الأدبي أحيانا أخرى"⁽²⁾

وهو ما يسمى بالمعنى العام الذي لا سرقة فيها أو ما يعرف بالمعنى المتداول المشهور وهذه المعاني لا فضل فيها لأحد على من سواه من حيث السابق، ولا يمكن ادعاء السرقة فيها، والناس فيها سواء مثل "تشبيه الحسن بالشمس والبدر، والجواد بالغيث والبحر والبليد البطيء بالحجر والحمار... أمور متقررة في النفوس، متصورة للعقول، يشترك فيها الناطق والأبكم، والفصيح والأعجم، والشاعر والمفحم"⁽³⁾ **القسم الثاني:** وهو عكس الأول إذ يشمل "المعاني قليلة الدوران على ألسنة الشعراء"⁽⁴⁾ فيجوز فيه الأخذ بجملة من الشروط تحقق تجويد

(1) أبو هلال العسكري : الصناعتين ، ص166.

(2) عبد الرحيم مصطفى عليان : تيارات النقد في الأندلس في القرن الرابع الهجري، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط1، 1984، ص430.

(3) الجرجاني : الوساطة بين المتنبي وخصومه ، ص161.

(4) الربيعي أحمد حاجم : منهج البحث الأدبي في الأندلس، الدار العربية للموسوعات بيروت ، لبنان ، ط1، 2010، ص264.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث : السرقات الشعرية

المعنى وتجعل أخذه خفياً، كتطويل الأخذ في المعنى المأخوذ إن كان صاحبه قد قصر فيه، وفي ذلك يقول ابن بسام مجارياً مذهب

ابن شهيد "وقد تقدم القول من تحيل حذاق الصناعة في أخذ المعاني أن تترك القافية والوزن، وكذلك يجب أن يقصد إلى التطويل إذا قصر المتقدم"⁽¹⁾

كما يعد أيضاً "قلب المعنى إلى موضع آخر"⁽²⁾ شرطاً ثانٍ يعطى للأخذ الحق في المعنى كما أن تغيير الصياغة العروضية يعتبر شرطاً ثالثاً أيضاً يبيح تناول المعنى إبرازه وتوضيحه.

القسم الثالث: ويخص المعاني المخترعة، والتي لم يسبق إليها الشاعر، إذ تمثل المرتبة العليا في الشعر من حيث استنباطها، لأن ذلك يدل على نفاذ خاطر الشاعر وتوقد ذهنه"⁽³⁾ وهذا القسم من المعاني يمكن أخذه كذلك، وتناوله بالشروط نفسها في القسم الثاني والفارق بين القسمين ليس فيما وضع من شروط للأخذ، وإنما في حقيقة أصل المعاني، فالقسم الثاني من المعاني، وعلى قلة دورانه بين الشعراء، فهو لا يدخل في باب اختراع المعاني، والسبق إليها عكس القسم الثالث الذي يتحقق فيه هذا الشرط، شرط الاختراع والسبق وإن لم يختلفا في شروط الأخذ فيهما.

هذه هي الأقسام الثلاثة الخاصة بالنوع الأول من الأخذ والمتعلق بالمعاني، ما يجوز منها وما لا يجوز والملاحظ أن القسم الأول عبارة عن تغيير المصطلح من العام المشترك إلى المماثلة

(1) ابن بسام: الذخيرة، ج1، ص513- 514.

(2) الربيعي أحمد حاجم: منهج البحث الأدبي في الأندلس، ص265.

(3) ابن الأنباري: شرح ديوان المفضليات، ص266.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث : السرقات الشعرية

والمشابهة، أو التنبيه عليها بالشهرة والتداول في حين أن الأخذ منحصر في البديع المخترع، وقبول قسم آخر إن أضاف الأخذ عليه شيئاً من الزيادة سواء في الصياغة أو في المعنى وقد أشار ابن الأنباري إلى هذا النوع من السرقة وهذا ما نجده في الأمثلة التالية :

فَأَذَيْتُ عَنِّي مَا اسْتَعَرْتُ مِنَ الصَّبِيِّ وَلِلْمَالِ عِنْدِي الْيَوْمَ رَاعٍ وَكَاسِبٌ⁽¹⁾

"هذا مثل أي كان ما كنت فيه من الجهل من الشيطان فلما أقلعت عن ذاك فكأن الجهل كان عندي عارية فردتها وأقبلت على مالي أصلحه وأرعاه وأطلب الزيادة فيه ويروى وللمال مني اليوم والمعنى كان الصبي استعار له الجهل والغي فلما كبر وزال عنه الصبي ترك ذاك فكأنه بتركه إياه رده وسرق بشار هذا المعنى فقال

صَحَوْتُ وَأَوْقَدْتُ لِلْجَهْلِ نَارًا وَرَدُّ عَلَيْكَ الصَّبِيِّ مَا اسْتَعَارَا

وقوله وللمال عندي اليوم أي تركت ما كنت عليه من الجهل فأنا اليوم أرى مالي أي أحفظه وأكسب المال أيضاً"⁽²⁾

أشار ابن الأنباري إلى أن هذا مثل أراد الشاعر أن يقول من خلاله أنه كان على جهل، فلما أقلع عنه ورده وأقبل على ماله يصلحه، ويرعاه ويطلب زيادته فكأن ذلك الجهل كان مستعار لديه فقط وأرجعه الآن إلى أهله وهذا المعنى نفسه نجده عند بشار وهذا ما دفع

ابن الأنباري إلى اتهامه بالسرقة فهو هنا قد أخذ اللفظ والمعنى معا وهذه السرقة ظاهرة.

(1) المصدر السابق ، ص414.

(2) المصدر نفسه ، ص414.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث : السرقات الشعرية

تَأَلَّقُ فِي عَيْنٍ مِنَ الْمُنْزِنِ وَادِقٍ لَهُ هَيْدَبٌ دَانِي السَّحَابِ دَفُوقٌ⁽¹⁾

"...وأصل الودق الدنو ومنه سميت الوديقة وهي أشد الحر لدنو الشمس من الأرض ومنه قولهم ودق الشيء للشيء إذا دنا منه ومنه سميت الفرس وديقا لدنوها من الضحل من الضحل والهيدب أن تكون السحابة ريا فيرى لها مثل الحمل والدفوق الذي يدفع الماء ويروى داني الرباب وهو سحاب يرى دون السحاب وانشد الأصمعي للمازني :

كَأَنَّ الرَّيَّابَ دُوَيْنَ السَّحَابِ نَعَامٌ تُعَلِّقُ بِالْأَرْجُلِ

وإنما سرق هذا المعنى المازني من عياض بن كثير الضبي وهو يصف سحابا:

كَأَنَّ الرَّيَّابَ الْجُونََ فِي حَجَرَاتِهِ بِأَرْجَائِهِ الْقُصُوَى نَعَامٌ مُعَلَّقٌ...⁽²⁾

انتقد ابن الأنباري المازني بأنه سرق المعنى من عياض بن كثير الضبي وهو يصف أيضا سحابا، إلا أنه لم يحسن أخذه وحق على من أخذ معنى وقد سبق إليه أن يصنعه أجود مما صنعه السابق إليه أو يزيد عليه ما يستحقه، فأما إذا قصر عنه فإنه مسيء معيب بالسرقة مذموم.

وَإِنْ قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا خُطَانًا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ تُضَارِبُ⁽³⁾

"ومنه استرق كعب بن مالك الأنصاري صلة السيوف فقال:

(1) المصدر السابق ، ص248.

(2) المصدر نفسه، ص249.

(3) المصدر نفسه ، ص410.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث : السرقات الشعرية

نصِلُ السُّيُوفَ إِذَا قَصْرُنَ بِخَطُونًا قُدُمًا وَتُلْحِقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ

والأخنس قبل الإسلام بدهر" (1)

ليس لسامع أو قارئ لببت كعب بن مالك الأنصاري من حاجة للتدقيق في عجزه لحدوث الأخذ فيه وبوضوح ليلحظ الفارق البسيط، والذي لا يحتاج لزاد معرّف لإدراكه، ولا فحولة شعرية لإحداثه وهذا ما أشار إليه ابن الأنباري لأن الشاعر أخذ المعنى بأكثر لفظه، ووظفه به ولو تناوله بشيء يسير منه لعد مستحسنًا مقبولًا وبالتالي كان هذا الأخذ مرفوضًا عند

ابن الأنباري لذا عده سرقة.

فَتَذَكَّرْتُ ثَقْلًا رَثِيدًا بَعْدَمَا أَلْقَتَ ذُكَاءٌ يَمِينَهَا فِي كَافِرٍ (2)

"أي تذكرت النعامة البيض والرثيد المنضود ويقال تركت فلانا قد رشد متاعه أي شده وهياه للسفر وذكاء اسم للشمس قال الأصمعي اشتق اسمها من ذكت النار تذكو إذا التهبت وقوله ألقته يدا في كافر أي تهيات للمغيب كما تقول وضع فالنا يده في الدنيا ووضع يده في ماله إذا ابتداء فسرق هذا المعنى لبيد بن ثعلبة بن صغير وثعلبة أكبر من جد لبيد فقال يذكر الشمس

حَتَّى إِذَا أَلْقَتَ يَدًا فِي كَافِرٍ وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامُهَا

وسرق هذا المعنى ذو الرمة من لبيد فقال:

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه، ص 257.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الثالث : السرقات الشعرية

أَلَا طَرَقَتْ مَيُّ هَيُومًا بِذِكْرِهَا وَأَيْدِي الثُّرَيَّا جُنْحٌ فِي الْمَغَارِبِ

وقوله يمينها في كافر يعني الليل وكل ما غطى شيئاً فقد كفره يقال للرجل إذا لبس ثوباً فوق سلاحه كافر...⁽¹⁾

ذكر ابن الأنباري المعنى العام للبيت وأشار إلى أن هذا المعنى قد سرقه لبيد بن ثعلبة بن صعير كما سرق المعنى نفسه ذو الرمة من لبيد .

والملاحظ هنا غياب تام للمصطلحات التي تتصل بمفهوم السرقة رغم كثرتها إلا أن

ابن الأنباري لم يستعمل أي واحدة منها سوى لفظ "سرق" فهو هنا قد عالج هذا الموضوع بحدة وتعصب برز من خلال استعماله للفظ السابق الذكر لقسوته ونبوته، فهو مصطلح نقدي فيه ما فيه من القدح والتجريح ، بخلاف مصطلح التناص عند الغربيين الذين نظروا إلى صاحب النص لا إلى نصه ، ونظروا إليه بعين الأهواء والعواطف لا بعين العدل والعقل

بالرغم من عدم اهتمام ابن الأنباري بتقديم تعريف لمصطلح السرقة إلا أنه أثناء تطبيقاته وتمثيالاته له ، يظهر المفهوم المستبطن له ، وربما كان ذلك بسبب ميل العصر كله للتطبيق دون التنظير . كما أنه لم يقيم بتقسيم المعاني التي قال عنها بأنها مسروقة وتحديد ما هو مقبول منها وما هو مرفوض فيها .

فالسَّرقة في النِّقد العربيّ القديم كانت في أخذ الألفاظ، والمعاني حتّى وإن حورت قليلاً أو كثيراً، أو أخذ المعنى بلفظه، أما في عصرنا هذا فحسب محمد مندور، وهو ما نراه أنّ السَّرقة

(1) المصدر السابق، ص258.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الثالث : السرقات الشعرية

أصبحت لا تسمى سرقة أدبية إلا بأخذ العمل كله، أو تحويره قليلا من قبيل الانتحال والسرقة لا على طريق الاقتباس المشروع، والذي يدلّ على صاحبه، ويستأذن منه في ذلك.

وفي الأخير أقول أن موضوع السرقة موضوع كبير والحديث عنه ذو شجون، وأهم ما يلاحظ عليه هو المبالغة الشديدة في تقصي وتتبع ما تشابه من الأشعار، فهذا يحتاج إلى دراسة أوسع وأشمل لمن أراد البحث فيه ليشمل الكتب التي طرقت موضوعه والعصور التي مرّ بها.

المبحث الرابع:

المفاضلات و الموازنات

1- المفاضلة

2- الموازنة

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الرابع : الموازنات والمفاضلات

- المفاضلات والموازنات :

فطر الناس على حب المفاضلة بين الوسائل التي ترمي إلى غرض واحد، والموازنة بين الأنواع التي ترجع إلى أصل واحد، وقد ظهرت هذه الفكرة واضحة جلية في نقدهم:

1- المفاضلات :

بما أن الناقد - في أي عصر كان - لا يبتغي بنقده الآثار الأدبية إلا تمييز الأثر الأدبي جيده من رديئه من ناحية، وإرشاد الأديب والقارئ كليهما من ناحية أخرى، فلا بد أن يكون له في هذا التمييز معيار ومقياس ليزن به القطعة الأدبية، وأما الناقد في العصور الأولى من تاريخ الأدب العربي لم يكن يعرف المعايير النقدية المعروفة ولا المقاييس المألوفة، ولا تلك الصور البلاغية والعروض والقافية وعيوبها لاسيما وأن مثل هذه العلوم قد وضعت متأخرة، فلذلك لم يكن نقدهم في بداية الأمر نقدا مبنيا على قواعد فنية ومعايير علمية، لفقدانهم القواعد النقدية فمن ثم لم يكن لهم بد إلا أن يلجؤوا إلى فكرة نقدية خاصة تعرف بالمفاضلة، ثم تطورت هذه الفكرة النقدية فيما بعد وصارت منهجا نقديا راقيا ومقبولا عند النقاد.

فالمفاضلة بين شاعرين أو أكثر محورا كان يدور حوله كثير من النقد القديم، ولكن أصوله كانت ساذجة، تلخص الإعجاب العام لدى أحد المتذوقين بشاعر دون آخر، وفي عصور لاحقة اتسع باب القول فيه وألفت في ذلك رسائل ومنها رسالة كتبها أبو أحمد يحيى بن علي المنجم يفاضل فيها بين العباس بن الأحنف والعتابي وكانت تلك خطوة في الاتجاه الذي اعتمده الأمدى من بعد في كتابه "الموازنة" وهذا الأسلوب النقدي - المفاضلة - لم يتوقف عن التحول

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الرابع : الموازنات والمفاضلات

بل إنه واصل طريقه نحو التقدم والتطور وسار نحو النقد المنهجي وتقويم الآراء النقدية وإصلاحها .

فالمفاضلة من الأساليب النقدية التي ظهرت في الأدب العربي منذ القديم، حيث غرس بذورها الأولى في أرض الأدب الخصبة النقاد القدماء بأرائهم البسيطة، ثم تعهدوا الأدباء حتى نشأت ونمت وتطورت تطورات كبيرة عبر التاريخ بتقلبات السياسة والتطورات الأدبية، فسميت في عصر المفاضلة وفي عصر الموازنة وفي عصر آخر المقارنة إلى أن أثمرت اليوم النقد المقارن الذي يماشي التيارات الأدبية العالمية ويحاول أن يستلهم التراث النقدي القديم ويرتبط بهذه الحياة الجديدة التي عرفها العالم العربي الحديث.

2- الموازنة:

الموازنة ضرب من النقد يتميز بها الجيد من الرديء، هذا الضرب ليس بالحديث في ميدان النقد العربي بل قديم عرفه العرب منذ العصر الجاهلي، حيث إن "فعل الموازنة نفسه قديم قدم النظر في النصوص...ورغم أن هناك من يشكك في نتيجة الموازنة التي أجراها النابغة الذبياني بينه وبين حسان لكنها تكشف عن ملاحظات لصيقة بنسيج النص ومستوى الإبداع في ذلك الزمن المتقدم من تاريخ النقد العربي"⁽¹⁾

والموازنة لغة من "الضلع وزن والوزن يعني الثقل والخفة ،والأوزان ما يوزن بها التمر وغيره كذلك الميزان يعني العدل وقد يعني الميزان المكانة والمنزلة ،قال ابن الأعرابي العرب تقول ما

(1) سعيد أبو الرضا :معالجة النص في كتب الموازنات التراثية ،منشأة المعارف ،الإسكندرية ،1989،ص81.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الرابع : الموازنات والمفاضلات

لفلان عندي وزن ،أي قدر لخسته ،لذلك فوزن الشيء يعني تقديره ولا يوزن الشئين إلا إذا كان على زنته أو كان محاذيه ،وصاحب الموازنة يعني أنه وزين الرأي أصيله وفي الصحاح رزينه ووزن الشيء رجح⁽¹⁾ ويمكن القول إن الموازنة مقارنة بين كل عنصرين اجتمع بينهما التشابه المطلق والتقارب النسبي الغالب في الخصائص العامة ،وهي في الأدب مظهر من مظاهر النقد التطبيقي.

وقد أرجع الباحث سعد أبو الرضا نشأة أدب الموازنة إلى فكرة المختارات الشعرية التي عرفها النقد التراثي من خلال المفضليات والأصمعيات "فكلا من التفضيل والتصميم وليدا الموازنة بين النصوص، لكن الجمع والحشد والكم كان الغالب في تسجيل هذه المصادر ،إذ قلما نجد فيها تفسيرا لنص أو بيانا لقيمة فنية أو أساسا يحدد بصورة دقيقة أسس الموازنة التي بني عليها الاختيار لهذه النصوص دون غيرها"⁽²⁾

بينما يتفق بعض النقاد المحدثين على ربط الموازنة بكتب الطبقات، التي كانت شائعة عند النقاد اللغويين في القرن الثاني للهجرة حيث أن محمد بن سلام الجمحي اختار مائة وأربعة عشر شاعرا من شعراء الجاهلية والإسلام ثم وازن بينهم ورتبهم في طبقات وجعل الطبقات في كتابه ثلاثا وعشرين طبقة ثم قسم المؤلف الشعراء إلى طبقتين وقسم كل كبة إلى عشر طبقات وجعل في كل طبقة أربعة شعراء فهو كأنه أراد أن يقول بهذا أن هؤلاء الشعراء الأربعة نظراء.

(1) ابن منظور :لسان العرب ،م13، ص552.

(2) الأمدى: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري، ج3، ص374.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الرابع : الموازنات والمفاضلات

ثم جاء ابن قتيبة في مقدمة كتابه "الشعر والشعراء" ووازن الشعراء على أساس جودة اللفظ والمعنى، وجعلهم أربعة أضرب وعلى أساس الطبع والتكلف، والشعراء على هذا الأساس عنده طبقتان طبقة المطبوعين وطبقة المتكلفين

أما توفيق الزبيدي فيرى أن الموازنة ظاهرة أدبية، والظاهرة الأدبية لا تنشأ بالطفرة وإنما تكون على الترقى والتطور، ومن ذلك أن احتلت الطبقة المرتبة الأولى ثم تلتها المفاضلة والموازنة وما ذلك إلا لأن كتب (الطبقات) تقدمت زمنياً من ناحية التأليف، في حين ذهب جمال الدين بن الشيخ إلى أن "الموازنة ليست مقارنة ثنائية، بل مقارنة ثلاثية بين أثنين وأنموذج نظري هو المرجع ويتعلق السؤال أيهما أشعر؟ بمدى الاقتراب من هذا المرجع والنجاح في محاكاته لأنه مبني أساساً على صيغة أشعر الناس التي لا تعني أن هذا الرجل أحسن الشعراء، لكن المقصود بها أنه قد حقق القول المثالي لأجل التعبير عن حافز الغرض أي أنه قد أصاب الغاية في صميمها ولا ينبغي القيام بما هو أفضل مما فعله بشأن هذا الموضوع، إذ أن الأمر مستحيل أي أن قوله قد أفرغ في قالب الشيء ولا يمكن أن نفضل مما يقوله الشيء نفسه أما فيما يتعلق بهذا الحافز فإن الممارسة الشعرية تظل منغلقة"⁽¹⁾

ركز ابن الشيخ في دراسته للموازنة على ما اصطلح على تسميته بسلم الجودة، وهو الذي تم من خلاله وضع حد إلى ما توصل إليه علماء القرنين الأول والثاني للهجرة ومن خلاله تم إقصاء الشعراء المحدثين .

⁽¹⁾ ينظر جمال الدين بن الشيخ: الشعرية العربية، تر مبارك حنون ومحمد الوالي ومحمد أوراغ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ط1، 1996، ص17- 18.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الرابع : الموازنات والمفاضلات

ونجد أيضا موازنة الأمدى من خلال كتابه "الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري" وإنه خطأ بهذا التأليف خطوة واسعة في النقد فإنه وإن وازن بين شاعرين طائيين، إلا أنه لم يقتصر على ما قاله الطائيين في المعنى الجزئي وإنما كان يورد كثيرا من أقوال الشعراء الآخرين فإذا تكلم عن الوقوف على الديار لم يكتف بذكر ما قاله الشاعران فحسب بل استشهد بأبيات لشعراء آخرين أيضا ، ومن هنا وازن بين المعاني المختلفة المدروسة موازنة تفصيلية كما عالج أيضا آراء النقاد المعاصرين له في شعر الشاعرين عند دراسة احتجاج الخصمين .

لقد قامت موازنة النقاد العرب بين الشعراء حتى القرن السابع الهجري وما بعده على أساس البيت الشعري ، فكان نظرهم في الموازنة ينصب على البيت المفرد السائر شفاها في المجالس فكانت موازنتهم بذلك تدور حول أمدح بيت أو أغزل بيت ...وما إلى غير ذلك

يَعْدُو بُبَادِرُهُ الْمَخَارِمَ سَمَحَجُ كَالدُّوِ خَانَ رِشَاؤُهَا الْمُنْقَطِعُ⁽¹⁾

"المخارم منقطع أنف الجبال الواحد مخرم والسمحج الصلبة القوية شبهها في سرعتها بالدلو حين انقطع رشاؤها فهوت في البئر ومثله قول زهير :

فَشَجَّ بِهَا الْأَمَاعِزُ وَهِيَ تَهْوِي هَوِي الدُّوِ أَسْلَمَهَا الرِّشَاءُ

قال الأصمعي وأحسن ما قيل في هذا المعنى قول ذي الرمة:

(1) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات ، ص 68.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الرابع : الموازنات والمفاضلات

كَأَنَّهَا دَلُّوْ بِئْرٍ جَدُّ مَا تَحُهَا حَتَّى إِذَا مَا رَأَاهَا خَائَهَا الْكَرْبُ

لأنها انقطعت في رأس البئر فهوت⁽¹⁾

شرح ابن الأنباري "المخارم، سمحج" ثم ذهب إلى موازنة بيت الشاعر ببيت شعري من قول زهير وبيت شعري آخر من قول ذي الرمة وتعد هذه الموازنة موازنة ناضجة وإن تمت بين ثلاث قصائد ، بيد أن ابن الأنباري اقتطف الأبيات من تلك القصائد ليوازن بين الشعراء ومن ثم يحكم بينهم ، وكذلك إن استحسان بيت من القصيدة يعني استحسان القصيدة بأكملها فكان بذلك البيت الشعري مدار تفضيله لشاعر على آخر. لو تأملنا هذه الأحكام والمفاضلات التي أطلقها ابن الأنباري لوجدنا أنها كانت أحكاما بعيدة عن التحليل والتعليل، أي نقدا غير معلل بل إنه كان يفعل بحسه ويميل إلى شاعر دون شاعر ويفضله من غير أن ينظر إلى أحكام النقد العامة ،وهذا يعني أنه لم يكن لديهم من موازين الشعر ومعاييره سوى الذوق الفطري البسيط.

"كان علقمة من صدور الجاهلية وفحولها وكان صديقا لأمرئ القيس فزاره ذات يوم فقال أحدهما لصاحبه أينما أشعر فقال فقال هذا أنا وقال هذا أنا فتلاحيا حتى قال امرؤ القيس انعت ناقتك وفرسك وأنا أنعت ناقتي وفرسي قال نعم فافعل والحكم بيني وبينك هذه المرأة من ورائك يعني امرأة امرؤ القيس الطائية فقال امرؤ القيس

خَلِيلِي مُرَا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدَبٍ لِنُقْضِي حَاجَاتِ الْفُؤَادِ الْمُعَذَّبِ

(1) المصدر السابق ،الصفحة نقسها .

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الرابع : الموازنات والمفاضلات

وقال علقمة (ذهبت من الهجران في غير مذهب) فلما فرغا من قصيدتهما عرضا على الطائية امرأة امرؤ القيس فقالت فرس ابن عبدة أجود من فرسك قال لها وكيف قالت لأنك زجرت وحركت ساقيك وضربت وإنه جاهر الصيد فقال

إِذَا مَا اقْتَنَصْنَا لَمْ نَقْدُهُ بُجْنَةً وَلَكِنْ نُنَادِي مِنْ بَعِيدٍ أَلَا أَرْكَبُ

فغضب عليها امرؤ القيس فطلقها فهذه رواية الرستمي وإملاء أبي بكرمة الضبي...⁽¹⁾

وفي هذا المجال أورد لنا ابن الأنباري أقدم موازنة في تاريخ الأدب وهي موازنة أم جندب بين زوجها امرؤ القيس وعلقمة بن عبدة الضحل، وتكمن في تفضيل أم جندب للفرس المدرب الذي لا يحتاج فارسه إلى عناء في حثه على الجري بسرعة دون اللجوء إلى استعمال السوط أو ما شابه ذلك، وتكمن الرؤية النقدية في هذا الحكم كونه اشتمل على توحيد الموضوع والقافية والروي.

وَإِذَا لَقِيتَ الْبَاهِشِينَ إِلَى النَّدَى غُبْرًا أَكْفَهُمْ بَقَاعٍ مُمَجَّلٍ⁽²⁾

"قال الضبي الباهش الفرخ يقول الذين يأتونك يلتمسون جداك ونائلك وقيل إن الباهش المتناول يقال بهش يبهش إذا تناول وروى عن ابن العباس رضي الله تعالى عنهما أن محرما سأله عن حية قتلها فقال هل بهشت إليك قال لا... قال المسيب بن علس :

وَإِذَا تَعَاوَرَتِ الْحَصَى أَخْفَأُهَا دَوَى نَوَادِيهِ بظَهْرِ الْقَاعِ

(1) المصدر السابق، ص764.

(2) المصدر نفسه، ص752.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الرابع : الموازنات والمفاضلات

ويروى نوازيه تعاورت تداولت مرة بعد مرة مأخوذ من العارية ودوت نزلت وسمعت لها صوتا

تقول العرب دوى الطائر في الأرض ودوم في السماء وقول ذي الرمة

حَتَّى إِذَا دَوَّمَتْ فِي الْأَرْضِ رَاجِعَهُ كَبُرُّ وَلَوْ شَاءَ نَجَى نَفْسَهُ الْهَرَبُ

ليس بشيء أخطأ ذو الرمة كذا قال الأصمعي وأساء في قوله دومت في الأرض وأجاد غيره
وقال:

تَغْدُو الْمَنَايَا عَلَى أُسَامَةَ فِي الدِّ خَيْسَ عَلَيْهِ الطَّرْفَاءُ وَالْأَسَلُ

وَتَصْرَعُ الطَّائِرَ الْمُدُومَ فِي الدِّ جَوَّ وَيَشْقَى بِرَمِيهَا الْوَعْلُ⁽¹⁾

فابن الأنباري كان يختار البيت المفرد من القصيدة ويعلق عليه متتبعا لأبيات في المعنى الواحد ومثال ذلك تعليقه وموازنته لبيت المسيب بن علس وذو الرمة وشاعر آخر فوازن بين الثلاثة في المعنى الواحد مبينا أن بيت هذا الأخير أجود وأوضح من البيتين السابقين، فالبيت المفرد كان مدار عناية ابن الأنباري في الموازنة بين الشعراء، وتكشف موازنته هذه عن ذوقه الشعري ودقته في استقصاء حدود الدلالة المعنوية للألفاظ فهو يريد من الشاعر أن ينتقي ألفاظه بحيث تتسم هذه بالصحة والفصاحة، وأن تكون مستعملة في نظم الشعر، وأن يضعها الشاعر في موضعها اللائق بها لأن من شأن هذه الألفاظ أن توفر على السامع الجهد والوقت في سبيل الوصول إلى المعنى الشعري.

(1) المصدر السابق، ص753.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الرابع : الموازنات والمفاضلات

وفي شرح ديوان المفضليات لابن الأنباري موازنات كثيرة بين الشعراء كانت من خلال

المجيء بفيض من الأبيات المتشابهة في المعنى وذلك لتقريبه إلى المتلقي وذلك مثل قوله في

شرح لهذا البيت:

أَجْعَلُ مَالِي دُونَ الدُّنَا غَرَضًا وَمَا وَهِيَ مِلَأْمُورٍ فَاَنْصَعَدَا⁽¹⁾

"الدنا العيب والدنس ومنه الدني من الرجال وهو المسف الدنيء الأخلاق يريد أنه يجعل ماله

وقاية عرضه كما قال الحويدرة

وَنَقِي بِأَمْنٍ مَالَنَا أَحْسَابَنَا وَنُجْرِي فِي الهَيْجَا الرِّمَاحَ وَنُدَّعِي

آمن المال عندهم أنفسهم وأوثقه في قلوبهم ويقال أجبرت فلانا الرمح فيه لتعنته قال الشاعر

وَآخَرَ مِنْهُمْ أَجْرَرْتُ رُمُحِي وَفِي البَجَلِي مَعْلَبَةٌ وَقِيْعٌ

ومثله:

مَهْلًا فِدَاءً لَكَ يَا فَضَالَةً أَجْرُهُ الرُّمَحَ وَلَا تُهَالَهُ

وقوله وما هي ملامور فانصدعا يريد أنه يصلح برأيه ما وهي من أمور عشيرته كما قال

الآخر:

وَلَقَدْ رَأَيْتُ تَأْيِي العَشِيرَةَ بَيْنَهَا وَكَفَيْتُ جَانِبَهَا اللُّتْيَا وَالتِّي

وَصَفَحْتُ عَنْ ذِي جَهْلَهَا وَرَفَدْتُهَا نُصْحِي وَلَمْ تُصِبْ العَشِيرَةَ زَلَّتِي

(1) المصدر السابق، ص312.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الرابع : الموازنات والمفاضلات

اللتيا تصغير التي يقول كفيت جانبيها الصغير والكبير⁽¹⁾

رأى ابن الأنباري أن الشعراء الأربعة عبروا عن المعنى المراد بطريقتهم الخاصة وكلهم أحسنوا القول وعلى هذا فالمفاضلة التي فضلها ابن الأنباري هي ما كانت في معاني الألفاظ المتفقة وبهذه الحالة تكون ظاهرة وواضحة وليست بغريبة.

الموازنة بين الأبيات المتفقة المعاني، تكون من جهة الألفاظ فقط، أما الأبيات المختلفة المعاني فتكون الموازنة بينهما من جهتي اللفظ والمعنى

ونلاحظ من خلال هذه الموازنات الشعرية التي قام بها ابن الأنباري، طغيان النظرة الجزئية للشعر في شرحه، إذ دأب على تناول البيت الشعري تناولاً منفصلاً في أحيان كثيرة عن القصيدة وعمما سواه من الأبيات حتى وصل به الأمر إلى استحسان نصف بيت شعري كما في المثال التالي:

أَسْعَى عَلَى جُلِّ بَنِي مَالِكٍ كُلُّ امْرِئٍ فِي شَأْنِهِ سَاعٌ⁽²⁾

"جلهم أكثرهم وعامتهم قال الأصمعي نصف هذا البيت الآخر من أحكم ما قالت العرب وقال الآخر وهو عمرو بن معدي بن كرب

كُلُّ امْرِئٍ يَجْرِي إِلَى يَوْمِ الْهَيْجِ بِمَا اسْتَعَدَّ"⁽³⁾

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه، ص566.

(3) المصدر نفسه، ص567.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الرابع : الموازنات والمفاضلات

وبهذا يكون ابن الأنباري قد عرض للقراء طرائق الشعراء العرب في تناول المعاني ومذاهبهم في التعبير، واستغل في موازنته جميع الموازين الشعرية والمعايير النقدية التي عرفها النقد العربي منذ البداية إلى عصره .

والملاحظ على مثل هذه الموازنات هو شيوع البساطة نتيجة استنادها إلى عامل الذوق، فضلا عن ظروف العصر المتمثلة بعدم الاستقرار وغياب التدوين الذي من شأنه أن يسمح للناقد بتفحص القصيدة وإظهار المعنى الشعري الذي تنطوي عليه، ومدى قوة هذا المعنى أو ضعفه، إلا أنها تصدر عن ذائقة تدرك أسرار الشعر وخفاياه ومواطن الجمال والوهن فيه .

ومن الجدير بالذكر أن المعاني الشعرية استأثرت القسم الأكبر من اهتمام ابن الأنباري لأن موازناته كانت تدور في أغلبها على بيتين متفقين في المعنى، وهذا يعني أنه ينطلق من هذا الأساس فيلاحظ أي المعنيين كان أتم أو أصح أو أبلغ .

المبحث الخامس

نقد أغاليط الشعراء

1- نقد الأخطاء المعنوية واللفظية:

2- نقد الخطأ في الوصف

3- المبالغة والغلو

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الخامس نقد أغاليط الشعراء

- نقد أغاليط الشعراء :

1- نقد الأخطاء المعنوية واللفظية:

كانت الأخطاء التي يقع فيها الشعراء في النصوص الشعرية محل اهتمام جل النقاد، سواء أكانت أخطاء معنوية أم لفظية، وبلغ من عنايتهم بهذه المسألة، أن يتتبعوا الشاعر فيما أخطأ به في البيت الشعري الواحد، فالشاعر وإن كان مجيداً، والعالم وإن كان حاذقاً ومتقناً فلا مناص من أن يخطئ كل منهما ويؤخذ عليه ما يعاب به لما جبل عليه الإنسان من النقص والتقصير، ولهذا وجب على من أخطأ أن لا يتمادى في الخطأ، وإنما أن يرجع إلى الصواب لأن تماديه زيادة في الخطأ الذي وقع فيه.

تُلاحِظُ السُّوطُ شَزْرًا وَهِيَ ضَامِرَةٌ كَمَا تُوجِّسُ طَاوِي الكَشْحِ مَوْشُومٌ⁽¹⁾

"الشزر النظر بمؤخر العين من حدثها يقال شزر إليه طرفه يشزره شزرا والضمامرة التي لا ترغو من ضجر ولا تجتر وهي عاضة على أنيابها وذلك ممدوح منها كقول الأعشى

كُتُومُ الرُّغَاءِ إِذَا هَجَرَتْ وَكَانَتْ بَقِيَّةَ دَوْدٍ كُتُومٌ

ومثله قوله والضمامرات تحت الرحال والضمامز أيضا العير المسك فاه عن النعيق والعلف قال بشر:

وَقَدْ ضَمَرَتْ بِجَرَّتِهَا سَلِيمٌ مَخَافَتَنَا كَمَا ضَمَرَ الحَمَارُ

(1) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات ، ص 799.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الخامس نقد أغاليط الشعراء

وقال الشماخ:

جَمَالِيَّةٌ لَوْ يُجْعَلُ السَّيْفُ غَرَضَهَا عَلَى حِدِّهِ لَأَسْتَكْبَرَتْ أَنْ تَضُورًا

قال الأصمعي وغلط النابغة في قوله (لها صريف صريف القعو بالمسد)..."⁽¹⁾

شرح ابن الأنباري "الشزر، والضامزة" واستشهد على ذلك بقول الأعشى وبشر والشماخ، ثم

أشار بعدها إلى تخطئ الأصمعي لقول النابغة لأن صريف الفحول من النشاط وصريف

الإناث من الإعياء والضجر كذا تكلمت العرب.

تَشْفِي الصُّدَاعَ وَلَا يُؤْذِيكَ صَالِبُهَا وَلَا يُخَالِطُهَا فِي الرَّأْسِ تَدْوِيمٌ⁽²⁾

"قال الضبي صالباها وجع في الرأس يدور منه والتدويم الدوار يقال قد أخذه دوام وقد ديم به

وأديم به ودير به وأدير به وهو الدوام والدوار... قال ذو الرمة

حَتَّى إِذَا دَوَمَتْ فِي الْأَرْضِ أَدْرَكَهُ كَبِيرٌ وَلَوْ شَاءَ نَجَى نَفْسَهُ الْهَرَبُ

ويروى راجعه كبر قال الأصمعي قد أخطأ ذو الرمة في هذا لأن التدويم لا يكون إلا في السماء

قال وأصاب الآخر

تَأْتِي الْمَنَائِيَا عَلَى أَسَامَةٍ فِي الدِّ خَيْسٍ عَلَيْهِ الطَّرْفَاءُ وَالْأَسَلُ

وَتَصْرَعُ الطَّائِرَ الْمُدُومَ فِي الدِّ جَوْ وَيَشْقَى بِرَيْبِهَا الْوَعْلُ⁽³⁾

(1) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(2) المصدر نفسه، ص812.

(3) المصدر نفسه، ص813.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الخامس نقد أغاليط الشعراء

ذكر ابن الأنباري أن الأصمعي خطأ الشاعر لأن التدويم لا يكون في الأرض وإنما يكون فقط

في السماء واستشهد على ذلك بقول شعري جعل من خلاله صاحبه التدويم في السماء .

وما يمكن لحظه هنا أن تتبع ابن الأنباري للأخطاء كان جميعه معللاً وهذا يدل على مدى

تمكنه من اللغة العربية النقية، فكان عليه أن يعترف بكون هذه الأبيات لا تتفق والقاعدة

اللغوية لذا راح يصلح البيت في سبيل الوصول إلى استقامة المعنى.

وَتَزَوَّدَتْ عَيْنِي غَدَاةً لُقِيَّتَهَا بَلَوَى الْبُنْيَنَةَ نَظْرَةً لَمْ تُقْلِعْ⁽¹⁾

"يريد أنه أدام النظر إليها والبنيئة موضع، واللوى حيث يفضي الرمل إلى الجدد يقال قد

ألوى القوم إذا بلغوا اللوى، وقد ألويتم فانزلوا، ويروى بلوى البنية، ويروى بلوى عنيزة نظرة

لم تنقع، ويروى بلوى لبينة نظرة، لم تنقع، لم ترو ويقال شرب حتى نقع، أي روي وكذلك

قصح صارته، أي روي أو قارب، وقد نقع ينقع، والصاره حرارة العطش، قال

ذو الرمة:

حَتَّى إِذَا زَلَجَتْ عَنْ كُلِّ حَنْجَرَةٍ إِلَى الْغَلِيلِ وَلَمْ يَقْصَعْنَهُ نُغْبُ

يصف حميراً وردت ماء، وهي تخاف الصائد، وزلجت انحدرت وجرت، والنغب الجرع نغبة، ونغب

مثل جرعة وجرع، وقوله: عن كل حنجرة إلى الغليل، والغليل حرارة العطش في أجوافها، ولم

يقصعنه، أي لم يقتلن عطشهن، وغليلهن، والحنجرة من اللهوات إلى المريء، وإنما جعل الحمر

كذلك، لم ترو لأنه أسرع لها إذا ذعرت فعدت، وهذا أجود من قول العجاج، بل قد عيب على

(1) المصدر السابق ، ص52.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الخامس نقد أغاليط الشعراء

العجاج قوله: حتى إذا ما عيرها تحببا، أي امتلأ رياءً، وقد خطأه العلماء في هذا، لأنه حينئذ لا يقدر أن يعدو، ويروى: غداة رأيتها⁽¹⁾.

أشار ابن الأنباري إلى أن العلماء قد عابوا قول العجاج "حتى إذا ما عير تحببا" وذكر سبب ذلك كما استشهد بقول ذي الرمة الذي اعتبره أجود منه وأقرب إلى الحقيقة والواقع.

ولكن ليس معنى نقده للأخطاء اللغوية للشعراء وتوضيحه لهنتهم أنه واقف ضدهم، بل إنه في كثير من الأحيان، وبعد توجيهه النقد إليهم، وإظهار خطأهم، يلتبس لهم الأعدار ويدافع عنهم، وقد اخترع الأسباب الفنية والنفسية التي قد تشفع لهم قصورهم وتمسح تقصيرهم، ويجد لهم الاحتمالات التي قد تخرجهم من نطاق الضعف، ومصايد الزلل كما أنه لا يدافع عن الشعراء نظريا بالقول بل عمليا وفعليا مستشهدا لما يمكن أن يقال ويقدم في هذا الصدد الحيثيات الدفاعية التي تبرؤهم من هذه المآزق الفنية التي وقعوا فيها.

2- نقد الخطأ في الوصف :

الوصف من الأغراض الشعرية التقليدية المتجددة، وهو فن واسع الأطراف يصيب سائر الأمور ماديتها ومعنويتها ومجاله الطبيعة بما فيها من الكائنات الحية والجمادة، وأسرار النفوس، وحقائق المشاعر وصنوف الأحاسيس، " فهو ترجمة لمرئيات الأديب ومحسوساته ونقل

(1) المصدر السابق، ص52.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الخامس نقد أغاليط الشعراء

ذلك بأسلوب جميل فيه الخيال، والتأثر واختلاق صور وهيئات لم تكن موجودة في الواقع
المادي الحسي"⁽¹⁾

وهو يخترق أنواع الخطاب جميعا ويقبل الاندساس في نسيجه بجميع وجوهه، ومختلف أشكاله فيجري استعماله في الشعر والسرد على السواء، فحضوره في الفكر النقدي حتمية لا مناص منها، كما أن الكثير من الشعر راجع إلى باب الوصف ولا سبيل إلى حصره واستقصائه، وهو مناسب للتشبيه مشتمل عليه والفرق بينهما أن الوصف إخبار عن حقيقة الشيء في حين أن التشبيه مجاز وتمثيل وأحسن الوصف "ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عيانا للسامع"⁽²⁾ فأحسن الوصف حسب رأيه من قام بنفسه ومثل الموصوف في قلب سامعه، فالشاعر الذي يظهر مقدرة فنية في نقل صور موصوفة وتجليها وتوضيحها للسامع، يكون ذلك دليلا على تفوقه وبراعته، ومدى دقته ومهارته في فن الوصف. "ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني كان أحسنهم وصفا من أتى في شعره أكثر المعاني التي توصف بها مركب فيها ثم بأظهرها فيه، وأولاهها به، حتى يحكيه ويمثله للحس بنعته وقال بعض المتأخرين أبلغ الوصف ما قلب السمع بصرا وأصل الوصف الكشف والإظهار"⁽³⁾ فالوصف إذن كما فهمه العرب القدامى تشخيص للشيء الموصوف، ونقل لصورته، حتى يحس السامع أنه ماثل أمامه ويشاهده عينيا.

(1) ياسمين الأيوبي: أفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، جرس يرس، ط 1، طرابلس، لبنان، 1995م، ص192.

(2) ابن رشيق: العمدة: ص404.

(3) المرجع نفسه، ص404.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الخامس نقد أغاليط الشعراء

من كلٍ مُشْتَرَفٍ ومُدْمَجَةٍ كالكُرِّ من كُمتٍ ومن دُهمٍ⁽¹⁾

"قال الضبي المدمجة المعصوبة الخلق يعني فرسا والكر الحبل شبه الفرس في اندماجها بالحبل في قتله وذكر الخيل توصف بالإشراف في جريها وتوصف الإناث بالخضوع في جريها وعاب الأصمعي مالك بن نويرة في قوله يصف الفرس

وكأنه فوت الجوالب جائئًا رثم تضايقه كلاب أخضع

قال فجعله جائئًا والجنوء الخفاض في أصل العنق قال وليس بهذا توصف ذكور الخيل وأنشد قول جرير

من كلٍ مُشْتَرَفٍ وإن بُعد المدى ضرم الجراء مُناقل الأجرال"⁽²⁾

روى ابن الأنباري عن الضبي شرح كلمة "الدمجة" والمعنى العام للبيت وقال بأن الأصمعي كان يرد هذا الوصف من قول مالك بن نويرة إلى الغلط لأن خير جري الذكور الاشتراف، وخير جري الإناث الخضوع، وإنما أراد أنه خضع ليعتمد في الجري كما يعتمد الطيبي وليس بهذا توصف ذكور الخيل، ثم استشهد بقول جرير.

يلاحظ أن الشارح هنا نظر إلى المعنى نظرة منطقية، أما الشاعر فأتى بهذه الانزياحات في المعاني لأنها تدهش المتلقي بمفارقاتها غير أنها لا تخضع لما يريده النقاد.

(1) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضلديات ، ص 719.

(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الخامس نقد أغاليط الشعراء

فمن الشعراء والبلغاء من إذا وصف شيئاً بالغ في وصفه مما يجعله يقع في الخطأ الذي يلفت انتباه أي قارئ، لاسيما وأن الوصف ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات حقيقة وليس مجازاً وأنه " أحسن ما يكون الوصف الصادق إذا خرج من علم وصرفته روعة العجب، فإن العلم يعطي مادة الحقيقة، والعجب يكسبه صورة المبالغة الشعرية"⁽¹⁾. وهنا نلاحظ أن الوصف وسيلة أدبية يستعين الشاعر بها لتصوير إعجابه بما يشاهده، معتمداً في ذلك على الخيال وصدق التعبير، وكلما كان الشاعر عالماً بأحوال الموصوف وحالاته وقادراً على استقصاء هذا العلم في شعره كان أبلغ في الوصف، وبما أن الوصف من أكثر أبواب الشعر العربي، فقد أجاد الكثير من الشعراء في الأوصاف إجادة بالغة وجاؤوا فيها بالتشبيه المفرد البعيد، في حين لم يجد البعض منهم الوصف مما جعلهم يقعون في الخطأ وبالتالي كانوا محل نقد من طرف الكثير من النقاد ومن بينهم ابن الأنباري من خلال شرحه لديوان المفضليات فقد اهتم كثيراً بهذا الجانب وأشار إليه في مواضع عدة نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر:

وتسُدُّ حَادِيَهَا بَدْيِي خُصَلِ عُقِمَتْ فَنَاعَمَ نَبْتُهُ الْعُقْمُ⁽²⁾

"الحدان اللحمتان في ظاهر الفخذين أراد أنها تسد ما بين حاذيها بذنبها لكثرتة قال الأصمعي وقد أخطأ في صفته الذنب بالكثرة ولم ير نجيب قط إلا وذنبه كذنب الأفعى وعقمت أي لم تحمل فزاد ذلك في قوتها غيره قل ما رأيت مهراً إلا رأيت ذنبه أعصل كأنه ذنب أفعى وكذلك واسحم ريان العسيب خطأ أيضاً والنعته الجيد

⁽¹⁾ مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ج 2 دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2000م، ص109.

⁽²⁾ ابن الأنباري: شرح ديوان المفضليات، ص220.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الخامس نقد أغاليط الشعراء

فَطَارَ بِكَفَى دُو خِرَاشٍ مُشَمَّرٌ قَلِيلٌ دَلَالِيلُ الْعَسِينِ قَصِيرٌ...⁽¹⁾

رأى ابن الأنباري أن الشاعر هنا أراد أن يخرج على المألوف عند الشعراء فلجأ إلى عكس التشبيه وهو وصف الذنب بالكثرة لإحداث نوع من الغرابة المحببة والقبول الذي يحدث الدهشة التي تصدم المتلقي وتحثه على التأمل في سبيل الوصول إلى طرفة المعنى الذي جاء به الشاعر، خاصة وأنه يختار من الأشياء ما كان قوي العلاقة بنفسه. ويرى أن الإصابة في الوصف تكون بذكر المعاني العامة التي هي ألصق بالموصوف فيتجنب المجهول والخاص من المعاني والصفات، وهذا ما وجده الشارح في البيت الذي استشهد به على أنه من الوصف الجيد. فالناس يتفاضلون في الأوصاف كما يتفاضلون في سائر الأصناف فمنهم من يجيد وصف شيء ولا يجيد وصف آخر، ومنهم من يجيد الأوصاف كلها وإن غلبت عليه الإجابة في بعضها.

إِذَا كَانَ الْحَزَامُ لِقُصْرِيِّهَا إِمَامًا حَيْثُ يَمْتَسِكُ الْبَرِيمُ⁽²⁾

"يقال إذا جال حزامها واضطرب لكثرة عدوها فصار أمام قصريها في الموضع الذي يكون فيه حقو المرأة وهو خيط يشد في موضع الحقو من المرأة ويسمى حقوا فيقول إذا كان الحزام في ذلك الموضع قال الأصمعي لم يجد في هذا ولم يصب الوصف وذلك أن خير جري الإناث الخضوع وخير جري الذكور الإشراف والاشتراف وهما واحد والوصف الجيد قول بشر

بن أبي حازم:

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه، ص42.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الخامس نقد أغاليط الشعراء

نُسُوفٌ لِلْحِزَامِ بِمِرْفَقَيْهَا يَسُدُّ خَوَاءَ طَبِيِّهَا الْغُبَارُ

فهذا يدلک على أنها مختضعة فالحزام يتقدم قدما والبريم خيط أو سير تشده المرأة في حقوها...⁽¹⁾

ذكر ابن الأنباري معنى البيت الذي قال فيه بأن الحزام يقرب في جولانه إذا أكثر من عدوه فيصير أمام القصريين، وأشار بعد ذلك إلى أن الأصمعي قد غلط هذا الوصف، لأن خير جري الإناث الخضوع، وإنما يختار الإشراف في جري الذكور، فإذا اختضعت تقدم الحزام وبذلك لا يمكن وصف الذكر بالخضوع، وإنما يختار له الإشراف.

استدرك ابن الأنباري على الشعراء عدم دقتهم في وصف الأشياء لذا عد مثل هذه الأوصاف خاطئة، وراح يصحح لهم هذه الأخطاء تارة بإيجاد البديل المناسب، وتارة أخرى بالإشارة إلى مثل هذه الأخطاء دون ذكر البديل.

ومن شأن العرب أن تجري على الشيء الوصف الذي قد كان يستحقه، فضلا عن ذلك أن الشاعر لا يجب أن يؤخذ عليه في كلامه التحقيق والتحديد، فإن ذلك متى ما عد في الشعر بطل جميعه، وكلام القوم مبني على التجوز والتوسع والإشارات الخفية، والإيماء على المعاني تارة من بعد ، وأخرى من قرب لأنهم لم يخاطبوا بشعرهم الفلاسفة وأصحاب المنطق، وإنما خاطبوا المتلقي الذي يعرف أوضاعهم ويفهم معانيهم، فضلا عن ذلك أن الشاعر غير معني بالصواب أبدا ، وإنما هو معني بتصويره.

⁽¹⁾ المصدر السابق، الصفحة نفسها.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الخامس نقد أغاليط الشعراء

3- المبالغة والغلو :

ليس من اليسير استقراء ما كتب عن المبالغة فصي المصنفات النقدية واللغوية تعريفات تتفاوت دقة وإيجازاً، فالمبالغة في التعريف اللغوي من "بالغ يبالغ مبالغة وبلاغاً إذ اجتهد في الأمر والمبالغة أن تبلغ في الأمر جهدك وبلغ الفارس إذا مد يده بعنان فرسه ليزيد في جريبه... وشيء بالغ أي جيد وقد بلغ في الجودة مبلغاً"⁽¹⁾

ويقول الأزهري "قال الليث والمبالغة أن تبلغ من العمل جهدك"⁽²⁾ ولأجل هذه الدلالة صح أن يطلق وصفا لمن يبذل أقصى الغاية من جهده وطاقته في الأمر "وفي الحديث كل رافعة رفعت علينا من البلاغ أي ما بلغ من القرآن والسنن أو المعنى من ذوي البلاغ أي التبليغ، أقام الاسم مقام المصدر ويروى بالكسر أي من المبالغين في التبليغ من بالغ مبالغة وبلاغاً إذا اجتهد في الأمر"⁽³⁾

وعلى هذا فالمبالغة في أصل وضعها اللغوي إذن هي الاجتهاد في طلب الأمر وبلوغه، فمعانيها كلها تدور حول الانتهاء إلى أقصى الشيء والشدة في طلبه دون تقصير لجودته.

(1) ابن منظور: لسان العرب ، ج8، مادة بلغ، ص499- 500.

(2) الأزهري: تهذيب اللغة، تح محمد عوض وعمر السلاب وعبد الكريم حامد، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2001، مادة بلغ، ج8، ص139.

(3) مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة بلغ، دارالكتب العلمية، ط2، 2008، بيروت، ج3، ص117

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الخامس نقد أغاليط الشعراء

أم في الاصطلاح فإنها ما لبثت أن استحالت في أعمال اللغويين والبلاغيين والفقهاء والنقاد ظاهرة خلافية، دارت في فلكها مصطلحات عديدة فقد عرفها العسكري بقوله "أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته وأبعد نهاياته ولا تقتصر في العبارة عنه على أدنى منازلته وأقرب مراتبه"⁽¹⁾ والمبالغة انطلاقاً من تصور العسكري تنشأ من ظاهرة التخصيص والإفراد، أي إخراج الفرد من الجموع وتمييز الخاص من العام في حين عرف أسامة بن منقذ المبالغة بقوله "اعلم أن المعنى إذا زاد على التمام سمي مبالغة وقد اختلفت ألفاظه في كتبهم فسماه قوم الإفراط والغلو والإيغال والمبالغة، وبعضه أرفع من بعض"⁽²⁾

وفي مختلف هذه التعاريف معان مشتركة للمبالغة فهي الزيادة، والإبعاد، والإطلاق، والغاية القصوى والمنزلة التي لا تبلغ، والمبالغة عند ابن الأثير هي عبارة عن "التكرير بالمعنى دون اللفظ"⁽³⁾

فابن الأثير استعمل لفظ المبالغة بمفهومه الأصيل في اللغة، وذكر بأنها تجيء للدلالة على بلوغ الغاية، والنهاية فيما يراد قوله "وأعلم أن المفيد من التكرير يأتي في الكلام تأكيداً له وتشبيهاً من أمره، وإنما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشيء الذي كررت فيه كلامك إما مبالغة في مدحه أو في ذمه أو غير ذلك، ولا يأتي إلا في أحد طرفي الشيء

(1) أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين والكتابة والشعر، ص365.

(2) أسامة بن منقذ: البديع في نقد الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص155.

(3) علي سرحان القرشي: المبالغة في البلاغة العربية، ط1، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، 1985، ص148.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الخامس نقد أغاليط الشعراء

المقصود بالذكر والوسط ليس عار منه، لأن أحد الطرفين هو المقصود بالمبالغة إما بمدح أو ذم أو غيرهما والوسط ليس من شرط المبالغة⁽¹⁾ وهو بهذا لا يختلف عن سبقة اختلافاً كبيراً. وأول النصوص التي تحمل فكرة المبالغة في الموروث الأدبي العربي نجدها عند النحاة الأوائل، وبالتحديد عند الفراهيدي "عندما حدد لتلميذه الفرق بين خشن واخشوشن، وقال له أيضاً إذا قلت اعشوشبت الأرض فإنما تريد أن تجعل ذلك كثيراً عاماً قد بالغ"⁽²⁾ إذن فالمبالغة تطلق على تكثير المعنى وهي معروفة عند العرب منذ عصر ما قبل الإسلام، وإن لم يصرحوا بها تسمية فقد كانت معروفة ومطلوبة عند متذوقي الشعر ونقدته.

وقد اختلفت مواقف النقاد من المبالغة منهم من رآها بجانب الصدق والصواب وتزيغ عن الحق، ومنهم من استحسناها وآثرها، ووصلها بالغموض والمجاز وبعد الفكرة عن الإدراك العادي في كثير من الأحوال، بل أكد بعضهم على اعتبارها طريقة طبيعية تدخل في تكوين لغة الشعر، يتخذها الشاعر للتعبير عن الغاية التي يطمح إلى تحقيقها والأبعاد التي يطلع إليها فهي ذات صلة بما يحدثه القول من تأثيرات من جهة التخيل، والمحاكاة، والرغبة في إثارة الدهشة والاستغراب وهي بمخالفتها الحقيقة وخروجها عن المألوف وتجاوزها الحد في وصف الشيء متينة الصلة بالشعر، ولذلك كان أحسن الشعر عند القرطاجني "ما حسنت محاكاته وهيأته وقامت غرابته... وأردأ الشعر ما كان قبيح المحاكاة والهيئة، واضح الكذب

(1) ابن الأثير: المثل السائر، ج2، ص158.

(2) علي سرحان القرشي: المبالغة في البلاغة العربية، ط1، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، 1985، ص17.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الخامس نقد أغاليط الشعراء

خاليا من الغرابة، وما أجدر ما كان بهذه الصفة من الكلام الوارد في الشعر لا تتأثر النفس
لمقتضاه⁽¹⁾

واختلاف مواقف النقاد في المبالغة ما بين رفض، وقبول، أو استجادة، واستقباح ، ليس متأتيا
من جهة المبالغة أو متعلقا بها، وإنما هو واقع في ضرب مختلف عنها معدود من المنكرات وهو
الغلو "أما الغلو فهو الذي ينكره من ينكر المبالغة من سائر أنواعها ويقع فيه الاختلاف لا ما
سواه مما بينت ولو بطلت المبالغة كلها وعيبت لبطل التشبيه وعيبت الاستعارة إلى كثير من
محاسن الكلام"⁽²⁾

وتقوم عملية تمييز المبالغة من الغلو أو الإغراق والإفراط إذ هما مرادفان للغو على حدود
المعنى، وجوازه عقلا وعادة من جهة الإمكان وعدم الإمكان، ولكن هذا الاختلاف يمكن أن يزول
ببعض الوسائل اللغوية التي تُلطف المعنى وتقربه من المعقول وتبعده عن المحال، بنقله من
التقرير إلى المقاربة والتقدير، فدخول بعض أدوات التشبيه من قبيل كأن أو أفعال المقاربة
مثل كاد وأوشك من شأنه أن يجعل الغلو مبالغة "وأحسن الإغراق ما نطق فيه الشاعر أو
المتكلم بكاد أو ما شكلها نحو كأن ولو ولولا وما أشبه ذلك"⁽³⁾

وحاصل النظر في هذه الشواهد أن المبالغة ملائمة لجنس الكلام الذي تتخلله، فالشعر قائم
على المجاز والرؤى الرحبة وهو ذو لغة توظف توظيفاً مخصوصاً ومن "يعرف حقيقة الشعر

(1) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي

بيروت، 1981، ص71- 72.

(2) ابن رشيق: العمدة في صناعة الشعر ونقده، ص68.

(3) المرجع نفسه، ص61.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الخامس نقد أغاليط الشعراء

ويدرك طبيعة لغته والرؤى الرحبة والأبعاد المجازية الواسعة التي تعبر عنها هذه اللغة لا يرى بأسا في مبالغة الشاعر أو غلوه في الوصف أو التشبيه، ولا يستغرب غموض لغته أو ينكر هذا الغموض عليه ، بل يعتبر ذلك أمرا طبيعيا مفروغا منه ، بل ومستحسن وجوده في الجيد من الشعر⁽¹⁾

ولذلك كانت الأبيات التي بالغ بها أصحابها ميدانا لتطبيق المعيار النقدي عند

ابن الأنباري فالشاعر لا يبالغ في قصيدة كاملة إنما يبالغ في أبيات معينة من قصيدته فقط وهذا ما نلمحه في بيت تأبط شرا الذي يقول فيه :

بَلْ مَنْ لِعَدَالَةٍ خَدَأَلِ أَهْبِ
حَرَّقَ بِاللُّومِ جَلْدِي أَي تَحْرَاقِ⁽²⁾

"ويروى يا من لعدالة يريد يا هؤلاء من لعدالة وإنما قال عدالة وهو يعني رجلا أراد المبالغة كقولهم علامة ونسابة..."⁽³⁾

قال ابن الأنباري أن الشاعر أراد أن يقول من لهذه العدالة يمنعه من عدلي ويكفينيه فإنه يعدلني في ارتكاب هواي ويخذلني فيما أريد ويعترض دون محبتي ويمنعني منها ، يحرقني بملامته كما تحرق النار وأراد بالعدالة هنا الرجل وأضاف التاء للمبالغة.

(1) أحمد معتوق : اللغة العليا دراسات نقدية في لغة الشعر ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2006 ، ص133 .

(2) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضلين ، ص18 .

(3) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الخامس نقد أغاليط الشعراء

بَلَيْتُهَا حَتَّى أُؤْدِيَهَا رَمَّ الْعِظَامِ وَيَذْهَبَ اللَّحْمُ⁽¹⁾

"أي أذهب بمخها فتصير كأنها رم مما ذهب من مخها ويروى وينفذ اللحم بليتها وأبليتها واحد وقوله رم العظام مأخوذ من الرمة والرميم وإنما أراد المبالغة فأفرط لأن الرمة والبلى لا يكونان إلا من بعد الموت وقال الأصمعي هذا مثل قولهم تركت فلانا مييتا وهو حي وتركت فلانا هالكا وإنما تريد مابه من جهد..."⁽²⁾

أشار ابن الأنباري إلى أن رم العظام هي العظام البالية التي لا مخ بها، وهي هنا من المبالغة المتناهية وإبراز الكلام في صورة المستحيل، لأن البلى والرمة لا يكونان إلا من بعد الموت. فقد عد ابن الأنباري البيت من الإفراط وهو ما يريده بالمبالغة والذي يثير الاستغراب في رأيه هذا أنه وعلى الرغم من عقليته الفذة عد هذا البيت من الكذب، لأن الشاعر أفرط فيه وهو يعرف جيدا أن الشعر ينهض على المبالغات أولا.

والإفراط أمر "الناس مختلفون فيه فمستحسن قابل ومستقبح راد، وله رسوم متى وقف الشاعر عندها ولم يتجاوز الوصف حدها جمع بين القصد والاستيفاء وسلم من النقص والاعتداء"⁽³⁾ فالمبالغة والغلو هنا مرتبطان بالفهم العميق لطبيعة الشعر وما تتطلبه هذه الطبيعة من الملائمة بين الصدق في التعبير عن التجربة الشعرية، وبين تلوين هذا التعبير بالصور الشعرية، فالغلو المعقول تجسيم للحقيقة وإبراز للامحها أي أنه في خدمة الواقع وليس تزييفا له،

(1) المصدر السابق ، ص222.

(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

(3) القاضي الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص433.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الخامس نقد أغاليط الشعراء
والكذب الفني الشعري القائم على المبالغة حداً على الشاعر ألا يتجاوزه وإلا فقدت الصورة
قيمتها الفنية وناقضت الغرض التي من أجله صيغت، لعزوف النفس عنها حينئذ ونفورها
وعدم انفعالها معها، والبيت السابق الذكر دليل قوي على هذا.

وَلَقَدْ أَدَاوِي دَاءَ كُلِّ مَعْبِدٍ بَعْنِيَّةٍ غَلَبَتْ عَلَى النَّطِيسِ⁽¹⁾

"...والتنطس التنوق في الأشياء والمبالغة يقال تنطس يتنطس تنطسا قال العجاج

وقد تَرَى بِالدَّارِ يَوْمًا أَنْسًا جَمَّ الدَّخِيسِ بِالثُّغُورِ أَحُوسًا وَلَهْوَةَ اللّٰهِي وَلَوْ تَنَطَّسًا

الأنس سكان الدار والدخيس كثرة العدد والجم الكثير أحوس بطيء البراح أي ترى بها أنسا
ولهوة وهي فعلة من اللهو ولو تنطسا تعمق بطلب الحسن وبالع ومنه قيل للطبيب نطاسي
ونطيس قال أحمد والتطرس مثل التنطس يقال تطرس يتطرس تطرسا..."⁽²⁾

شرح ابن الأنباري كلمة "تنطس" وأشار إلى أن الشاعر قد بالغ من خلال هذه الكلمة،
واستشهد على ذلك بقول العجاج، لاسيما وأن المبالغة يكون الوصف من خلالها مستبعد
ومستحيل وتكون العلاقة فيها بين النص الأدبي والواقع منعدمة بسبب اللغة الرفيعة
والكثيفة، فمفردات النص تنزاح عن استعمالها المألوف لتدخل في علاقات جديدة ضمن
سياقات جديدة تمنح لها دلالات واسعة، والقارئ لا يتفا جئ بالمعتاد، بل إنه يمله وقد يضجر
منه فالشيء الطبيعي أنه لا يملك سلطة الغواية، ولا يستفز القارئ ولا يستوقفه بل ما يهمله
هو المفاجأة التي تحملها الكلمات. وهذا ما يتم عبر المبالغة في اللغة.

(1) ابن الأنباري: ديوان شرح المفضليات، ص194.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث الخامس نقد أغاليط الشعراء

وابن الأنباري يعرف جيدا أن المبالغة دليل البيان عند العرب، وقدرتهم على أن يفوا المعاني حقها، فما حقه الاقتصاد اقتصدوا فيه وما كان مشتتلا على غاية المعنى بالغوا في وصفه وهي بعد ذلك قديمة في الشعر العربي، ودائرة في كلامهم وجاءت في القرآن الكريم أيضا لاسيما وأنه في غياب المبالغة فقدانا لظواهر بلاغية عديدة هي قوام الشعر وبها يزداد تألقا، ويرقى في مراتب الجودة والإبداع.

المبحث السادس:

نقد الرواية والرواة

1- نقد الرواية

2- نقد الرواة

3- تصحيح الروايات

4- توضيح ما اختلف فيه العلماء

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث السادس نقد الرواية والرواة

1- نقد الرواية:

يستند نقد الرواية عند ابن الأنباري على دعائم قوية ، فهو يستند تارة على العقل ،وتارة أخرى على السياق،وتارة ثالثة على التمهيص والتثبيت:

وَإِنِّي مَتَى مَا أَدْعُ بِاسْمِكَ لَا تُجِيبُ وَكُنْتَ جَدِيرًا أَنْ تَجِيبَ وَتُسْمِعَا⁽¹⁾

"يقول كنت إذا أجبته أسمعته المستغيث بك ولم تحوجه إلى إعادة ويروى أن تجيب وتسمعا والمعنى فيه التقديم أن تسمع فتجيب قال الأصمعي لو كان على هذه الرواية فتسمعا على أن الفاء في المعنى لتجيب كان أحسن قال أبو جعفر الرواية وتسمعا أراد أن تسمع فتجيب فقدم ونسق ..."⁽²⁾

أشار ابن الأنباري إلى معنى البيت، ثم ذكر رواية أخرى للبيت مع التقديم الذي أحدثه الشاعر فيه و أضاف بعد ذلك ما يزيد الأمر توضيحا وتمحيصا -وفي نفس الوقت -يدل على اطلاعه وتحققه من الروايات الصحيحة وتوصل في الأخير إلى أي الروايات أحسن وهي رواية الأصمعي.

حَسَنُوا الْأَوْجُهَ بَيْضٌ سَادَةٌ وَمَرَا جِيحُ إِذَا جَدَّ الْفَرْعُ⁽³⁾

(1) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضليات ،ص534.

(2) المصدر نفسه ،الصفحة نفسها .

(3) المصدر نفسه ،ص394.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث السادس نقد الرواية والرواة

"كذا رواه أبو عكرمة والرواية العالية إذا جد الهلع والهلع الجزع والخفة يقال هلع يهلع

هلعا ويقال ناقة هلواع..."⁽¹⁾

روى ابن الأنباري عن أبي عكرمة، وذكر بعدها الرواية العالية التي يعتمد عليها. وأهم مؤكد

يرجح به موقفه من الروايات خاصة عند تفنيد مزاعم الشراح الآخرين هو المؤكد الضني

المأخوذ من شعر العرب وكلامهم ومن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

كل هذه اعتراضات تتصل بالرواية من حيث اللغة وما تؤدي إليه من فهم خاطئ وجنوح

نحو التكلف والشطط.

فَتَبَعْتُهُ طَعْنَةً ثَرَةً يَسِيلُ عَلَى الْوَجْهِ مِنْهَا صَبِيبٌ⁽²⁾

"هكذا رواه حماد وخالد وأبو عبيدة على الوجه والثرة الواسعة مخرج الدم ويقال ناقة ثرة إذا

كانت واسعة الأحاليل وهي مخارج اللبن وإذا كانت ضيقة الأحاليل فهي عزوز قال

أبو عكرمة وحدثني المازني عن الأصمعي أنه كان يرد هذه الرواية ويروي (يسيل على المتن منها

صبيب) ويقول إنما طعنه وهو مول فكيف يسيل الدم على الوجه وإنما يسيل الدم على الوجه

من الضربة في الرأس ويروي ويسيل على الصدر ويروي وأتبعته طعنة نثرة وقال نثرة اختلاس

⁽¹⁾ المصدر السابق، الصفحة نفسها.

⁽²⁾ المصدر نفسه، ص514.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث السادس نقد الرواية والرواة

والصبيب كل ما صب من ماء أو لبن أو غيرهما وروى أبو جعفر على الصدر منه يعني

المطعون⁽¹⁾

ذكر ابن الأنباري رواية حماد وخالده وأبو عبيدة، ونقل بعدها رواية الأصمعي الذي كان

يرد الرواية السابقة ويقدم تبريرا على ذلك ثم ذكر رواية أخرى عن مجهول وختم برواية

أبي جعفر.

2- نقد الرواة :

الرواة هم حلقة الوصل بين السابق واللاحق ، وهم الجسر الذي تعبر عليه مسائل العلم

وقضاياه ،استند عليهم علماء العربية في نقل علومهم وأخبارهم وهذا ما أشار إليه الجاحظ

بقوله " ورأيت عامتهم أي رواة الشعر،فقد طالت مشاهدتي لهم لا يقفون إلا على الألفاظ

المتخيرة والمعاني المنتخبة ...والألفاظ العذبة،والمخارج السهلة، والديباجة الكريمة، وعلى

الطبع المتمكن، وعلى السبك الجيد، وعلى كل كلام له ماء ورونق، وعلى المعاني التي إذا

صارت في الصدور عمرتها، وأصلحتها من الفساد القديم، وفتحت لسان باب البلاغة"⁽²⁾،

والملاحظ أن البواعث التي كانت تدفع الرواة إلى الرواية الشعرية والاهتمام بلغة الشعر تتجه

في اتجاهين اتجاه فني تمثل في التوسع في رواية الشعر بمختلف فنونه، وهو ما يوافق طبيعة

الشعر، واتجاه علمي يتمثل في تحقيق مادة الشعر، وتوثيق سنده بحكم أنه من أهم المصادر

لدراسة اللغة والأخبار.

⁽¹⁾ المصدر السابق، الصفحة نفسها.

⁽²⁾ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، ج3، ص24.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث السادس نقد الرواية والرواة

وقد أدرك ابن الأنباري أهمية الرواة وشكلوا لديه مصدرا أساسيا فيما طرحه من مآخذ نقدية على الشعراء، فذكر آرائهم التي كان لهم فيها نظر يتلاءم مع روحه العلمية، وثقافتهم وما يتطلبه زمانهم من حاجة ماسة إليهم، وأغلب من عاد إليهم ابن الأنباري من الرواة المحترفين الذين اتخذوا الرواية حرفة وتخصصا أساسا لهم، وحرصوا على توثيق أخبارهم النقدية وإثبات صحتها، ذلك لأن الشعر والأخبار النقدية قد انتشر فيها الكذب والانتحال، ونشأ كثيرون من الرواة "ينفقون من الأخبار المكذوبة، ويموهون بمزج هذه الأمور على الناس، ويخترعون الأشعار الكثيرة عند مناقلة الكلام، وموازنة الأمور، ومع ذلك فلم يعن بأمرهم أهل التفتيش و التحقيق من العلماء"⁽¹⁾ إلا إذا وُجد "المعنى الديني تجد التثبيت والتحقيق الذي لا مساغ فيه إلى خطرات الظنون فضلا عن فرطات الأوهام، ومتى انتفى هذا المعنى عن شيء فأمره عندهم بحساب ما يدور عليه"⁽²⁾ وليس المجال هنا للاستطراد في سيرة الرواة، والإبانة عن الثقات منهم، والضعفاء والمتروكين مثلا، بل الذي يهمنا هو نقد ابن الأنباري للبعض منهم من خلال بعض رواياتهم مقارنة بروايات أخرى أحسن منها على حد قوله :

وما تَسْعَى رِجَالُهُمْ وَلَكِنْ فَضُولُ الْخَيْلِ مُلْجَمَةٌ صِيَامٌ⁽³⁾

"لم يروى هذا البيت الضبي ورواه الطوسي وقال قال ابن الأعرابي يقول لا يمشون على أرجلهم ولكن لهم فضول خيل يركبونها قال وقال فيه معنى آخر قال حكاة الأخفش البغدادي يقول

(1) مصطفى صادق الرفاعي: تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، ط4، بيروت، لبنان، 1974، ج1، ص290.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) ابن الأنباري: شرح ديوان المفضليات، ص656.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث السادس نقد الرواية والرواة

لا يسعون في الحملات يطلبونها من غيرهم ولكن لهم فضول خيل وجلد قال أبو الحسن وقول

ابن الأعرابي في هذا أحسن وقال الصائم القائم الساكت الذي لا يطعم شيئاً...⁽¹⁾

أشار ابن الأنباري إلى أن هذه رواية الطوسي، ونقل عن ابن الأعرابي شرح البيت، وبعدها أورد

معنى آخر للأخفش البغدادي، وذكر أن قول ابن الأعرابي أحسن ما ذكر من هذه الروايات.

لَا تَرَانِي رَاتِعًا فِي مَجْلِسٍ فِي لُحُومِ النَّاسِ كَالسَّبْعِ الضَّرْمِ⁽²⁾

"الضرم الشديد النهم أخذ من ضرم النار وهو التهابها وقال أبو زيد الضرم من الحطب ما دق

وصغر فالنار فيه أشد التهابا فسمي الالتهاب ضрма بذلك إذا كان يسرع فيه وقال يعقوب

الضرم توقد النار والتهابها وانشد للعجاج: كأنما يستضمرمان العرفجا يقول الحمار والأتان

في عدوهما وأنشد للراعي:

كَأَنَّ عَلَى أَعْرَافِهِ وَلِجَامِهِ سَنَا ضَرْمٍ مِنْ عَرَفَجٍ يَتَلَهَّبُ

يعني الفرس شبه حفيفه في جريه بحفيف النار في التهابها وقال أبو الحسن الطوسي هذا

البيت في آخرها فيما حكى عن المفضل قال وأراد أن يقول السبع فخفف والأنثى سبعة قال

الطوسي وحكى لنا التوزي أبو محمد عبد الله بن محمد عن الأصمعي عمل به عمل سبعة قال

أراد الأنثى من السباع سبعة فخفف وقال عمل سبعة أي يسبعونه الواحد سابع وقال

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه، ص589.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث السادس نقد الرواية والرواة

ابن الأعرابي أراد العدد قال وقول الأصمعي أحسن⁽¹⁾

شرح ابن الأنباري كلمة "الضرم"، ثم روى عن أبي زيد ويعقوب، واستشهد ببيت شعري للعجاج، ونقل بعدها رواية أبو الحسن الطوسي فيما حكى عن المفضل، والتوزي عن الأصمعي وأورد بعدها رواية ابن الأعرابي، وفي الأخير توصل إلى أن رواية الأصمعي هي أحسن الروايات السابقة جميعاً، لاسيما وأن هذا الأخير عالم غزير النتاج الفكري وصاحب مخزون ثقافي عالي لذلك كان اسمه يتصدر كل روايات ابن الأنباري فهو صاحب علم ومعرفة بلغة الشعر ومضايقتها، وله مكانة عالية في البصرة يأتي إليه كبار الشعراء وينشدونه أشعارهم .

وقد ضمّ شرح ديوان المفضليات لابن الأنباري طائفة كبيرة من الرواة على اختلاف اتجاهاتهم الفكرية واللغوية، فلا يمكننا حصر واحد منهم في علم واحد بعينه؛ لأن المبدأ لديهم أن يأخذ الأديب من كل فن بطرف وبخاصة في عصر تداخلت فيه علوم العربية تحصيلاً وتأليفاً فلم أر غاية النحويين إلا في كل شعر فيه إعراب، ولم أر غاية رواة الأشعار إلا في كل شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج إلى الاستخراج، ولم أر رواة الأخبار إلا في كل شعر فيه الشاهد والمثل، ورأيت عامتهم -فقد طالت مشاهدتي لهم- لا يقفون إلا على الألفاظ المتخيرة، والمعاني المنتخبة، وعلى الألفاظ العذبة والمخارج السهلة، والديباجة الكريمة...⁽²⁾ فتجد من العلماء من اشتهر في اللغة والشعر والعلوم الأخرى، والذين لهم النصيب الأكبر من الروايات في شرح ابن الأنباري هم علماء اللغة. لذا ينبغي ألا ننكر ما لشرح ديوان المفضليات من أهمية بالغة

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) الجاحظ: البيان والتبيين، ج4، ص24.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث السادس نقد الرواية والرواة

بين كتب النقد الأدبي، فقد حشد عددا كبيرا من المآخذ التي أصبحت مصدرا من مصادر النقد، لا يقلل منها كونه ناقلا للأخبار من مصادر كما أسلفت، فهذا النقل إنما هو إعادة صياغة القضايا بمنهج مختلف، على قدر الإيمان بها والوعي العميق بأسرارها، والتبني الكامل لأبعادها ومراميها، وهذا كاف وحده لأن تمثل المآخذ فكر ابن الأنباري النقدي.

3- تصحيح الروايات :

وَقُمْتُ إِلَى الْبَرَكِ الْهَوَاجِدِ فَاتَّقْتُ مَقَاحِيدُ كَوْمٍ كَالْمَجَادِلِ رُوقٍ⁽¹⁾

"البرك ابل الحي كلهم والهواجد النيام والهاجد من الأضداد يكون النائم ويكون المتيقظ بالليل المتهدج بالقراءة وقوله فاتقت أي جعلتها بيني وبينها ويقال اتقاه بحقه إذا جعله بينه وبينه...والروق الخيار يقال ابل روق وبغير روقة إذا كان كريما غيره ويروى وقمت إلى البرك الهجان فأعرضت قال البرك ابل أهل الحواء كلها بالغة ما بلغت وهو جمع بارك كما يقال صاحب وصحب ويقال البرك الألف من الإبل والصحيح أنه يقع على ما برك من الجميع الجمال والنوق على الماء والفلاة ومن حر الشمس والهنيدة وهي غير ألف ولام لأنها اسم للمائة ولا تنصرف..."⁽²⁾

نقل ابن الأنباري الرواية الصحيحة في شرح "البرك" بعدما تطرق قبل ذلك إلى الروايات الأخرى التي رأى بأنها خاطئة، فالدقة وتحري صحة الخبر عنده مطلب ضروري للراوي بالإضافة إلى العلم بالشعر وبتاريخ الشعراء ومعرفة المجيد والسابق منهم واللاحق فليس من

(1) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضلين، ص250.

(2) المصدر نفسه، ص250.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

_____ المبحث السادس نقد الرواية والرواة

الضروري أن ينصب اهتمام الرواة على الجمع والتكثير من الأخبار دون الاهتمام بمدى صحتها والتدقيق فيها .

وَلَوْلَا رِجَالٌ مِنْ رِزَامِ بْنِ مَالِكٍ وَأَلِ سُبَيْعٍ أَوْ أَسْوَكَ عَلَقَمًا⁽¹⁾

"ويروى من رزام بن مازن وهي الرواية وقوله أو أسوك علقما أراد أو أن أسوك علقما أراد سبيع ابن عمرو بن فتية بن أمه هكذا قال هشام بن محمد بن أبيه إن بني عبس دفعوا صبيتهم إلى مالك بن سبيع أما أبو عبيد فيما أخبرني به أحمد فقال إنما دفعوا إلى سبيع أبي مالك فلما حضره الموت قال لابنه إن عندي مكرمة لا تبديد أبدا إن احتفظت بهؤلاء الأغيلمة وقد مر حديثهم بتمامه في كتاب داحس ومالك بن سبيع بن عمرو بن فتية بن أمه بن بجالة

بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان وكان شريفا وهو صاحب الرهن التي وضعت على يديه في حرب عبس وذبيان وعلقم ترخيم علقمة بن عبيد ابن فتية بن أمه بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن ذبيان ومن روى رزام بن مالك فلا معنى له وهو غلط وإنما هو مالك بن رزام بن مازن والصحيح رزام بن مازن وولد رزام مالكا وسبدا وحزيمة"⁽²⁾

وابن الأنباري هنا يرد على الراوي الزاعم بثلاث حجج مؤكد :

أولها: بتوضيح صحة الاسم حسب ما جاء على لسان الشاعر

ثانيها: بمؤكد معنوي أدى إليه النظم وسياق الأحداث وطبيعة اللغة ...

(1) المصدر السابق، ص110.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث السادس نقد الرواية والرواة

ثالثها: بمؤكد تمحيصي جاء عن علماء آخرين موثوق بصحة رأيهم وصدق رواياتهم .

على أن أهم مؤكد يرجح به موقفه من الروايات خاصة عند تفنيد مزاعم الشراح الآخرين هو المؤكد الفني المأخوذ من شعر العرب وكلامهم.

كَالْمَغَالِي عَارِفَاتٍ لِسُرِّي مُسْنَفَاتٍ لَمْ تُوشَمَّ بِالنِّسَعِ⁽¹⁾

"...والمسنفات التي تشد عليه السناف وهو خيط يشد من اللبب إلى الحزام إذا خشوا الضمر مخافة أن يموج الحزام أو الغرض فيضطرب السرج أو الرحل والحزام للفرس الغرض للبعير وهما شيء واحد ويروى مسنفات أي متقدمات والنسع جمع نسعة أي ليست ببابل تشد بالنسع فتدبر فيبقى أثر الدبر فيها كالوشم قال أبو جعفر من كسر النون فإنه أراد متقدمات ومن فتح فيقول اضطربت حتى شدت بالسناف ولا معنى له حينئذ لأنه يصف خيلا والخيلا لا تسنف ولا يجوز ههنا إلا بكسر النون واختار توسم بالسين..."⁽²⁾

ذكر ابن الأنباري الروايات الصحيحة، وأضاف بعدها ما يزيد الأمر توضيحا وتمحيصا وفي نفس الوقت ما يدل على اطلاعه وتحققه من الروايات الصحيحة، وهي جميعا تخالف ما قاله البعض فهو يرى بأن الرواية الصحيحة هي "مسنفات" بالكسر ومن رواها بالفتح فقد أخطأ وهذه الرواية لا معنى لها، فتحليله هذا للروايات ونقدها، يدفعه للتعرض لرواة وشراح الشعر السابقين، وتفنيد مزاعمهم، وتسفيه آرائهم ناعيا على بعضهم قصور فهمهم، وضعف مستواهم الفكري، وعجزهم عن فهم معاناة الشاعر أو ترجمة تجاربه الشعورية.

(1) المصدر السابق، ص 390.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث السادس نقد الرواية والرواة

4- توضيح ما اختلف فيه العلماء:

وهنا وجدنا ابن الأنباري يجهد نفسه لاهثا وراء العلماء يستطلع حقيقة الأمر وصحته، سواء في المعنى أو في الرواية، أو في تحديد نسبة الشعر إلى قائله، وإلى غير ذلك من المسائل:

وَصَدْرُ لَهَا مَهِيْعٌ كَالْخَلِيْفِ تَخَالُ بِأَنَّ عَلَيْهِ شَلِيْلًا⁽¹⁾

"المهيع الواسع والخليف الطريق والشليل كساء له خمل يكون على عجز البعير شبه صدرها بوبر الشليل قال الأصمعي قد أخطأ في هذه الصفة لأن من صفة النجائب قلة الوبر والانجراد وإنما توصف بكثرة الوبر الإبل السائمة ولا تصف بوبر نجيبة عتيقة كريمة قال أحمد غير الأصمعي يقول لم يخطئ الشاعر الوصف لأنه لم يرد الوبر وإنما أراد أن جلد صدرها يموج من سعته فلذلك قال شليلا وهو كساء أملس ولم يرد الشاعر الوبر إنما أراد سعة الصدر ولو أراد الوبر لقال تخال بأن عليه خميلا فالشاعر قد أجاد والمتأول عليه أنه أخطأ الوصف هو أخطأ وهذا مستحب في وصف الإبل والخيل حتى كأن عليه شليلا أي كساء يضرب من سعته وقال غيره المهيع الواسع الإبط والخليف طريق في المنحى"⁽²⁾

وضح ابن الأنباري ما اختلف فيه العلماء من أن صفة النجائب قلة الوبر، والانجراد في حين أن الإبل توصف بكثرتها (الوبر)، ولهذا رأى الأصمعي أن الشاعر قد أخطأ في حين ذهب أحمد إلى أن الشاعر لم يخطئ لأنه أراد وصف جلد صدر الإبل وليس وبرها.

(1) ابن الأنباري : شرح ديوان المفضلين، ص 84.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث السادس نقد الرواية والرواة

أَلَا لَمْ يَرْتَوْ فِي اللَّزِيَّاتِ دَرْعِي سُوَافُ الْمَالِ وَالْعَامُ الْجَدِيدُ⁽¹⁾

"يرتو يضعف هنا ويرتو في غير هذا يقوي وهو من الأضداد والذرع البسطة واللزيات الضيق الواحدة لزية والمال الابل والغنم وسوافه موته... وسواف موت وأبو عمرو يقول سواف بالفتح وغيره يقول سُوَاف بالضم وقال ساف المال وأساف صاحبه وأنشد :

قَالَتْ أَرَاهُ مُسِيْفًا لَا سَوَامَ لَهُ وَإِنَّمَا نَفَرْتُ لِلشَّيْبِ وَالصَّلْعَةِ

قال ثعلب روى ابن الأعرابي السُوَاف وروى أبو عمرو السَوَاف فخطأ أحدهما صاحبه قال ثعلب أصابا جميعا لأن السواف بالفتح الموت والسواف بالضم العلة وقال خدع نقص وقل خيره يقال خدع الريق...⁽²⁾

وضح ابن الأنباري ما اختلف فيه الرواة حول كلمة "السواف" حيث أن ابن الأعرابي رواها "السُوَاف" بالضم في حين رواها أبو عمرو "السَوَاف" بالفتح لكن الشارح استنادا إلى رأي ثعلب رأى أن الأولى تعنى الموت، والثانية العلة وبالتالي فكلاهما أصاب، وهذا الشرح المتصل بتوضيح ما اختلف فيه العلماء اشتمل على مجموعة من المعارضات النقدية الطريفة، أطرافها علماء كانوا في حالة شجار وما يذكره أي واحد منهم يكون محل طعن وتجريح وتغليط ومناقضة تحليلية موضوعية سواء حول الرواية أو المعنى.

(1) المصدر السابق، ص189.

(2) المصدر نفسه، ص189.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث السادس نقد الرواية والرواة

كَأَنَّ ظِبَاءَ أَسْنَمَةٍ عَلَيْهَا كَوَانِسَ قَالِصًا عَنْهَا الْمَغَارُ⁽¹⁾

"قال الطوسي: شبه النساء بالظباء التي قد صغرت عنها كنسها فبعض أجسادها خارج، يقول فهؤلاء النساء جسام عظام فصغرت عنهن هوادجهن كتلك الظباء التي صغرت عنها كنسها، هذا قول ابن الأعرابي، قال أبو الحسن: أخبرني به قال وأحسبه قول الأصمعي. قال: وقال أبو عبيدة: قلصت عنها أغصان الشجر التي كنست تحتها. والمغار جمع مغارة مثل منار ومنارة، وقوله قلص يعني ارتفع يقلص قلوفاً، قال عنتره: إذ تقلص الشفتان عن وضع الفم، فأما أسنمة فإن ابن الأعرابي أنشدني أسنمة بفتح الألف وضم النون والأصمعي وأبو عبيدة أسنمة برفع الألف والنون. وقال الأصمعي: هي أكمة قريبة من فلج ويقال أسنمات تجمع بما حولها. قال أبو الحسن: وأنشدني الفصيح من العرب العالم أسنمة بفتح الألف وكسر النون، قال: وهي أكمات، فكأن أسنمة عنده جمع سنام، قال: وقد يقال أسنمات وقول الضبي مثل هذا القول الذي ذكرناه."⁽²⁾

شرح ابن الأنباري الصورة البيانية الواردة في البيت والمتمثلة في التشبيه رواية عن

ابن الأعرابي، ثم روى عن أبي عبيدة وأشار بعدها إلى مفرد "المغار" وشرح كلمة "قلص" واستشهد بقول عنتره ثم نقل رواية ابن الأعرابي لـ "أسمنة" التي رواها بفتح الألف وضم النون في حين رواها الأصمعي وأبو عبيدة بضم النون والألف وهنا تدخل الشارح ونقل لنا

(1) المصدر السابق، ص 662.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث السادس نقد الرواية والرواة

الفصيح منها وهي فتح الألف وكسر النون وتوصل بعدها لشرح هذه الكلمة وهذا من أجل تقريب المعنى إلى المتلقي وإزالة اللبس عنه .

" وأما الطيف خالف فيه جميع الناس ما قاله الأصمعي، فزعم أنه من طاف يطيف. قال:

وهذا في الخيال خاصة، تقول العرب بالياء، قال: وحكي: دامت السماء تديم ديمًا، وحكي عن

بعض العرب: مازالت السماء ديمًا ديمًا، وأنشد بيت حميد بن ثور الهلالي:

رعى السَّرَّةَ المحلال ما بين زابن إلى الخور وسمي البقول المديمًا

وزعم أن المديم مفعل من دامت تديم، واحتج أيضاً ببيت كعب بن زهير:

أَتَى أَلَمَّ بِكَ الْخِيَالُ يَطِيفُ وَمَطَافُهُ لَكَ ذِكْرَةٌ وَشُعُوفُ

كذا أنشده بالياء، وخالف الرواة كلهم، وأبى ذلك ابن الأعرابي، وسائر العلماء، وقالوا:

طاف الخيال يطوف، قالوا جميعاً إنما هو تخفيف طيف كما قالوا: ميت، وهين، ولين

تخفيف: ميت، وهين ولين. قالوا: وأما قول حميد بن ثور: المديما، فإنما هو المفعيل، كأن أصله

المديوم فاجتمعت الياء، والواو، وسبقت إحداهما بسكون، فقلبت الواو ياءً، وأدغمت الياء فيها،

وترك ما قبلها على ما كان عليه لأن الياء والواو الساكنتين تصحان بعد فتح، ولا تصح ياء

ساكنة بعد ضم، ولا واو ساكنة بعد كسر. قال أحمد: وإنما قرروه في تخفيفه على الياء

لأنهم يطالبون الاسم لا المصدر، فكأنهم وإن خفضوه يعاملونه معاملة التشديد، وأما المصدر

فبالواو لا غير إلا ما ذهب إليه الأصمعي، واختلف الناس في تصغيره، فأما الفراء، ومن قال

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث السادس نقد الرواية والرواة

بقوله فإنهم يصغرونه على الأصل، فيقولون: طويف، وأما سيبويه، ومن قال بقوله فإنهم

يصغرونه طييف، ومييت على لفظه.

قال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب: ونصب هيد ما لك كما ينصب الزجر، والزجر ينصب

كما تنصب الأدوات، وذلك إذا كان ما قبل الحرف الذي هو آخر الكلمة منجزماً نصب آخره

كقول الله جل وعز: { أف لكم }، وقولهم: لعل، وإن، وما أشبه ذلك، فإذا تحرك ما آخر الكلمة

جزمت، وربما رفعت الكلمة، ونصبت، وخفضت إذا كان ما قبلها ساكناً.⁽¹⁾

ذكر ابن الأنباري أن الأصمعي روى أن "الطييف" من "طاف، يطيف" وكذا "تديم" من "ديما"

بالياء وخالف في ذلك جميع الرواة وأورد بعده رأي بقية العلماء والرواة مع التعليل لذلك.

فقد بذل ابن الأنباري في سبيل تصحيح النصوص الشعرية وتوثيقها جهوداً مضنية،

واتخذ لنفسه لتحقيق هذه الغاية جملة من المقاييس المنبثقة من النصوص نفسها بمعنى أنه

كان يستقرئ النصوص ويستخرج منها أدلة تثبت خللها أو فساد روايتها، وما تضمنته تلك

النصوص من أدلة على صياغتها البديلة الحقيقية، وقد استمد هذه المقاييس من علوم اللغة

كالنحو والصرف والبلاغة، ومن سياق النصوص، والأدوات الفنية التي دأب الشعراء على

استعمالها في إبداعهم مثل طبيعة التعبير، بالإضافة إلى الاعتماد على جهود العلماء

السابقين في توثيق النصوص الشعرية لتكون مادة مهمة في حفظ التراث كما هو، فضلاً عن

الاستشهاد بنصوص موثقة صحيحة.

⁽¹⁾ المصدر السابق، ص1

الفصل الرابع : وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث السادس نقد الرواية والرواة

وهكذا تعددت عناصر الشرح عند ابن الأنباري، وتنوعت ما بين رواية ونحو ولغة وبلاغة ونقد

..جال في كل علم من هذه العلوم جولات واسعة تنم عن مقدرة فائقة من الفهم ، وسعة أفق في

التحليل، وإن كانت ستظل السمة الأدبية الإبداعية هي أبرز سمات الشرح على الإطلاق.

هذه هي أهم عناصر النقد التحليلي التطبيقي لابن الأنباري ..أضف إلى كل ما سبق أنه

كان يطبق الكثير من الأسس الفنية التي تنم عن فهم عميق لما يمكن أن نطلق عليه النقد

الداخلي للشعر، فنراه يحرص على تحليل ألفاظ الشاعر وملاحظة علاقتها بالمعنى .

نستخلص مما سبق أن ارتباط النص الواصف لشرح أشعار المفضليات بالنص النقدي

العربي ، قد جعل الشارح العربي أكثر قدرة على تمثل الشعرية النصية ،ومناقشة مبادئها

الأساسية وتكوين تصور خاص عنها ،كما جعله من جهة أخرى ،يفتح آفاقا جديدة للكتابة

النقدية ، يتم من خلالها توضيح العلاقة التي تتولد من خلال صلتها بالخطاب الشارح ،وتنوع

أشكالها ،وصياغاتها الفنية والجمالية من جهة ،وإنتاج الأفكار الأدبية والنقدية التي رافقت

تطور كتابة الشروح الشعرية من جهة أخرى، وهذا رغم الإشكاليات التي قد يثيرها الخطاب

النقدي الشارح.

الخلافة

أحمد الله الوهاب المعين حمداً يليق بجلال وجهه، وعظيم سلطانه، وأسأله العفو والمغفرة في كل حرف رسمته، وقد وقع فيه بعض الخطأ أو الذلل أو النسيان، وأشكره على كل حرف جرى به قلمي و كان فيه الصواب والمنفعة والخير أو أحسبه كذلك والصلاة والسلام على صفوة الخلق وشفيع الأمة يوم التلاق، ومرسل جوامع الكلم، وجامع اللهجات ومكلم الناس بحسب عقولهم أما بعد:

مما لاشك فيه أن ظاهرة الشروح الشعرية قضية متشعبة الأبعاد والدلالات لاسيما وأنها ترتبط بنص تتقاطع فيه مظاهر أدبية وتاريخية وإنسانية في آن واحد، وحرصا مني على الإمساك بكل مظاهر هذه الإشكالية، اخترت الزاوية الأكثر قابلية للاختبار والرصد والمثلة في المظهر الأدبي لظاهرة الشروح الشعرية .

وقد وجد البحث في ظاهرة الشروح نفسها ما يزكي هذا الاختيار مادامت هي نفسها يرتهن وجودها بالمظهر اللغوي، وبالتالي بالنص الأدبي ومميزاته.

وطبيعي أن يفرض هذا الاختيار إطارا نظريا للاقتراب من ظاهرة اللغة الواصفة، باعتبارها ظاهرة أدبية تتوسم بمكونات نص الشرح، وبالنظر إلى بعض التصورات التي صاغها كل من النقد الفرنسي من جهة والممثل ب (جاكسون) وغيره، والنقد العربي من جهة ثانية، والمثلة ب (عبد القاهر الجرجاني) وغيره وقد تبين أن المقاربة الموضوعية والشمولية للظاهرة تقتضي المبالغة نوعا ما.

لذا لم أتردد في اقتراح صياغة تأويلية للميتالغة بطريقة شعرية، وذلك اعتقاداً مني بأن هذا التوجه النظري هو الكفيل بالإحاطة الشاملة بمختلف أبعاد الظاهرة من الداخل والخارج.

ومجمل القول بعد الذي مضى أن النص الواصف في شرح ابن الأنباري للمفضليات يسع أكثر من رأي ويحتمل أكثر من نقد، وما دراستي إلا محاولة للولوج إلى بعض مظاهره ورصد أهم القضايا التي لفتت انتباهي ولقد حرصت من خلال كل مراحل إنجاز هذا العمل المتواضع أن أعمل على استخلاص مختلف النتائج الجزئية والعمامة التي توصلت إليها وقد انتهيت إلى ما يلي:

- اعتبار الميتاليسانية تجسيدا لمظهر شعري أساسي هو النص الواصف.
- ارتباط الميتالغة أو اللغة الواصفة بالشفرة باعتبارها التعبير الدقيق عن خصوصية النص الواصف، سواء أكانت الشفرة في النص أو في نقده.
- إن التعامل مع النص الواصف أمر ضروري لمن أراد أن يكشف كيف يسهم الشرح الشعري
- على اعتبار أنه نص نقدي- في تمثل التجربة الشعرية العربية وإغمائها، وفي بلورة تصورات خاصة تساهم في بعض الأحيان في تطوير تلك التجربة أو المساهمة في خلق شعرية للشرح الشعري بشكل عام.
- يعتبر شرح ابن الأنباري من أشهر شروح المفضليات رغم كثرة شراحها من جهابذة اللغة وأئمة الأدب، وذلك لأنه تميز عن غيره بعدم إهمال جانب معرفي على جانب آخر.

- إن قراءة شرح أشعار المفضليات من زاوية تأريخ النصوص، من شأنه أن يفصح عن صورة جديدة لهذا النص الواصف، لأنه يسمح بمعرفة مدى التفاعل بين الأنساق الأدبية والأنساق الثقافية، خاصة من داخل النصوص الشعرية التي يتناولها بالشرح.
- إن صحة الرواية ودقتها والبعد التاريخي والأدبي سواء أكان للمفردة أو الجملة، قد تحكمتا في توجيه ظاهرة الشرح الشعري عند ابن الأنباري نحو مظاهر الصراع الفني والنقدي والثقافي والتاريخي، التي تحكمت في صيرورة الشروح الشعرية نفسها في ذلك الوقت، كما تبين لي من خلال ما سبق أيضا أن تاريخ الشروح الشعرية يكون تابعا للنصوص الشعرية أكثر مما هو تابع للنظريات والصيغات الخطابية الأخرى .
- لجأ الشارح إلى تصحيح الروايات لما لها من أثر على فهم المعنى، إذ أن الرواية المغلوطة تؤدي إلى فهم خاطئ لمعنى البيت.
- تجاوز ابن الأنباري في شرحه للمفضليات شرح دلالات الألفاظ المفردة إلى تفسير ودراسة التغييرات الاصطلاحية التي وردت في بعض أبيات المفضليات، ومعلوم أن التعبيرات الاصطلاحية تعطي دلالات جديدة غير دلالاتها المعجمية، وهذا الأسلوب شائع في القرآن الكريم والسنة المطهرة فضلاً عن شعر الشعراء في كل العصور والمراحل الأدبية المختلفة.
- اهتم الشارح في تفسيره بالمرادف، والذي عنى عنده بالألفاظ المفردة التي ذكر العلماء وقوع الترادف بينها فأفاد منها في تبين الصورة وتوضيح المعاني.

- أفاد ابن الأنباري في شرحه من ظاهرة الاشتقاق، حيث تناول في الكثير من مواضع شرحه ذكر الدلالة اللغوية للفظ ثم يدعمها ببعض الصيغ الاشتقاقية للفظ المذكور، وذلك لتوضيح الدلالة وتقريب المعنى.
- استخدم ابن الأنباري أسلوب التفسير بالترجمة، وال ضد وكان لهذين النوعين القدر العلّى في تفسيره، واتخذ من النوع الأول صورتين اثنتين هما تفسير لفظ بلفظ، وتفسير لفظ بأكثر من لفظ، وقد كثرت شواهدهما ولكني أتيت بنماذج لها انتقاء لا استقصاء لبيان الظاهرة فقط.
- كان رجوع ابن الأنباري إلى المعاني المجازية في الأبيات من أجل توضيح الألفاظ التي ليس لها دلالة معجمية، وقد كان يشير إلى ذلك كلما التقى بالنص الذي يحمل معنى مجازيا من (استعارة وكناية ومجاز مرسل وإسناد مجازي وتشبيه)
- إن تعدد الاستشهادات والاقتباسات يورط القارئ في غمار النقد، كما أن كثرتها تدل على الراوي والمروي له وكأنها كلها موجهة لقارئ واحد بأزياء مختلفة .
- لابن الأنباري آراء ونظرات نقدية كثيرة لها قيمتها التي تدل على عمق نظرته في تقويم هذا الأدب الذي يشرحه، وبذلك لم تكن مهمته أن يلعب دور الوسيط بين المنشئ والمتلقي فحسب، بل كان يلعب دور الناقد أيضا علما أن هذه الآراء النقدية متفاوتة في شرحه بين القلة والكثرة.

- يحتاج موضوع النص الواصف وخاصة شرح المفضليات ودراسته في النقد العربي القديم، إلى تراكمات نقدية تستفيد من المجالات التي لا تزال خصبة وبحاجة للبحث في سبيل إثراء هذا الموضوع.

إذن فالنص النقدي العربي خلق حيوية جديدة في شعرية النصوص الأدبية ذات الأصل الغربي، مثل ما هو عليه الحال في هذا البحث، فالنظرية النقدية غربية والنص المطبق عليه عربي، وهذا ما خلق محاكاة جديدة للنص الواصف، تمثلت هذه المحاكاة في محاولة إنتاج شعرية ذات طابع خاص لشرح النصوص الأدبية، وذلك من خلال اكتشاف التراث وما يحويه من درر، وما يمتلكه من غموض، مع محاولة ملاءمتها مع قضايا خاصة أفرزها الأدب العربي، وكان المقصود منها البحث عن زاوية أخرى للنظر لهذا التراث بنظرة جديدة ولكل ماله علاقة بالأدب والتاريخ، وعلاقة الأدب بالمتلقي العربي.

فمن الطبيعي إذن أن يسمح هذا التوجه النقدي الحديث بتنوع الدراسات حول الوظيفة الميتاليسانية، بما يؤدي إلى الانفتاح على كل وظائف الاتصال، وإمكانية تطبيقها على الخطابات الواصفة الأخرى موازاة مع الرغبة في تطوير أساليب الكتابة الشارحة نفسها .

إذن فالتلقي الظاهري بينا مفهومه ومظاهره وعيوبه، وركز البحث الحديث حول مظاهر الشرح الخارجية مع ذكر بعض الشواهد التطبيقية، والتلقي الداخلي أو الباطني بينا أيضا ماهيته وأقسامه، وكان منصبا على التركيب العميقة للنص الواصف، مع ذكر بعض الشواهد التطبيقية حول البنية العامة للنص، والتلقي التأويلي بينا فيه أيضا مفهومه

ووجوده في الشرح وأبرز ممثليه من النقاد والمناهج النقدية التي كانت وسيلة للوصول إليه مع ذكر الشواهد التطبيقية حول هذا النوع من التلقي.

كما قد تم الإجابة عن الإشكاليات المطروحة في موضعها اللائق من البحث، كما قد بينت أن محور النص الواصف من أهم المحاور التي اهتم بها النقد الغربي الحديث، وخاصة الناقد جاكبسون وقد وصلت في ذلك إلى نتائج يمكن إيجازها فيما يلي:

- إذا كان التوجه إلى المتلقي في الآداب الأخرى محل العناية في العصر الحديث، بعد أن أهمل هذا المحور كثيرا، فإن النقد العربي القديم لم يهمل المتلقي في خطابه النقدي، بل جعل له في كثير من المواضع حيزا متميزا.

- ضمن حيز هذا البحث ينبغي الإشارة إلى الإمام عبد القاهر الجرجاني الذي برهن على مقدرة فائقة في مجال الإشارة إلى النصوص الواصفة على المستوى النظري والتطبيقي.

- لعل من أهم هذه المواضيع ما يتعلق بإصدار الحكم، وهي وظيفة نيّطت بالمتلقي، واهتم بها كثيرا بالإضافة إلى رسم أفق التوقع للمتلقين كما هو في (عمود الشعر) وقيام مؤلفات بأكملها انطلاقا من هذا المحور كما في (الموازنة) للآمدي و(الوساطة) للقاضي الجرجاني، وهو ما يفند زعم إهمال المتلقي والتركيز على المبدع أو النص.

فهذه أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث، فضلا عن النتائج الأخرى التي تبينت في ثناياها، فإن كانت ذا فائدة ونفع فذلك أقصى ما أمله، وإن أصابها وهن هنا أو شطط هناك فهذه طبيعة الإنسان بعد أن شاء الله سبحانه وتعالى أن يتفرد بالكمال.

العلماء

الخط بالغة العراصة

تتناول هذه الأطروحة موضوعا يتعلق بمبحث هام ألا وهو الشرح الشعري القديم، لاسيما وأن هذه الظاهرة قضية متشعبة الأبعاد والدلالات، لأنها ترتبط بنص تتقاطع فيه مظاهر أدبية وتاريخية، وإنسانية، في آن واحد، وقد وجد هذا البحث في هذه الظاهرة ما يزكي هذا الاختيار، مادامت هي نفسها يرتهن وجودها بالمظهر اللغوي، وبالتالي بالنص الأدبي ومميزاته، وطبيعي أن يفرض هذا الاختيار إطارا نظريا للاقتراب من ظاهرة اللغة الواصفة، باعتبارها ظاهرة أدبية تتوسم بمكونات نص الشرح، وبناء على ما سبق تم تحديد عنوان البحث كالاتي:

"النص الواصف في شرح المفضليات لابن الأنباري"

وتقع هذه الدراسة في تمهيد وأربعة فصول، فالفصل الأول الموسوم بـ"وصف المقام الخارجي في شرح ابن الأنباري"، قد قسم إلى خمسة مباحث تنوعت بين الجانب الديني، والجانب التاريخي، والاجتماعي. والوقوف على وسيلتي الرواية ومصادر الشرح عبر القناة الشفوية والكتابية في ضوء أثرها على عملية التلقي في نظرية التواصل عند "جاكسون" وخاصة الوظيفة الميتالسانية.

أما الفصل الثاني " وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري" فقد تم تقسيمه إلى سبعة مباحث تضمنت بعض الظواهر اللغوية والصوتية والدلالية والموسيقية، التي وجدت في ثنايا الشرح، والعوامل المؤثرة فيها وفي ظهورها في ضوء نظرية التلقي وكل ما اتصل بالأساليب، وطرق الأداء ومظاهر الحضور، كما تجلت في شرح الأبيات الشعرية من زاوية نقدية، ودورها في التوصيل الأدبي (المبدع، النص، المتلقي) ومدى العناية بهذه المحاور في التلقي العربي،وصلة محور المتلقي بالمحورين الآخرين كما يتصورها ويراهها شارح المفضليات ابن الأنباري.

أما الفصل الثالث " وصف البنية البلاغية" الذي تم تقسيمه إلى مبحثين،تناول المبحث الأول مفهوم الشارح المتلقي للمجاز أو ما يعرف بالشرح المتذوق والحديث عن مفهوم ذلك التذوق، وسعة

المساحة التي شملها بين المتلقين الشراح، وفئاته التي اندرجت تحته، في حين كان المبحث الثاني حول ثنائية الاستعارة والمجاز المرسل عند ابن الأنباري وجاكبسون، من حيث الاهتمام بهاتين الصورتين وحضورهما في شرح المفضلديات وتمثلات هذا الحضور والفرق بينهما وبين غيرهما .

أما الفصل الرابع الذي عنون بـ "وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري" فقد تضمن النقد الانطباعي، والنقد اللغوي والسرقات الشعرية والموازنات، والمفاضلات التي عقدها ابن الأنباري بين شعراء المفضلديات وشعراء آخرين، بالإضافة إلى تتبعه لأخطاء الرواة ومحاولته تصحيح ذلك.

وفي الخاتمة حوصلة لأهم النتائج المتوصل إليها.

إذن فالنص النقدي العربي خلق حيوية جديدة في شعرية النصوص الأدبية ذات الأصل الغربي، مثل ما هو عليه الحال في هذا البحث، فالنظرية النقدية غربية والنص المطبق عليه عربي، وهذا ما خلق محاكاة جديدة للنص الواصف، تمثلت هذه المحاكاة في محاولة إنتاج شعرية ذات طابع خاص لشرح النصوص الأدبية، وذلك من خلال اكتشاف التراث وما يحويه من درر، وما يمتلكه من غموض، مع محاولة ملاءمتها مع قضايا خاصة أفرزها الأدب العربي، وكان المقصود منها البحث عن زاوية أخرى للنظر لهذا التراث بنظرة جديدة ولكل ماله علاقة بالأدب والتاريخ، وعلاقة الأدب بالمتلقي العربي.

الخطبة باللفظ الأمطرية

Abstract:

This thesis deals with a topic related to the important of explaining ancient poems. The interpretation of such poems should be under different angles of consideration due to its academic importance. We will look at the matter under literary historic and humanit lights .we have given our research the title " The Metatextuality in explaining the Mufadhaliat of Ibn Al-Anbari.

Al-Anbari ,s stady has come with an introduction followed with four parts or sections :

The first chapter, entitled "The Description of the Outer Place in the Explanation of Ibn al-Anbari", was divided into five topics that varied between religious, historical and social aspects. And to find out the ways of the novel and sources of explanation through the channel oral and written in the light of the impact on the reception process in the theory of communication at "Jacobson," especially the function of metal.

As for the second chapter, "Description of the internal place in the explanation of Ibn al-Anbari", it was divided into seven topics that included some linguistic, vocal, semantic and musical phenomena, which were found in the explanatory notes, the factors influencing them and their appearance in the light of the receiving theory and everything related to methods, , As reflected in the explanation of the poetic verses from the point of view of criticism and its role in the literary connection (the creator, the text, the receiver) and the extent of care of these axes in the Arab receipt, and the connection of the axis of the recipient of the other two axes as envisaged and seen by explained Mufadhaliat Ibn al-Anbari

As for the third chapter, "Description of the rhetorical structure", which was divided into two sections, the first topic dealt with the concept of the recipient of the metaphor or what is known as the tasteful and modern explanation of the concept of that taste, and the wide space that was included between the recipients of the narrators and the categories under which it was included, About the dual metaphor and metaphor sent by Ibn Anbari and **Jacobson**, in terms of interest in these two images

and their presence in explaining the Mufadhaliat and representations of this presence and the difference between them and others.

The fourth chapter, entitled "Description of the Cash Side in the Explanation of Ibn al-Anbari" included criticism of Impressionism, linguistic criticism, poetic robberies, balances and tradeoffs held by Ibn al-Anbari among the poets of Mufadhaliat and other poets, in addition to following the errors of narrators and trying to correct it.

In conclusion The main achieved results .So the critical Arab text about western literature has created a new dynamic.In this research The criticism is of western origin which applied on Arab different types of writing .This has led to more in depth analysis of the meanings and ambiguities of which the Arab literature is veryrich .

The aim of this work is to put more light with a new vision with regard to Litterture and history for the Arab learner or scholar.

العلم بالغة الفخرية

Resumé:

Notre thèse aborde une problématique importante pivotant autour du commentaire de poésie antique ayant des significations et des dimensions riches puisque on y trouve à la fois, de représentations littéraires, historiques, humaines.

C'est pourquoi nous nous sommes penchées sur une partie théorique afin de mettre en exergue la métalangage dévoilant le sens du texte. Notre thème s'intitule comme suit : La Meta textualité dans l'explication des Mufadhaliat d'Ibn El Anbari.

La présente étude comprend une introduction, quatre chapitres et une conclusion. Le 1^{er} chapitre s'éclate en cinq volets traitant l'aspect social, historique et religieux ainsi que la narration et les sources d'explication à travers le canal oral et écrit et leur impact sur la réception dans la théorie de communication de Jakobson « la métalinguistique » .

Le 2^{ème} chapitre est réparti en sept volets englobant quelques phénomènes de langue : sonores, musicaux et symboliques trouvés dans l'explication ; suivis de leurs facteurs d'apparition et d'influence. Nous avons présenté un commentaire critique des vers poétiques et leur rôle dans la transmission littéraire (poète, texte , récepteur).

Le 3^{ème} chapitre est partagé en deux volets ; le 1^{er} met le point sur la définition du récepteur du sens figuré et la différence entre ce dernier et le sens propre. Quant au 2^{ème} , nous l'avons consacré au couple « métaphore , métaphore transmise) et leurs effets dans l'œuvre d'Ibn El Anbari et Jakobson.

Dans le 4^{ème} chapitre, qui porte sur la description de la critique dans l'explication d'Ibn El Anbari, nous avons met en œuvre la critique impressionniste et la critique linguistique introduites par Ibn El Anbari.

Dans la conclusion, nous avons récapitulé les aboutissements de notre recherche. Donc ,le discours critique arabe a vivifié la poétique des textes littéraires d'origine occidentale comme le montre notre présent travail ; la théorie critique est occidentale alors que le corpus choisi est arabe d'où les simulations du discours descriptif conçues des découvertes du patrimoine dans le but de chercher un autre ongle ayant un rapport avec la littérature, l'histoire, et le rapport de la littérature avec le récepteur arabe.

قائمة المصادر والدراسات

قائمة المصادر والمراجع :

1- المصادر:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

الحديث النبوي الشريف:

- 1- ابن الأنباري :شرح ديوان المفضليات ، تح كارلوس يعقوب لایل، دط ،مطبعة الآباء
اليسوعيين ، بيروت، 1920 .

المراجع:

- 1- ابن الأثير " ضياء الدين " :المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،قدمه وعلّق عليه أحمد
الحوي، بدوي طبانة، ط2 ،دار نهضة ، القاهرة، مصر، د.ت
- 2- إبراهيم أنيس :في اللهجات العربية ،مكتبة الأنجلو المصرية، 1973، ج1
- 3- أحمد جمال الودرني:شرح الشعر عند العرب،دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ،لبنان،
ط1، 2009.
- 4- أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ط3، عالم الكتب ،القاهرة، 1992.
- 5- أحمد مزدور: معاييرالنقد الأدبي في القرن الرابع الهجري ، مكتبة الآداب ، القاهرة -
مصر ، ط1، 2009

- 6- أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، دط، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1403 هـ - 1983 م.
- 7- أحمد معتوق: اللغة العليا دراسات نقدية في لغة الشعر، دط، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، دت.
- 8- أحمد مؤمن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2005
- 9- أحمد يوسف: الدلالات المفتوحة، منشورات الاختلاف، الجزائر، (د. ط)، 2010
- 10- الأسد ناصر الدين: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دط، دار المعارف، 1962.
- 11- الأصفهاني، حمزة بن الحسن، التنبيه على حدوث التصحيف، حققه: محمد أسعد طلس راجعه: أسماء الحمصي وعبد المعين الملوحي، الطبعة 2، دار صادر بيروت، 1992.
- 12- الأصفهاني أبو الفرج: مقاتل الطالبيين، تح السيد أحمد صقر، د ط، دار المعرفة بيروت، دت.
- 13- الأمدي أبو القاسم الحسن بن بشر: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، ، تح: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط2، 1392 هـ - 1972 م.
- 14- الأنباري أبو البركات: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح محمد أبو الفصل إبراهيم، د ط، القاهرة، 1967.
- 15- ابن الأنباري : كتاب الأضداد، تح محمد أبو الفضل، إبراهيم، سلسلة التراث العربي، الكويت، 1986.

- 16- الأيوبي ياسمين: أفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، جرس يرس، ط1، طرابلس، لبنان، 1995م
- 17- الباقلائي أبو بكر محمد بن الطيب: إعجاز القرآن، تح السيد أحمد صقر، ط3، دار المعارف، مصر، 1963.
- 18- بركة فاطمة الطبال: النظرية الألسنية عند رومان جاكسون دراسة ونصوص، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1993.
- 19- البصير حسن كامل: بناء الصورة الفنية في الأدب العربي، د.ط، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، دت.
- 20- البغدادي عبد القادر: خزانة الآداب، تح عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، 1989.
- 21- ابن بسام الأندلسي الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981.
- 22- مالكية بلقاسم: فتنة اللغة، دط، دار هومة، الجزائر، 2003.
- 23- التبريزي: شرح ديوان أبي تمام، تح محمد عبده عزام، دار المعارف، مصر، 1964.
- 24- التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، تح أحمد أمين وأحمد الزين، دط، مكتبة الحياة، بيروت، دت، ج1.
- 25- جابر عصفور: نظريات معاصرة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط، 1998.

26- الجاحظ :البيان والتبيين،تح عبد السلام هارون ،ط5 ،مكتبة الخانجي ،القاهرة
1985،ج2.

: الحيوان، تح وشرح عبد سلام هارون،شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي
وأولاده،مصر ط2، 1965.

27- جبل عبد الكريم محمد محسن:الدلالة المحورية في معجم مقاييس اللغة دراسة
تحليلية نقدية، ط1، دار الفكر للطباعة، دمشق، سوريا، 2003.

28- الجرجاني عبد القاهر:دلائل الإعجاز،تح أحمد مصطفى المراغي، دار المكتبة العربية،
القاهرة، 1950.

: أسرار البلاغة في علم البيان،علق حواشيه رضا محمد رشيد،د.ط،دار
المعرفة،بيروت، د.ت.

29- الجرجاني عبد العزيز القاضي:الوساطة بين المتنبي وخصومه ،تح وشرح محمد
أبو الفضل إبراهيم ومحمد البجاوي ،دار القلم ،بيروت ،لبنان ،دط، دت.

30- ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، مطبعة السعادة، مصر، 1351هـ

31- الجمحي ابن سلام :طبقات فحول الشعراء ،شرح محمود محمد شاكر،دار المعارف،
دط، دت ج1

32- ابن جني :الخصائص ،تح محمد علي النجار ،ط4،الشؤون الثقافية العامة،
بغداد، 1990،ج1،ج2.

: التصريف المملوكي ،دط،دار المعارف للطباعة ،دمشق ،دت

- 33- حاتم الربيعي أحمد :منهج البحث الأدبي في الأندلس ،الدار العربية للموسوعات بيروت ،لبنان ، ط1، 2010.
- 34- حاجي خليفة :كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون،دار الفكر،ج1.
- 35- الحديدي عبد اللطيف محمد السيد:السرققات الشعرية بين الأمدي والجرجاني في ضوء النقد العربي القديم والحديث،ط1،دار السعادة للطباعة ،1995،مصر.
- 36- الحربي فرحان بدري :الأسلوبية في النقد العربي الحديث ،دراسة في تحليل الخطاب،دط، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت، 2003.
- 37- حسن ناظم :مفاهيم الشعرية - مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم ، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1994م.
- 38- حسينة فلاح، الخطاب الواصف في ثلاثية أحلام مستغانمي (ذاكرة الجسد، فوضى الحواس، عابر سبيل)، منشورات مخبر التحاليل الخطاب، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، 2012.
- 39- الحسين قصي: النقد الأدبي عند العرب واليونان معاملة وأعلامه، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2003.
- 40- حسين الواد :المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ودار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس،دط، 1991.

- 41- حميد سمير: النص وتفاعل المتلقي في الخطاب الأدبي، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2005.
- 42- الحميري عبد الواسع: ما الخطاب وكيف نحلله، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2009.
- 43- حنفي محمد: التصوير البياني، دط، دار النهضة، مصر، 1970.
- 44- الخفاجي محمد بن سنان: سر الفصاحة، تح عبد المتعال الصعيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982.
- 45- ابن خلدون: المقدمة، دار الفكر العربي، دط، بيروت، 2004.
- 46- خمري حسين: نظرية النص، من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2002.
- 47- الخوثي السيد أبو القاسم الموسوي: البيان في تفسير القرآن، ط3، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، 1974.
- 48- الخوارزمي: الفائق في غريب الحديث، ضبطه وصححه وعلق حواشيه: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، 1945.
- 49- الداية فايز: جماليات الأسلوب والصورة الفنية في الأدب العربي، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط1990، 2.
- 50- دياب عبد المجيد: تحقيق التراث العربي، منهجه وتطوره، دط، دار المعارف، القاهرة، 1993.

- 51- الديري عبد الفتاح: الخيال الحركي في الأدب النقدي، ط1، الهيئة المصرية للكتاب، 1990.
- 52- الرازي أبو بكر عبد القادر: مختار الصحاح، رتبته محمود خاطر، تح لجنة من علماء العربية، دار الفكر بيروت، لبنان.
- 53- الرفاعي مصطفى صادق: تاريخ آداب العرب، ج 2، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2000م.
- 54- رجاء عيد: فلسفة البلاغة بين التنقية والتطور، دط، منشأة المعارف، الإسكندرية، دت
- 55- رزق صلاح: أدبية النص، محاولة لتأسيس منهج نقدي عربي، دار غريب، القاهرة، 2002.
- 56- رشيد سوسان: مفهوم التشاكل في أعمال محمد مفتاح، دراسة اصطلاحية ضمن جماعة من الباحثين، مشروع محمد مفتاح، دراسات في المنهج والمصطلح والمرجع، تن سعيد عبيد، تق مصطفى اليعقوبي، مطبعة أنفو، المغرب، دط، 2010.
- 57- ابن رشيق: العمدة، في صناعة الشعر ونقده، تح النبوي عبد الواحد، مكتبة الخانجي، ط1، 2000، بيروت، ج1.
- 58- أبو الرضا سعيد: معالجة النص في كتب الموازنات التراثية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1989.
- 59- رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة، ط3، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، 1997
- : فصول في فقه العربية، ط5، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، 1997.

- 60- رياض عبد الحميد مراد: معجم الأمثال العربية، إدارة الثقافة والنشر، 1986، ج1.
- 61- زكي ذاكر فجر العاني: المفضل الضبي حياته وآثاره أطروحة ماجستير تربية ابن رشد، جامعة بغداد، 1983.
- 62- الزيايدي لعيبي حاكم مالك: الترادف في اللغة، دط، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1998.
- 63- الزبيدي أبي بكر: طبقات النحويين و اللغويين، تح محمد أبي الفضل إبراهيم، دط، القاهرة، 1904.
- 64- الزمخشري: أساس البلاغة، تح عبد الرحيم محمود، دار المعارف، بيروت، لبنان 1982.
- 65- ابن الزملاكي: التبيان في علم البيان، تح أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، ط1، بغداد، دت.
- 66- أبو زيد نصر حامد: النص و السلطة و الحقيقة، دط، إدارة المعارف وإدارة الهيمنة، دت
- 67- السبكي البهاء: عروس الأفراح، تح عبد الحميد هنداوي، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2003.
- 68- السد نور الدين: الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث، تحليل الخطاب الشعري والسرد، دط، ج1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1997.
- 69- السكاكي: مفتاح العلوم، تح نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت.
- 70- سليم عبد الإله: بنيات المشابهة في اللغة العربية، دار توبقال للنشر، ط1، المغرب، 2001

- 71- سوييف مصطفى: الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1970.
- 60- سيوييه: الكتاب، تح عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، ط1، دت، ج4.
- 72- سيزا قاسم: القارئ والنص العلامة والدلالة، دط، الشركة الدولية للطباعة، مصر، 2002.
- 73- السيد شفيق: التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية، دار العلوم، القاهرة، ط2، 1982
- 74- السيوطي جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، تح محمد أبي الفضل، المكتبة العصرية، بيروت، 1987.
- المزهر، تح محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، دت.
- 75- شقير محمود سيد: ألوان من التربية العربية، دط، مطابع عواصم للطباعة الالكترونية، الرياض، دت.
- 76- شوقي ضيف: في النقد الأدبي، دط، دار المعارف، مصر، 1962.
- 77- الصاوي أحمد: فن الاستعارة، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، دت.
- 78- الصايغ وجدان: الصور الاستعارية في الشعر العربي الحديث، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003.
- 79- صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، ط11، دار الملايين، بيروت، 1986.

- 80- صحراوي إبراهيم: السرد العربي القديم، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008.
- 81- الضبي المفضل: أمثال العرب، تح إحسان عباس، دط، مطبعة الجوانب القسطنطينية، 1971.
- : المفضليات، تح عبد السلام هارون وأحمد محمد شاكر، دط، القاهرة، 1942.
- 82- طبل حسن: المعنى الشعري في التراث النقدي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1998.
- 83- الطرابلسي محمد الهادي: بحوث في النص الأدبي، دط، الدار العربية للكتب 1988.
- 84- طه أحمد إبراهيم: تاريخ النقد الأدبي من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، دط، دار الحكمة، بيروت، لبنان، دت.
- 85- عبد البديع لطفي: الشعر واللغة، الشركة العالمية للنشر لونغمان، مصر، ط1، 1997.
- 86- ابن عبد ربه: العقد الفريد، تح أحمد أمين، وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي بيروت، ط3، 1969.
- 87- عبد العزيز مطر: لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، دط، القاهرة، 1966.
- 88- عبد القادر فيدوح: دلائلية النص الأدبي، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1997.
- 89- عبد الله أمين: الاشتقاق، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط1، القاهرة، 1956.

- 90- عبد الواحد اللغوي: الإبدال، تح عز الدين التنوخي، ط1، 1960، ج1.
- 91- أبو العدوس يوسف: المجاز المرسل والكناية والأبعاد المعرفية والجمالية، ط1، الأهلية للنشر، عمان، 1990.
- 92- العسكري أبو هلال: الصناعتين الكتابة والشعر، تح علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، 1986.
- 93- عليان عبد الرحيم مصطفى: تيارات النقد في الأندلس في القرن الرابع الهجري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1984.
- 94- الجارم علي ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة (المعاني، البيان والبديع) دار المعارف، مصر، دط، دت.
- 95- العمري أحمد جمال: شروح الشعر الجاهلي، نشأتها وتطورها، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1981، ج1.
- شروح الشعر الجاهلي، مناهج الشراح، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1981، ج2.
- 96- غطاشة داودو حسين راضي: قضايا النقد العربي قديما وحديثا، الدار العلمية الدولية ودار الثقافة- عمان -الأردن، ط1، 2000.
- 97- أبو الفرج محمد أحمد: المعاجم اللغوية في ضوء علم اللغة الحديث، دط، دار النهضة العربية، بيروت، 1966.
- 98- القالي أبو علي: الأمالي، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002.

- 99- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تح أحمد محمد شاكر، دط، دار المعارف، مصر، 1966.
- 100- قدامة بن جعفر: نقد النثر، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1980.
- نقد الشعر، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1987.
- 101- القرشي علي سرحان: المبالغة في البلاغة العربية، ط1، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، 1985.
- 102- القرطاجني حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح محمد الحبيب بن الخوجة، دط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.
- 103- القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن: الإيضاح في علوم البلاغة، دط، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1991.
- 104- الكاتب أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب: البرهان في وجوه البيان، تح أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، ط1، مطبعة العاني، بغداد، 1967.
- 105- محمد حماسة عبد اللطيف: الضرورة الشعرية في النحو العربي، دط، مكتبة دار العلوم، مصر، دت.
- 106- محمد عيد: الرواية والاستشهاد باللغة، دط، عالم الكتب، مصر، 1972.
- 107- محمد ضاري حمادي: حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث، دط، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، 1980.

108- محمد القاضي، معجم السرديات، الدار الدولية للنashرين المستقبلين، تونس، ط1، 2010.

109- محمد مفتاح: المفاهيم مع المنح وتأويل واقعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط2، 2010.

110- محمد مندور: الأدب وفنونه، دط، دار النهضة للطباعة، القاهرة، مصر، دت.

111- المخزومي محمد: الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه، دط، دار الرائد، بيروت، دت.

112- مرتاض عبد المالك: في نظرية النقد، دط، دار هومة، الجزائر، 2005.

: نظرية النص الأدبي، ط1، هومة، الجزائر، 2010.

: ألف ياء تحليل سيميائي لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.

113- مي يوسف خليف: القصيدة الجاهلية في المفضليات، دط، مكتبة غريب، القاهرة، دت.

114- ناصف مصطفى: الصورة الأدبية، دط، دار الأندلس، بيروت، لبنان، 1981.

: نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دت.

: اللغة بين البلاغة والأسلوبية، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط1، 1989.

115- بن منقذ أسامة: البديع في نقد الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987.

- 116- ابن النديم: الفهرست، د ط، المكتبة التجارية، مطبعة الاستقامة، القاهرة، دت.
- 117- وداد نوفل محمد : الكناية دراسة في القيمة البلاغية والجمالية ،رسالة دكتوراه، جامعة الإسكندرية ،مصر، 1992.
- 118- ابن وهب :البرهان في علوم القرآن،تح أحمد مطلوب وخديجة الحديني مطبعة العاني، بغداد، 1967.
- 119- ابن يعقوب المغربي :مواهب الفتاح، تح فرج الله ذكي، مطبعة السعادة بمصر، ط2، 1343هـ
- 120- ابن يعيش:شرح الملوكي في التصريف ، تح فخر الدين قباوة ، المكتبة العربية ،حلب ط1، 1973.
- : شرح المفصل ،تح إميل بديع يعقوب،ط1، دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان، 2001.
- 3- المعاجم:
- 1- الأزهري :تهذيب اللغة ،تح محمد عوض وعمر السلاب وعبد الكريم حامد، ط1، دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،لبنان ، 2001.
- 2- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دمشق، دار القلم، 1986م
- 3- الفيروزبادي: القاموس المحيط ،دط، مكتبة التربية للطباعة ،بيروت ،لبنان،دت.

4- ابن منظور محمد بن مكرم: لسان العرب، د ط، دار صادر، بيروت، 1992،

4- الرسائل والدوريات:

1- مجلة مجمع اللغة العربية الملكي: الاستشهاد بالحديث في اللغة، حسين محمد الخضر، المطبعة الأميرية، بولاق، 1937، العدد 3.

2- مجلة المورد: مناهج التصويب اللغوي، العزاوي نعمة رحيم ، دار الحرية للطباعة، بغداد، العدد 1، 1977.

مجلة أطراس، الأدب في الدرجة الثانية، جيار جينيت، تر: مختار حسني، مجلة ثقافية فكرية، العدد 16، فبراير، 1990.

3- مجلة جامعة الملك سعود: الإعراب في شرح القوائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر بن الأنباري دراسة وصفية، المدني علي محمد، العدد 7، 1995.

4- مجلة الأديب المعاصر: التأويل الأدبي وقراءة النص التراثي، ناصر حملاوي، العدد 49، بغداد. 1998.

5- مجلة الموقف الأدبي: اللغة الواصفة، دراسة لسانية للأدب القائم حول اللغة، جوزيت غاي دويوف، تر عبد الجليل غزالة، العدد 386، 2003، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا.

6- مجلة الخطاب: نحو بديل تأويلي لنقد الشعر، بلعلي آمنة، دورية أكاديمية محكمة تعني بالدراسات والبحوث العلمية في اللغة والأدب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، العدد 2، الجزائر، ماي 2007.

- 7- مجلة دراسات أدبية: السرقات الأدبية وتوارد الخواطر، ريوقي عبد الحلیم، العدد 5، دار الخلدونية - القبة، الجزائر، فيفري 2010.
- 5- المراجع المترجمة:
- 1- أدیث کریزویل، عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، دار السعاد الصباح، الكويت، ط1، 1993.
- 2- برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية، تر وتحقيق رمضان عبد التواب، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2003.
- 3- جارلس جيمس لايل: المفضليات، تر عناد غزوان، د ط، مطبعة المعارف، بغداد 1975.
- 4- جاكسون رومان: الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة علي حاكم وحسن ناظم، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2002.
- 5- دومينيك مانغو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر محمد يحياتن، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2008.
- 6- رودلف زلهائم: الأمثال العربية القديمة، تر، رمضان عبد التواب، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة، دت.
- 7- رولان بارت: مبادئ في علم الأدلة، تر: محمد البكري، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط2، 1987.
- 8- ريتشاردز: فلسفة البلاغة، تر سعيد الغانمي وناصر حملاوي، أفريقيا الشرق، دت.

- 9- ستيفن أ ولان :دور الكلمة في اللغة، تركمال بشر، دط، مكتبة الشباب، القاهرة، 1975.
- 10- سلدن رامان :النظرية الأدبية المعاصرة تج جابر عصفور ،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،مصر،1998.
- : من الشكلائية إلى ما بعد البنيوية، تر :مجموعة من الكتاب، مراجعة :
- ماري تريز عبد المسيح، موسوعة كامبردج، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر،
المجلد9 ، العدد 1045، ط 2002.
- 11- بن الشيخ جمال الدين:الشعرية العربية،تر مبارك حنون ومحمد الوالي ومحمد أوراغ،
دار توبقال للنشر،الدار البيضاء ط1، 1996.
- 12- فندريس :اللغة،تر عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ،دط، دار الأنجلو المصرية،
1990.
- 13- لوسركل جان جاك:عنف اللغة،ترجمة محمد بدوي،ط1،الدار العربية للعلوم، بيروت،
لبنان،2005.
- 14- ماري نوال غاري بريور: معجم المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، تر عبد القادر فهيم
الشيبياني، ط1،سيدي بلعباس الجزائر،2007.
- 6- المراجع باللغة الفرنسية:

1-Algirda Julien Greimas et Joseph Courtès. Sèmiotique.ed
Hachette.Paris.1993.

- 2Gérard Genette: Palimpsestes, La littérature au second degré, Collection poétique, Seuil, Paris, 1982.
- 3 -Greimas A.J et Courtes Sémiotique. Dictionnaire raisonne de la théorie du langage classique hachette .collection dirigée par Bernard Quemada . 1980
- 4- Jean Girodet, Logos, grand dictionnaire de la langue Française ,Bordas,1996.
- 5-Oslwld ducrot .Jean-Schaeffer. Des sciences du langage. Nouveau Dectionnaire Encycloopédique.ed Seuil(France).1995. p39.
- 6- Quillet dictionnaire la langue Française K-P, Librairie Aristide Quillet , 1975

الفصل الثاني

الفهرس

المقدمة..... أ

المدخل: قراءة في مصطلحات البحث ومفاهيمه.....ص13

الفصل الأول: وصف المقام الخارجي

المبحث الأول: النص الديني

1- القرآن الكريم.....ص66

2- الحديث النبوي.....ص74

المبحث الثاني: الجانب التاريخي:

1- الأحداث.....ص91

1- 1- الأحداث العامة.....ص91

1- 2- الأحداث الخاصة.....ص93

2- مناسبات القصائد:.....ص96

3- التعريف بالأعلام:.....ص99

4- الأخبار المروية.....ص102

المبحث الثالث: الاجتماعيات:

1- شجرة الأنساب:.....ص107

2- المثل السائر:.....ص108

3- الأشعار.....ص118

المبحث الرابع:المرجعيات:

1- مرجعيات معرفية.....ص128

2- مرجعيات جغرافية.....ص129

المبحث الخامس: الرواية

1- الرواية في النص الواصف:.....ص133

أ- مفهوم الرواية.....ص133

ب- طبقات الرواة.....ص134

2- الرواية عند ابن الأنباري.....ص138

أ- الصحة.....ص138

ب- الدقة.....ص142

3- سمات الرواية عند ابن الأنباري.....ص142

أ- الزيادة.....ص143

ب- الاختلاف.....ص147

الفصل الثاني: وصف المقام الداخلي في شرح ابن الأنباري :

المبحث الأول:علوم اللغة:.....ص153

- 1- التحليلات الاشتقاقية:.....ص154
- 2- دلالة المذكر والمؤنث:.....ص161
- 3- سبب التسمية.....ص162
- 4- الترادف.....ص164
- 5- الاقتراض اللغوي:.....ص168
- 6- الاهتمام باللهجات:.....ص170
- 7- التفسير بالضد.....ص173

المبحث الثاني: الجانب الصوتي والصرفي

- تحديد الأوزان:.....ص180
- 2- دلالة الجموع.....ص182
- 3- تخفيف اللفظ.....ص187
- 4- التغيير الصوتي في بعض الألفاظ.....ص188
- 4- 1- الإبدال.....ص188
- 4- 2- القلب.....ص192
- 4- 3- الإدغام.....ص193

المبحث الثالث: الجانب الدلالي

- 1- شرح دلالة الألفاظ:.....ص198
- 1- 1- الشرح بالترجمة.....ص198
- 1- 2- الشرح بالنظير.....ص199
- 1- 3- الإشارة إلى أصل معنى جذر المفردات :.....ص202
- 2- الخصوص:.....ص203

المبحث الرابع: الجانب النحوي

- 1- الإعراب:.....ص207
- 2- الإشارة إلى معاني الحروف والظروف في البيت.....ص211
- 3- الإشارة إلى عودة الضمير.....ص212
- 4- الإشارة إلى بعض القضايا النحوية وقواعدها.....ص214

المبحث الخامس: الظواهر الموسيقية:

- 1- الضرورة الشعرية:.....ص217
- 2- القافية:.....ص220

المبحث السادس: الجانب التركيبي

- التقديم والتأخير.....ص224
- 2- الحذف.....ص225
- 3- ما اتصل بالأساليب وطرق الأداء:.....ص230
- المبحث السابع:ملايسات إنشاء القصيدة:
- 1- الكشف عن القصد.....ص236
- 2- شرح المعاني.....ص239
- 2- 1 محاكاة بالتوسيع.....ص239
- 2- 2 محاكاة بالتلخيص.....ص241

الفصل الثالث : وصف البنية البلاغية في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: البيان في النص الواصف:

- 1- المجاز في النص الواصف:.....ص247
- 1- 1 مفهوم المجاز:.....ص247
- 1- 2 أقسام المجاز.....ص257
- 1- 2- 1 المجاز اللغوي:.....ص257
- 1- 2- 1- 1 المجاز المرسل عند ابن الأنباري :.....ص257

1- 2- 1- 2- الاستعارة عند ابن الأنباري:ص267

1- 2- 2- الإسناد المجازي عند ابن الأنباري:ص280

2- الكناية عند ابن الأنباري:ص287

3- التشبيه عند ابن الأنباري:ص295

المبحث الثاني: ثنائية المجاز المرسل والاستعارة في النص الواصف:

1- ثنائية الاستعارة والمجاز المرسل عند جاكبسون.....ص305

2- ثنائية الاستعارة والمجاز المرسل عند ابن الأنباري.....ص309

الفصل الرابع: وصف الجانب النقدي في شرح ابن الأنباري

المبحث الأول: النقد الانطباعي:

1- نقد الألفاظ:.....ص320

2- نقد المعنى.....ص326

المبحث الثاني: النقد اللغوي:

1- مفهوم النقد اللغوي.....ص330

2- التصحيف:.....ص336

المبحث الثالث: السرقات الشعرية في النص الواصف:

1- مفهوم السرقة:.....ص346

2- أنواع السرقات:.....ص349

3- السرقات عند ابن الأنباري:.....ص354

المبحث الرابع:المفاضلات والموازنات:

1- المفاضلات:.....ص363

2- الموازنات.....ص364

المبحث الخامس: نقد أغاليط الشعراء:

1- نقد الأخطاء المعنوية واللفظية:.....ص375

2- نقد الخطأ في الوصف.....ص378

3- المبالغة والغلو.....ص384

المبحث السادس: نقد الرواية والرواة:

1- نقد الروايةص393

2- نقد الرواة.....ص395

3- تصحيح الرويات.....ص399

الخاتمة.....ص409

فهرس المصادر والمراجع.....ص416

فهرس الموضوعات.....ص435

تَمَّ بِحَسْبِ اللَّهِ